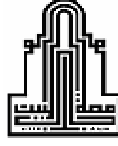
بسْمِ اللـه الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جامعة آل البيت

كلية الدراسات الفقهية والقانونية

قسم أصول الدين



السنن الإلهية في النفس الإنسانية في الحديث النبوي الشريف

سنن الهداية والضلال وسنن الرزق نموذجا

“The Divine Sunan” in the Human Being in the Noble Hadith”

The Sunan of Guidance ,Going Astray and Sustenance

as an example”

إعداد الطالبة

آلاء سعيد الفوارعة

0320105009

إشراف الدكتور

علي إبراهيم سعود عجين

بسم اللـه الرحمن الرحيم

السنن الإلهية في النفس الإنسانية في الحديث النبوي الشريف

سنن الهداية والضلال وسنن الرزق نموذجًا

"The Divine Sunan" in the Human Being in the Noble Hadith"

The Sunan of Guidance , Going Astray and Sustenance as an example"

إعدادالطالبة:

آلاء سعيد نصار الفوارعة

بإشراف الدكتور:

عـلـي إبراهيم سعود عـجـيـن

أعضاء لجنة المناقشة:

الدكتور علي عجين.	مشرفاً ورئيساً	....
الأستاذ الدكتور سلطان سند العكايلة.	عضواً	....
الدكتور عامر الحافي.	عضواً	....
الدكتور محمد عيسى الشريفين.	عضواً	....

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في الحديث الشريف، في كلية الدراسات الفقهية والقانونية بجامعة آل البيت.

نوقشت وأوصي بإجازتها في: 12 / 5 / 2007م .

إهداء

لوالدي الحبيبين...

لمن تعجز الكلمات عن شكرهم....

لمن على الإيمان ربياني... وإلى طريق العم أرشداني....

حتى أتممت هذا العمل

أهديكم رسالتي وأنتم أسبابها...

ابنتكم..

شكرٌ وتقديرٌ

شكرٌ جزيلٌ، ودعاءٌ بخير الجزاء موصول إلى أستاذي الفاضل الدكتور علي عجين، الذي تفضّل بالإشراف على هذه الرسالة، والاهتمام بها، وتقديم يد العون لي فيما ألتمسه عنده من علم ومشورة، حتى أنهيتها.

وأتقدم بالشكر للأساتذة الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة، والذين تكرموا بقول امناقشة الرسالة وأثروها بوتوجيهاتهم.

كما أشكر أستاذي الدكتور زياد الدغامين الذي كان له الفضل في إرشادي إلى موضوع الرسالة، وأستاذي الدكتور عامر الحافي رئيس قسم أصول الدين.

ولا أنسى شكر المعهد العالمي للفكر الإسلامي الذي فتح لي أبواب مكتبته فكانت منطلقا لنواة الدراسة.

والشكر موصول إلى كل من ساعدني في إتمام هذه الرسالة، وإلى كل من أسدى لي فيها معروفا من أساتذة، وإداريين في جامعتي آل البيت والجامعة الأردنية، وزميلات عزيزات، وأهل كرام، وشكري لـ "آية الديري" التي أعانتني في طباعة الرسالة وتنسيقها حتى خرجت بهذه الصورة.

الـفـهـرس

الـمـوضـوع

بسم الـلـه الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لـلـه رب العالمين والصلاة والسلام على النبي الأمين وعلى آلـه وأصحابه وعلى من سار على نهجهم واهتدى بهديهم إلى يوم الدين..

يقول الـلـه تبارك وتعالى :﴿إِنَّ رَبَّكُمُ الـلـه الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ الـلـه رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [1]

خلق الـلـه السموات والأرض ثم قرر لكل منها طريق سيره، ووظيفته فلا يخرج عنه. وبما أن الـلـه هو الخالق فلابد أن يكون هو الآمر؛ لذا قال سبحانه : ﴿ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ﴾ خلق جل شأنه فأمر، والإنسان خلق من خلق الـلـه.

وأوامر الـلـه جل شأنه نوعان: أوامر دينية وأوامر كونيَّة، وتتعلق أوامره الدينية سبحانه بالتكليف والابتلاء والتشريع، أما أوامره سبحانه الكونيَّة فهي تلك الأوامر التي ترسم النواميس وتبينها أي هي"المتعلقة بربوبية الـلـه وخلقه"[2]، وهي سنن الـلـه جل شأنه في خلقه[3].

وبيَّن الـلـه سبحانه سننه للإنسان في كتابه العزيز وعلى لسان نبيه ﷺ في السنة المطهرة، وبين أن التزام قوانينه جل شأنه والعلم بسننه والسير في ضوئها هو سبيل فلاح الإنسان في حياته.

والناظر في حياة المسلمين اليوم يتفطر قلبه ألماً على ما آل إليه حالهم فكان لا بد من مراجعة للأسباب، ودراسة لسبل التغيير والنجاة التي بين الـلـه جل شأنه أن الإنسان هو محور التغيير الأول فيها :﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ الـلـه إِنَّ الـلـه لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ الـلـه بِقَوْمٍ سُوءًا فَلاَ مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ﴾[4] وبين جل شأنه أنّ النفس الإنسانية تخضع لسنن ثابتة وأنها تبدأ من نفس الإنسان.

---

(1) الأعراف: 54.

(2) شريف الخطيب، السنن الإلهية في الحياة الإنسانية وأثر الإيمان بها في العقيدة والسلوك، الدار العثمانية- الأردن، ط1: 2004، ج1، ص35.

(3)محمد ابن الشيخ المعروف بابن قيم الجوزية(751هـ)، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، دار الفكر- بيروت، ط: 1978، (د.ط)، ص281.

(4) الرعد: 11.

فكانت هذه الدراسة محاولة على طريق تكوين صورة واضحة عن سنن اللـه المتعلقة بالنفس الإنسانية على اعتبار أنَ النفس هي محور التغيير الأول، مرتكزة على النبع الصافي حديث الرسول ﷺ.

أهمية الدراسة وسبب اختيار الموضوع:

تكمن أهمية هذه الدراسة في:

1. أنها خطوة في طريق الكشف عن النواميس التي سنها اللـه جل شأنه في نفس الإنسان، تلك النواميس التي بالعلم والعمل بها ينهض الإنسان فتسير حياته دون اضطراب، إذ أن ترك حقائق السنن الإلهية دون دراسة يُعد سبباً في ضياع الإنسان، لذا كان لا بد من الكشف عن أهميتها، وخصائصها، وماهيتها.
2. أنّ السنة المشرفة مصدر موثوق للمعارف الغيبية– والمشاهدة أيضا- التي قد يصعب على الإنسان الوصول إليها، غير أن المسلمين يجدون في نصوص القرآن الكريم والحديث الشريف مادة غزيرة للكشف عن حقائق تتعلق بالإنسان طالما جاهدت الإنسانية لتصل فيها إلى صواب تقتنع به.
3. أنها استجابة للدعوة الإلهية قي قوله سبحانه وتعالى(إِنَّ اللـه لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ)[1] فتسعى إلى البحث عن السنن التي تتغير بها النفوس التغير الإيجابي، ليتغير حال المسلمين نحو الخير، ولتتجه إلى الشهود الحضاري الذي أراده لها اللـه تبارك وتعالى.

مشكلة الدراسة:

تنبع مشكلة الدراسة من كون السنة النبوية مصدراً موثوقاً للمعرفة في كل مجالاتها، وهي مصدر لاينضب على كثرة الاستنباط منه، فكان لابد من العمل على استمرار الاتصال بها والإفادة من المعارف والعلوم المهمة التي تعالجها ومنها تلك العلوم التي تختص بالنفس الإنسانية، التي تدرس سبل التعامل المثلى معها وفق نواميسها التي أودعها اللـه؛ لهذا كان لابد من الاستفادة من الحديث الشريف بالقدر الأكبر في مثل هذه العلوم والمعارف، وجاءت هذه الدراسة للإجابة عن عدد من الأسئلة منها:

- ما معنى السنن الإلهية المتعلقة بالنفس الإنسانية؟ وبماذا تتصف؟ وأين مظانها في الحديث النبوي الشريف؟

(1) الرعد: 11.

- ما هي علاقة القدر بالسنن الإلهية ؟
- ما هي السنن المتعلقة بالهداية؟ وهل بينت الأحاديث إن كان للإنسان دور فاعل فيها؟ وهل وضحت الأحاديث ما هي المؤثرات التي تؤثِّر على الإنسان هداية أو ضلالاً؟ وما أثر كل من الهداية والضلال على الإنسان؟
- ما هي السنن المتعلقة بالرزق؟ وهل جاء في السنة المطهرة ما إذا كان للإنسان دور فاعل فيه؟ وهل وضحت الأحاديث ما هي المؤثرات التي تؤثِّر على رزق الإنسان بركة أو محقا؟

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى:

- معرفة سنن اللـه تعالى التي دلت عليها أحاديث المصطفى ﷺ في النفس الإنسانية وخصائصها بوجه عام، والكشف عن الأساليب التي عبّر بها الرسول ﷺ عن السنن الإلهية في النفس الإنسانية، وبيان بعض السنن الواردة في الحديث؛ للارتقاء بالنفس وإصلاحها لتحقيق الفلاح لها في الدنيا والآخرة، وفق المنهج السنني المستنبط من هدي الرسولﷺ.
- الكشف عن سنن الهداية والضلال التي وردت في الحديث النبوي الشريف للأخذ بسنن الهداية وتفعيلها والإفادة منها في تربية النفس والنشء، والكشف عن سنن الضلال للابتعاد عنها، وفقا للمنهج النبوي من خلال تربية النفوس بناءً على ما أودع اللـه فيها من نواميسها.
- الكشف عن سنن الرزق الواردة في الحديث النبوي الشريف، وتصحيح الخطأ في النظرة تجاه الرزق، وأسبابه، وبيان الارتباط بين الرزق وفعل الإنسان.

منهج الدراسة:

اتبعت في الدرسة وفق المنهج التالي:

- جمع الأحاديث النبوية التي تتضمن أو تتعلق بسنن النفس بشكل عام، ثم انتقاء تلك الأحاديث التي تتعلق بسنن الهداية والضلال وسنن الرزق بوجه خاص، وذلك من خلال استقراء كتب السنة المشرفة.
- تخريج الأحاديث النبوية ودراسة أسانيدها والحكم عليها، واعتمدت فيما يتعلق بصلب الرسالة على الأحاديث الصحيحة والحسنة ولم أستشهد بالضعيفة في غير الشواهد اللغوية.

- عند تخريج الحديث الوارد في الصحيحين أو أحدهما، اكتفيت بتخريجه ضمن الكتب التسعة دون التوسع في غيرها، أما الأحاديث التي هي من غير الصحيحين فتوسعت في تخريجها بحسب الحاجة إلى ذلك.
- قدمت الروايات الأصح في التخريج.
- وفي الحكم على الأحاديث قمت بدراسة رجال السند جرحا وتعديلا، ثم عملت على دراسة الاتصال في الأسانيد في عدد في كتب الرجال، وفي حال اختلاف العلماء يكون الترجيح لحكم ابن حجر في التقريب، واستأنست بأقوال العلماء السابقين والمحدثين في الحكم على الأحاديث، صحة أو حسناً أو ضعفاً.
- كررت الأحاديث التي كان لها أكثر من دلالة في الاستشهاد في عدد من المواضع وأحيل عند التكرار إلى الموضع الأول حيث التخريج والحكم على الحديث.
- قمت باستنباط السنن الإلهية المختصة بالنفس الإنسانية التي تتعلق بسنن الهداية والضلال وسنن الرزق، ودراستها وصياغة صورة تتكون من هذه السنن الجزئية للخروج بصورة عن السنن التي يتناولها الفصل.
- عزرت ما وصلت إليه من فهم بأقوال العلماء السابقين والمحدثين سواء في كتب شروح الأحاديث، أو من غيرها من العلوم، واستفدت مما كتب في العلوم الأخرى مثل علم النفس وخاصة الديني منه، وكتب علم الأديان.
- اعتنيت بتوضيح المفاهيم التي عرضت لي في الدراسة، من الناحية اللغوية والاصطلاحية.

الدِّراسات السَّابقة:

تظهر أهمية السنن الإلهية من خلال اعتناء القرآن الكريم بعرضها وبيان الآثار المترتبة عليها، التي برزت من خلال تناول العلماء للآيات الواردة في السنن بالدراسة والتحليل، وذلك في كتب التفسير وبعض الدراسات التي تضمنت موضوع السنن مثل كتاب مجموع فتاوى ابن تيمية، إلا أنّهم لم يفردوا دراسة لها.

وقد وُجِدَ في دراسات علماء المسلمين المحدثين تَوَجّهٌ كبير نحو موضوع السنن الإلهية. وتأتي هذه الدراسة مبنية على الجهود السابقة في محاولة لدراسة الموضوع من خلال الحديث النبوي الشريف، حيث لا توجد دراسة -فيما اطلعت عليه- تختص بدراسة الموضوع في الحديث النبوي. ومن الدراسات السابقة التي أفدْت منها:

- عبد الكريم زيدان، السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط1 :1993.

- محمد باقر الصدر، السنن التاريخية في القرآن، صياغة محمد جعفر شمس الدين، دار التعارف للمطبوعات- سوريا، (د.ط) ط :1989.

- شريف الخطيب، السنن الإلهية في الحياة الإنسانية وأثر الإيمان بها في العقيدة والسلوك،الدار العثمانية- الأردن، ط1 :2004.

- محمد يوسف دوفش، الابتلاء في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، كلية الشريعة، الجامعة الأردنية، الأردن، 1999.

- عبد الرزاق محمد نصار محمد، "قضية الرزق في القران الكريم"، رسالة ماجستير غيرمنشورة، كلية الشريعة، الجامعة الأردنية، عمان،1987

صعوبات الدراسة:

تمثلت صعوبات الدراسة في قلة المصادر التي تعرضت لموضوع السنن الإلهية في النفس الإنسانية، وعدم تعرض العلماء لسنن الأفراد، إذ أن موضوع الدراسة موضوعا استنباطياً لا يعتمد على ألفاظ معينة تتواجد في الأحاديث أو مظان معينة في الكتب، بل إن المعلومات التي لا بد منها للتأسيس للموضوع والتأصيل له منثورة في جل كتب المكتبة الإسلامية، وهي كذلك تحتاج إلى استنباط وفهم دقيق للوصول إليها.

إضافة إلى أن عدم تمكني من الوصول إلى دراسة مهمة في الموضوع للباحث: عمر محمد عمر، بعنوان السنن الإلهية في النفس البشرية، والتي يوحي عنوانها بصلة وثيقة بموضوع دراستي.

خطة الدراسة:

قمت بتقسيم الدراسة إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة وفق التفصيل الآتي:

التمهيد

الفصل الأول: مفهوم السنن الإلهية في النفس الإنسانية.

المبحث الأول: مفهوم السنن الإلهية في اللغة والاصطلاح.

المبحث الثاني: مفهوم النفس الإنسانية في اللغة والاصطلاح.

المبحث الثالث: ألفاظ ومصطلحات ذات صلة بسنن الأفراد.

المبحث الرابع : أنواع السنن الإلهية وخصائصها وأساليب التعبير عنها.

المبحث الخامس: علاقة السنن الإلهية بالقدر.

ملخص الدراسة

السنن الإلهية في النفس الإنسانية في الحديث النبوي الشريف

سنن الهداية والضلال وسنن الرزق نموذجا

إعداد الطالبة: آلاء سعيد الفوارعة.

إشراف: الدكتور علي سعود عجين.

تدرس هذه الرسالة موضوعا مهما، وهو موضوع السنن الإلهية في النفس الإنسانية، دراسة تختص بما يتصل بالنفس الإنسانية من السنن، وتستقي هذه الدراسة أصولها من الحديث النبوي الشريف، لإظهار حقائق حول السنن الإلهية، ثم الكشف عن بعض تلك السنن ودراستها وعرضها وتحليلها، كنماذج لغيرها من السنن.

وتتألف هذه الرسالة من مقدمة عرضت فها أهمية الدراسة وسبب اختيار الموضوع ثم بينت مشكلة الدراسة ، وأهدافها والمنهجية التي اتبعتها فيها والدراسات السابقة، والصعوبات التي واجهتها أثناء الدراسة، بالإضافة إلى خطة البحث التي تم اعتمادها من قبل مجلس الكلية، ثم أتبعت المقدمة بتمهيد لموضوع السنن يعرض بعضا من اللفتات عن السن الإلهية في القرآن الكريم، ويعرض للسنن الإلهية عند الأقوام السابقة، ثم عند غير المسلمين اليوم.

وفي الفصل الأول بحثت في مفهوم السنن الإلهية في النفس الإنسانية، وفي أنواع السنن الألهية وخصائصها وأساليب التعبير عنها، أما المبحث الأخير، ووضحت في هذا الفصل كذلك علاقة السنن الإلهية بالقدر.

ويعد الفصلان الثاني والثالث نماذج تطبيقية لما جاء في الفصل الأول عن سنن النفس الإنسانية عامة؛ حيث عرضت الدراسة في الفصل الثاني لسنن الهداية والضلال حيث درست فيه تعريف الهداية والضلال ثم بحث في السنن المتعلقة بهما، وفي الفصل الثالث قامت الباحثة بدراسة السنن الإلهية في الرزق، وأتبعت تلك الفصول بخاتمة ذكرت فيها أهم النتائج وبعضاً من التوصيات.

التمهيـد

التمهيد

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وأصحابه و أزواجه الطيبين الطاهرين أجمعين.

السنن الإلهية في القرآن الكريم.

إن موضوع السنن الإلهية من الموضوعات ذات الأهمية والمتصلة بكل تفاصيل حياة الإنسان فرداً وجماعة، والعلم به من أنفع العلوم للإنسان.

لذا فإن اللـه جل شأنه أمدَّ الإنسان بهذه المعرفة ولفت نظره إليها وأمره بضرورة العلم والعمل بها ويظهر هذا جلياً في القرآن الكريم، حيث ذكر اللـه سبحانه السنن في القرآن الكريم في أحد عشر موضعاً تارة بصيغة الجمع وأخرى بصيغة الإفراد ومنها قوله سبحانه:﴿ **قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانْظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ** ﴾ (1) وقوله جل شأنه:﴿ **يُرِيدُ اللـه لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللـه عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾(2) وقوله تعالى:﴿ **سُنَّةَ اللـه فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللـه تَبْدِيلًا**﴾(3) وقوله:﴿ **سُنَّةَ اللـه الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللـه تَبْدِيلًا**﴾(4)

جاء القرآن الكريم بتأصيل للسنن الإلهية فعرضها بصورة علمية واضحة وشكّل منها نظرية متكاملة، حيث جاءت آيات القرآن الكريم بنماذج من سنن اللـه في خلقه، وبمعالجات لها كما تضمنت آيات القرآن الكريم وصفاً لهذه السنن، ووردت بعض السنن في القرآن الكريم بلفظ صريح ووردت أخرى على صورة النواميس، يقول عماد الدين خليل:" القرآن يطرح على العقل البشري ولأول مرة مسألة السنن والنواميس التي تسير حركة التاريخ"(5).

فتشكّل بما جاء في القرآن وفي السنة المشرفة صورة متكاملة للسنن، وأسس الإسلام نظرية في السنن لم يسبقه إليها أي دين أو فكر أو فلسفة، يقول محمد باقر الصدر:" وهذا المفهوم القرآني يعتبر فتحا عظيما للقرآن الكريم لأننا في حدود ما نعلم القرآن أول كتاب عرفه الإنسان أكد على هذا المفهوم ... ويبقى للقرآن مجده لأنه طرح هذه الفكرة لأول مرة على الساحة البشرية"(6) ويرى محمد رشيد رضا أن السنن:" إرشاد إلهي لم يعهد في

---

(1) آل عمران: 137.
(2) النساء: 26.
(3) الأحزاب: 62.
(4) الفتح: 23.
(5) عماد الدين خليل، حول تشكيل العقل المسلم، دار العالمية للكتاب الإسلامي- الرياض، ط5: 1992، ص68.
(6) محمد باقر الصدر، السنن التاريخية في القرآن، صياغة محمد جعفر شمس الدين، دار التعارف للمطبوعات- سوريا،(د.ط) ط :1989، ص62-63.

كتاب سماوي ولعله أرجئ إلى أن يبلغ الإنسان كماله الاجتماعي فلم يرد إلا في القرآن الذي ختم اللـه به الأديان"[1]

السنن الإلهية في الديانات السماوية السابقة:

شأن السنن في الأمم السابقة والأقوام الماضية شأن باقي أمور الدين من عقائد وعبادات وشرائع، واءمت حال الإنسانية في المراحل التي مرت بها، وهذا يعني أن الأقوام السابقة جاءها أنبياؤها بسنن اللـه عز وجل في الإنسان سواءً السنن الاجتماعية أو السنن الفردية، كما أنَّ هذه المعرفة من السنن كانت بالقدر الذي يستطيعون إدراكه وتحتمله عقولهم وتجاربهم، وتأسيس النظرية الكاملة للسنن إنما جاء بعد أن وصلت الإنسانية إلى قدر من المعرفة والفهم اللذين يؤهلانها لفهم هذه النظرية والقدرة على بنائها والاستفادة منها فكان الفضل للقرآن الكريم والسنة المطهرة في وضع أسس هذا العلم.

ومن السنن التي أرشد اللـه إليها البشرية سنة الهداية والضلال، وهي من أوائل السنن التي بلغها اللـه آدم عليه السلام على الأرض، وذلك حين أوحى له:﴿ **فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ۝ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا**﴾[2]

وبسنة رزق الأمم ورخائها يخبر نوح عليه السلام قومه وذلك في قوله:﴿ **فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا۝ يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا** ﴾[3].

ولفت شعيب عليه السلام أنظار قومه إلى سنة محق وإهلاك الأمم الكافرة والمعرضة عن هدي اللـه، وذلك من خلال تذكيرهم بمشاهداتهم لما حل بالأقوام قبلهم، وأن ما أصابهم ليس ببعيد عن قومه، إذا فعلوا فعلهم، يقول تعالى على لسان شعيب عليه السلام:﴿ **وَيَا قَوْمِ لاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ**﴾[4]، وقد وعى السنن عن الأنبياء من آمن من أقوامهم، وذكَّروا بها، ومن هؤلاء مؤمن آل فرعون يخبر اللـه عنه ﴿ **وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ۝ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ وَمَا اللـه يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ** ﴾[5]

كما نجد أن الأقوام السابقة عرفت سنة محق الرزق لمن كفره، ويظهر هذا من خلال قصة صاحب الجنتين الذي أنكر فضل اللـه عليه ونعمته وجحدهما فقال له صاحبه معلما ومذكرا ﴿ **فَعَسَى رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا**

(1) محمد رشيد رضا(1935م)، المنار، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1: 1999، ج4، ص115
(2) طه:123- 124.
(3) نوح:10- 12.
(4) هود: 89.
(5) غافر:30- 31.

مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاء فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا﴾[1]

وفي سنة الابتلاء أخرج مسلم من حديث صهيب رضي اللـه عنه عن الرسول صلى اللـه عليه وسلم قصة الراهب والغلام والساحر التي تدلل على أن علماء ورهبان الأمم السابقة كانوا على علم بأن الابتلاء سنة ملازمة للدعوات، فقد قال الراهب للغلام:" **وَإِنَّكَ سَتُبْتَلَى فَإِنْ ابْتُلِيتَ فَلَا تَدُلَّ عَلَيَّ**"[2] .

وفي سنة الجزاء وأن الإنسان يُحْفَظُ بالخير يعمله. أخرج البخاري حديث أصحاب الغار الذي يبين أن الرجال كانوا على علم بهذه السنة، حين قال بعضهم لبعض لما أطبق عليهم الغار:" **إِنَّهُ وَاللـه يَا هَؤُلَاءِ لَا يُنْجِيكُمْ إِلَّا الصِّدْقُ فَلْيَدْعُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِمَا يَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ صَدَقَ فِيهِ**"[3].

فكل ما سبق يدلل على أن الأمم السابقة علمت شيئاً عن السنن، ولكنها وإن كان لديها قدر من العلم بالسنن، إلا أن حالها معها كان في غالبه سلبيًّا، وهو ما أورد الأمم السابقة موارد الهلاك، وأدى إلى نزول عذاب اللـه عليها، فهي لم تنتفع بما عندها من علم، أو أنها نسيت، أو تجاهلت ما جاءها به أنبياء اللـه من علم.

وهذا الجهل والترك لسنن اللـه كان ملازماً لكل الأقوام التي ابتعدت وأعرضت عن منهج اللـه، فأنزل اللـه بهم العقاب وأبادهم.

أخرج البخاري من حديث عائشة رضي اللـه عنها قول ورقة بن نوفل حين بُعث الرسول ﷺ :" **يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقَالَ ﷺ : أَوَمُخْرِجِيَّ هُمْ، قَالَ: نَعَمْ لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا**"[4] يبين الحديث أن سنة ابتلاء الأنبياء والدعوات كانت من مدركات ورقة بن نوفل، كما ويبين أنه كان لدى السيدة خديجة قبس من العلم بسنة الجزاء وأن جزاء من

(1) الكهف:40 -41.

(2) أخرجه مسلم بن الحجاج(261هـ)، المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول اللـه : المعروف بصحيح مسلم، ترقيم محمد تميم وهيثم تميم، دار الأرقم- بيروت، ط1: 1999، كتاب: الزهد والرقائق، باب: قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام، (ص1145، برقم:3005)، قال حدثنا هَدَّاب بن خالد حدثنا حمَّاد بن سلمة حدثنا ثابت عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب به، وأخرجه محمد بن عيسى الترمذي(270هـ)، الجامع الكبير، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي- بيروت، ط2: 1998، في كتاب: التفسير، باب: ومن سورة البروج، (ج5، ص363، برقم:3340)، بدون اللفظ المذكور، وأحمد بن حنبل(241هـ)، مسند أحمد، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرون، الرسالة- بيروت، ط1: 1999، (ج39، ص350، برقم:23931)، كلاهما من طريق ثابت وهو البُناني نحوه وصهيب هو الرومي رضي اللـه عنه

(3) أخرجه محمد بن إسماعيل البخاري(256هـ)، الجامع الصحيح المسند المختصر من أمور رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم وسننه وأيامه، دار السلام- الرياض، ط2: 1999، في كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: حديث الغار، ص584، برقم:3465، حدثنا إسماعيل بن خليل أخبرنا علي بن مسهر عن عبيد اللـه بن عمر عن نافع عن ابن عمر، ومسلم، كتاب:الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: قصة أصحاب الغار والتوسل بصالح الأعمال، ص1051، برقم:2743، وأخرجه سليمان ابن الأشعث الأزدي أبو داوود(275هـ)، سنن أبي داوود، تحقيق محمد عوامة، دار القبلة- جدة، ط1: 1998، في كتاب: البيوع، باب: في الرجل يتجر بمال الرجل بغير إذنه بدون موضع الشاهد، (ج4، ص137، برقم:3380)، وأحمد، (ج10، ص180، برقم:5973)، كلهم من طريق ابن عمر نحوه.

(4)أخرجه البخاري، في كتاب: بدء الوحي، باب: بدء الوحي، (ص1، برقم:3)، قال حدثنا يحيى بن بُكَير قال حدثنا اللَّيث عن عُقَيل عن ابن شهاب عن عُروة بن الزبير عن عائشة أم المؤمنين به، ومسلم، كتاب: الإيمان، باب: بدء الوحي، (ص88، برقم:160)، وأحمد، (ج43، ص52، برقم:25865)، كلاهما من طريق الليث وهو ابن سعد نحوه وعُقَيل هو ابن خالد بن عُقَيل.

جنس العمل فقالت للرسول ﷺ:" **كَلَّا وَاللـه مَا يُخْزِيكَ اللـه أَبَدًا إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَحْمِلُ الْكَلَّ وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ وَتَقْرِي الضَّيْفَ وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ**"[1]

غير أن معرفة أهل الجاهلية بالسنن كانت محدودة وغير واضحة، وتقتصر على فئة منهم، يقول سيد قطب في حال الجاهلية قبل الإسلام مع السنن:" فأمر السنن لم تعرفه العرب قبل نزول القرآن الكريم، بل كانوا يجهلونه، فكل تجاربهم ومعارفهم البسيطة لم يتوصلوا من خلالها لمثل هذه المعرفة، ولمّا بسط الإسلام جناحيه في الجزيرة لفت أنظار البشرية إلى هذه السنن، فعرفتها الأمة من خلال القرآن الكريم"[2]

ولا بد من الإشارة أخيراً إلى الفرق بين جهل الأمم بالسنن الناتج عن تجاهلهم، وتحريفهم أديانهم، والجهل الكائن من عدم إبلاغ أنبيائهم بها، فجهلهم لم يأت من قِبَل عدم التبليغ، وإنما من قِبَل أنفسهم التي أعرضت وتناست ما ذُكِّروا به.

السنن الإلهية عند غير المسلمين اليوم:

لعلماء الغرب مؤلفات في قوانين الحضارات وأسباب ارتقائها وأسباب اضمحلالها ومن هؤلاء العلماء غوستاف لوبون والذي ألف كتاف السنن النفسية لتطور الأمم والشعوب، غير أن مجمل حال الغرب مع السنن أنهم أخذوا ببعض السنن وتركوا أغلبهم، لذا فإن حضارتهم مشوهة بلغت الذروة في جانب وضعفت واضمحلت في جوانب، كما أن علمهم بما علموا من السنن جانَبَ الصواب في كثير منه، وقد وصف محمد رشيد رضا حالهم مع السنن بقوله:" وأمّا الإفرنج فهم وإن كانوا على علم واسع بسنن اللـه في أحوال البشر، وسائر أمور الكون قد نالوا به ملكا عظيما في الأرض، فأكثرهم يجهل مصدر هذه السنن، وحكم اللـه تعالى فيها"[3]

وخلاصة ما سبق أن الناس مع ابتعادهم عن دين اللـه ومنهجه يترددون بين جاهليتين في السنن، جاهلية ما قبل الإسلام، وجاهلية اليوم، وهما اللتان أشار إليهما سيد قطب بقوله:" إن النظام القبلي الذي كانوا- العرب الجاهليون- يعيشون في ظله، ما كان ليقود تفكيرهم إلى الربط بين سكان الجزيرة ومجريات حياتهم، فضلا على الربط بين سكان هذه الأرض وأحداثها، فضلا على الربط بين الأحداث العلمية والسنن الكونية، وهي نقلة بعيدة حملتهم إليها العقيدة في ربع قرن من الزمان، على أن غيرهم من معاصريهم لم يرتفعوا إلى هذا الأفق من التفكير إلا بعد قرون، ولمّا اهتدوا إلى ثبات السنن والنواميس نسوا أنّ معها كذلك طلاقة المشيئة الإلهية"[4].

---

(1) سبق تخريجه، الموضع السابق.

(2) سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، ط:1981، ج3، ص1482.

(3) محمد رشيد رضا، المنار، ج9، ص18-19.

(4) سيد قطب، الظلال، ج1، ص479.

الفصل الأول

مفهوم السنن الإلهية في النفس الإنسانية

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم السنن الإلهية في اللغة والاصطلاح.

المبحث الثاني: مفهوم النفس الإنسانية في اللغة والاصطلاح.

المبحث الثالث: ألفاظ ومصطلحات ذات صلة بسنن الأفراد.

المبحث الرابع: أنواع السنن الإلهية وخصائصها وأساليب التعبير عنها.

المبحث الخامس: علاقة السنن الإلهية بالقدر.

المبحث الأول: مفهوم السنن الإلهية

قبل الشروع بدراسة موضوع السنن الإلهية في الحديث النبوي الشريف، وتحديدًا تلك التي تتعلق منها بالنفس الإنسانية، لا بد من بيان مفهوم السنّة في اللغة والاصطلاح.

المطلب الأول: معنى السنة في اللغة وشواهدها في الحديث النبوي الشريف.

الفرع الأول: معنى السنة في اللغة.

للسّنّة– واشتقاقاتها- في اللغة دلالات واسعة، واستعمالات كثيرة؛ منها الحقيقي ومنها المجازي، والباحث في معاجم اللغة يدرك هذا التوسع في الدلالة، والكثرة في الاستعمال.

ومن علماء اللغة من حاول استيعاب تلك المعاني والاستعمالات، والدلالات اللغوية، والاصطلاحية للسنن، ومنهم من نَظَمَها كلها تحت أصل أو أصول قليلة وردها إليه، وأرى أنه من المفيد دراسة المعنى اللغوي للسنة وفقا للمنهج الثاني ليتضح الأصل أو الأصول اللغوية للسّنة، ويبرز من هذه الأصول أصلين هما:

الأصل الأول: الطريق المادي والمعنوي: يقول شِمَر[(1)]: "السُّنَّة في الأصل سنَّة الطريق، وهو طريق سنَّه الأوائل فصار مسلكا لمن بعدهم"[(2)]، ويقدِّم الزمخشري كلامه في معنى السنة بقوله:" سنّ سنّة حسنة؛ طرَق طريقة حسنة"[(3)]، ويلاحظ الجامع المشترك بين المعنى عند كليهما، غير أن الأول اختص بالاستعمال المادي المحسوس، والثاني بالمعنى المعنوي.

الأصل الثاني: الصقل والحدّ: يرى ابن الأعرابي[(4)] أن" السَّنّ مصدر سنَّ الحديد سنًّا، وسنَّ للقوم سنَّة وسننًا"[(5)]، و"سنَّ المنطق إذا حسَّنه كأنَّه صقله وزيَّنه "[(6)]، وهذا المعنى الذي يُرْجِعُ إليه الزّبيدي السُّنَّة بمعنى الوجه حيث يقول:" السُّنَّة الوجه لصقالته وملاسته"[(7)]، فكأنَّ الجامع بين سَنِّ السِّكِّين وإطلاق السّنة على الوجه،

---

(1) هو شمر بن حمدويه الهروي (ت 255هـ)، لغوي أديب له مؤلفات منه غريب الحديث، توفي ، ينظر: الزركلي، الأعلام، دار الفكر- بيروت، ط2: 1979، ج3، ص175

(2) ينظر: محمد مرتضى الزبيدي (1205هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، دار ليبيا– بني غازي، (د.ط) ط:1966، ج9، ص244.

(3) محمود بن عمر الزمخشري (538هـ)، أساس البلاغة، مكتبة لبنان– بيروت، ط2 :1996، ص216.

(4) هو محمد بن زياد أبو عبد اللـه (ت 231هـ)، راوية نسابة علاّمة باللغة لم يكن أحد أعلم بالشعر منه له عدة مصنفات منها أسماء الخيل، الزركلي، الأعلام، ج6، ص131.

(5) ينظر: محمد بن منظور الإفريقي (711هـ)، لسان العرب، دار صادر– بيروت، (د.ط)، ط:1968، ج 13، ص223.

(6) ابن منظور، لسان العرب، ج13، ص223.

(7) الزبيدي، تاج العروس، ج9، ص244، وابن منظور، لسان العرب، ج13، ص223.

الصَّقالة والملاسة التي تحدث للسِّكين بالسَّنِّ والصَّقالة والملاسة في الوجه، ويقول أبو سعيد[(1)] "يسنُّ الإبل على الخلَّة؛ يقوّيها كما يقوي السَّنّ حدَّ السِّكِّين"[(2)] فَرَدَّ معنى السَّن إلى التَّقوية الحادثة من الصَّقل.

وقد جمع ابن فارس الأصلين السابقين وجعلهما تحت أصل واحد فقال:" السين والنون أصل واحد مطَّرد وهو جريان الشَّيء واطِّراده في سهولة.. والأصل قولهم سَنَنْت الماء على وجهي إذا أرسلته، ثم اشتُقَّ منه رجل مسْنون الوجه، كأنَّ اللَّحم قد سنَّ على وجهه.. ومما اشتُقَّ منه السُّنَّة وهي السِّيرة وإنما سُمِّيَت كذلك لأنها تجري جريًا..، وجاءت الرِّياح سنائن إذا جاءت على طريقة واحدة، ثم يُحْمَل هذا المعنى على سننْت الحديدة أسنّها إذا أمررتها على السِّنان..، والسِّنان الرُّمْح لأنَّه مسنون، ومن الباب سِن الإنسان وغيره مشبه بسنِّ الرُّمح، فأمَّا قولهم سنَّ إبله إذا رعاها، فإنَّ معنى ذلك أنَّه رعاها حتى حسنت بشرتها، فكأنَّه صقلها صقلاً كما تسنّ الحديدة، هذا معنى الكلام ويرجع إلى الأصل الذي أصَّلناه."[(3)]

ومما سبق يمكننا تلمس بعض دلالات الجذر وما تصرف منه، فهو يفيد التِّكرار والتَّتابع، وإحداث طريق مادِّيَّة أو معنوية من جريان التَّكرار على صفة واحدة ثابتة ليست متغيرة، كما يُعَبِّر اللَّفظ عن الوضوح فكلَّما تكرر الشَّيء وضح وبان يقول الزُّبيدي:" سنَّ الأمر سنا إذا بينه وسنَّ اللـه سُنَّة بين طريقا قويمًا"[(4)]

وتجدر الإشارة إلى أنَّ لفظ السُّنَّة - بمعنى التكرار والجريان- لا يدل على حسْن أو قُبْح في الطَّريقة، وهذا ما يؤكد عليه الكفوي بقوله "السُّنَّة الطَّريقة ولو غير مرضية"[(5)].

الفرع الثاني: شواهد معاني لفظ السُّنَّة في الحديث النَّبوي الشَّريف.

تكرر جذر(سنّ) وما تصرف منه في الحديث النَّبوي بعدد من الاستعمالات اللّغوية السَّابقة، وفيما يلي عرض لأمثلة منها:

1. تأتي السُّنَّة بمعنى إنشاء طريقة، روى مسلم من حديث عبد اللـه البجلي رضي اللـه عنه عن رسول اللـه ﷺ :" **مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ** "[(6)] ويتَّضِح من الحديث أنّ السنة قد تتصف بالخير أو بالشر.

---

(1) هو أحمد بن خالد الضرير كان عالما باللغة له عدة مؤلفات منها الرد على أبي عبيدة في غريب الحديث، الزركلي، الأعلام، ج1، ص205.

(2) ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج13، ص223.

(3) أحمد بن فارس بن زكريا (395هـ)، معجم مقاييس اللغة، دار الفكر– بيروت، (د.ط) ط :1979، ج3، ص60- 61، مختصرا.

(4) الزبيدي، تاج العروس، ج9، ص343.

(5) أيوب بن موسى الكفوي(1683هـ)، الكليات، مقابلة عدنان درويش ومحمد المصري، الرسالة– بيروت، ط1 :1992، ص497.

(6) أخرجه مسلم في كتاب: الزكاة، باب: الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة وأنها حجاب من النار، ص365، برقم: 1017، قال حدثني محمد بن المثنى العَنَزِيُّ أخبرنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن عون بن أبي جُحَيفَةَ عن المنذر بن جرير عن أبيه به، الترمذي، كتاب: العلم، باب: ما جاء فيمن دعا إلى هدى فاتبع أو إلى ضلالة، (ج4، ص407، برقم: 2675)، وعبد الرحمن بن أحمد بن شعيب النسائي(303هـ)، سنن النسائي، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1: 2002، في كتاب: الزكاة ،باب: التحريض

2. وتأتي بمعنى السِّيرة كما في رواية أحمد بن حنبل من حديث العرباض رضي اللـه عنه ﷺ:" **أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللـه وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ يَرَى بَعْدِي اخْتِلَافًا كَثِيرًا فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**"[(1)]

3. ووردت السُّنَّة بمعنى الصقل والحدّ، روى البخاري من حديث أبي بردة عن أبيه رضي اللـه عنه قال:" **قَالَ أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللـه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَجَدْتُهُ يَسْتَنُّ بِسِوَاكٍ بِيَدِهِ يَقُولُ أُعْ أُعْ وَالسِّوَاكُ فِي فِيهِ كَأَنَّه يَتَهَوَّعُ**"[(2)]، والاستنان هو دلك الأسنان وحكّها بالسِّواك[(3)].

4. وجاءت تحمل معنى التّبيين فقد أخرج مالك عن الرَّسول ﷺ أنَّه قال:" **إِنِّي لَأَنْسَى أَوْ أُنَسَّى لِأَسُنَّ**"[(1)] قال ابن الأثير:" أي أبين لهم ما يحتاجون أن يفعلوا إذا عرض لهم النِّسيان"[(2)].

على الصدقة، ص419، برقم: 2551، محمد بن يزيد القزويني المعروف بابن ماجة(275هـ)، سنن ابن ماجة(275هـ)، تحقيق بشار عواد معروف، دار الجيل- بيروت، ط1: 1998، في المقدمة، باب: من سن سنة حسنة أو سيئة، (ج1، ص199، برقم: 203)، أحمد، (ج31، ص509، برقم: 19174)، وعبد اللـه بن عبد الرحمن الدارمي(255هـ)، مسند الدارمي، تحقيق حسين سليم أسد، دار المغني- الرياض، ط1: 2000، في كتاب: المقدمة، باب: من سن سنة حسنة أو سيئة، (ج1،ص443، برقم:529)، كلهم من طريق جرير عن أبيه وهو جرير بن عبد اللـه البجلي به.

(1) أخرجه أحمد قال حدثنا الضَّحَّاك بن مَخْلَد عن ثور عن خالد بن معدان عن عبد الرحمن بن عمرو السلمي به، (ج28، ص373، برقم: 17144)، والترمذي، في كتاب: العلم، باب: ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدعة، (ج4، ص408، برقم: 2676)، أبو داوود، كتاب: السنة، باب: في لزوم السنة، (ج5، ص192، برقم:4599)، وابن ماجة، في المقدمة، باب: اتباع سنة الخلفاء، (ج1، ص13، برقم:44)، والدارمي، في المقدمة، باب: اتباع السنة، (ج1، ص228، برقم:96)، وأخرجه علي ابن بلبان الفارسي(739هـ)، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، تحقيق شعيب الأرناؤوط، الرسالة- بيروت، ط1: 1988، (ج1، ص178، برقم: 5)، وسليمان بن أحمد الطبراني(360هـ)، المعجم الكبير، تحقيق حمدي السلفي، مطبعة الأمة- بغداد، ط2: 1984، (ج18، ص245، برقم: 617)، وأبو عبد اللـه الحاكم(405هـ)، المستدرك على الصحيحين، بإشراف يوسف مرعشلي، دار المعرفة- بيروت(د.ط) (د.ت)، ج1، ص96، ومحمد بن الحسين البيهقي(458هـ)، السنن الكبرى، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1: 1994، (ج10، ص195، برقم: 20338)، كلهم بطرق عن خالد بن معدان عنه نحوه.

والحديث بهذا الإسناد **حسن** رجاله ثقات فيه عبد الرحمن بن عمرو السلمي **مقبول** ينظر أحمد بن علي بن حجر العسقلاني(852هـ)، تقريب التهذيب، بيت الأفكار- عمان، (د.ط) (د.ت)، ص372، برقم: 3966، وليس له غير هذا الحديث ولم يثبت فيه ما يُرَدُّ حديثه به لذا قال ابن حجر:" صحح له الترمذي وابن حبان والحاكم... وزعم ابن القطان أنه لا يصح لجهالة حاله"، تهذيب التهذيب، تحقيق مأمون شيحا، دار المعرفة- بيروت، ط1: 1996، (ج3، ص380، برقم4630)، ويشعر قول ابن حجر بعدم قبول قول القطان، ووَثَّقَهُ محمد بن حبان البستي(354هـ)، الثقات، اعتناء إبراهيم شمس الدين وتركي فرحان، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1: 1998، (ج2، ص326، برقم:2505)، وقال الذهبي: صدوق (الكاشف، ج2، ص174، برقم:3310) دار الفكر- بيروت، ط1: 1997، وللحديث متابعات أخر من غير طريق عبد الرحمن السلمي، فهو **صحيح بمجموع طرقه**، قال الترمذي: حسن صحيح، وقال الحاكم: صحيح ليس له علة ووافقه الذهبي، وقال ابن حجر:" هذا حديث صحيح رجاله ثقات"، موافقة الخُبر الخَبر في تخريج أحاديث المختصر، تحقيق حمدي السلفي وصبحي السامرائي، دار الرشد- الرياض، ط1: 1992، (ج1، ص137)، وصححه محمد ناصر الدين الألباني، السلسلة الصحيحة، المكتب الإسلامي- بيروت، ط4: 1985، (ج1، ص648، برقم: 937)، وقال شعيب الأرناؤوط:" صحيح بطرقه"، ينظر: تحقيق مسند أحمد، (ج28، ص367).

(2) أخرجه البخاري، كتاب: الوضوء، باب: السواك، ص45، برقم: 244، قال حدثنا أبو النُّعْمان قال حدثنا حَمَّاد ابن زيد عن غَيْلَانَ بن جرير عن أبي بُرْدَةَ عن أبيه به، وأخرجه مسلم، في كتاب: الطهارة ،باب: السواك، ص114، برقم:254، بدون اللفظ المذكور، والنسائي، في كتاب: الطهارة، باب: كيف يستاك، ص9، برقم:3، وأبو داوود، في كتاب: الطهارة، باب: كيف يستاك، (ج1، ص172، برقم:50)، بدون اللفظ المذكور، كلهم من طريق حماد بن زيد نحوه ،وأبو النعمان هو محمد بن فضل السدوسي، وأبو بُردة هو عامر بن عبد اللـه وأبوه عبد اللـه بن قيس أبو موسى الأشعري.

(3) عياض بن موسى (544هـ)، مشارق الأنوار على صحاح الآثار، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1 :2002، ج2، ص377.

المطلب الثاني: السُّنن الإلهية في الاصطلاح.

وردت السنن عند العلماء بعدة معان، حيث إنهم استقوا تعريفهم للسُّنَّة الإلهية من آيات القرآن الكريم حيث وردت لفظة السُّنن الإلهية في مواضع محدَّدة- وإن كانت قد عُولِجَت أيضًا في غير هذه المواضع- فـوردت في القرآن الكريم في أحد عشر موضعًا منها قوله تعالى:﴿ **مَّا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ الـلـه لَـهُ سُـنَّةَ الـلــه فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ الـلـه قَدَرًا مَّقْدُورًا**﴾[3] وقوله:﴿ **سُنَّةَ الـلــه فِي الَّـذِينَ خَلَـوْا مِـن قَبْـلُ وَلَـن تَجِـدَ لِسُنَّةِ الـلـه تَبْدِيلًا** ﴾[4] وقوله:﴿ **سُنَّةَ الـلـه الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ الـلـه تَبْدِيلًا** ﴾[5]، كما ورد لفـظ السُّنن بالمعنى الاصطلاحي في الحديث النَّبوي غير أنَّ هذا أقل منه في القرآن الكريم بل يكاد يكون موضـعاً واحـداً فقط وذلك فيما أخرجه البخاري من حديث أبي سعيد الخدري رضي الـلـه عنه عن الرَّسول ﷺ :" **لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَـنْ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ حَتَّى لَوْ سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ الـلـه الْيَهُودَ وَالنَّـصَارَى؟ قَـالَ: فَمَنْ؟** "[6].

وتعريف المصطلحات مـن خـلال النّـصوص التـي وردت فيهـا أحـد أسـباب اخـتلاف العلـماء في تعريـف المصطلحات عامة ومنها السُّنن، إذ أنَّ أكثر من عرَّف السُّنن جاء تعريفه بها من خلال تفسير آية، ومثال ذلـك قـول الطَّبري حيث عرَّف السُّنن بأنَّها" مَثُلاتٍ سِيْرَ بها فيهم – الأمم السابقة – وفيمن كذبوا"[7] فعـرّف الـسُّنَّة الـواردة في الآية:﴿ **قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانْظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَـذِّبِينَ** ﴾[8] ولـيس الـسُّنن بـشكل

---

(1) مالك بن أنس الأصبحي(179هـ)، الموطأ، من رواية أبي مصعب الزهراني، تحقيق بشار عواد معـروف ومحمـود خليـل، الرسـالة- بيروت، ط2: 1992، كتاب: السهو، باب: العمل في السهو، (ج1، ص189، برقم: 489)، قال ابن عبد البر:" أمـا هـذا الحـديث بهـذا اللفظ فلا أعلمه يروى عن النبي بوجه من الوجوه مسندا ولا مقطوعا من غير هذا الوجه- والـلـه اعلـم- وهـو أحـد الأحاديـث الأربعة في الموطأ التي لا توجد في غيره مسندة ولا مرسلة- والـلـه أعلم- ومعناه صحيح في الأصول وقد مضت آثار في باب نومـه ﷺ عن الصلاة تدل على هذا المعنى نحو قوله ﷺ:" إن الـلـه قـبض أرواحنـا لتكـون سـنة لمـن بعـدكم "، يوسـف بـن عبـد الـبر (463هـ)، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والمسانيد، تحقيق محمد عبد القادر عطـا، دار الكتـب العلميـة- بـيروت، ط1 :1999، ج1، ص559.

(2) المبارك بن محمد الشيباني ابن الأثير(606هـ)، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق خليل مأمون شيحا، دار المعرفة- بيروت، ط1 :2001 ، ج1، ص813.

(3) الأحزاب : 38.

(4) الأحزاب: 62.

(5) الفتح: 23.

(6) أخرجه البخاري، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: ما ذكر عن بني إسرائيل، (ص582، برقم:3456)، قال حدثنا سعيد ابـن أبي مـريم حدثنا أبو غسّان قال حدثني زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد به، ومسلم، كتاب: العلم، بـاب: اتبـاع سـنن اليهـود والنصارى، (ص1029، برقم:2669)، وأحمد، (ج18، ص322، برقم:11800)، كلاهما من طريق زيد بن أسلم نحوه، وأبو غسّان هو محمد بن مطرف بن داوود وأبو سعيد هو الخُدْرِي، وأخرجه ابن ماجة من حديث أبي هريرة، في كتاب: الفتن ،باب: افتراق الأمم، (ج5، ص473، برقم: 3994)، من طريق محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة.

(7) محمد بن جرير الطبري(310هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، دار الكتب العلمية- بيروت، ط3 :1999، ج3، ص443، والمثلات جمع مَثُلَة وهي العقوبة، ينظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج5، ص297.

(8) آل عمران: 137.

عام، وكذلك الألوسي في قوله:" وقائع في الأمم المكذِّبة أجراها اللـه حسب عادته"[1]، وإن أشار إلى أنَّ العقوبة تابعة لأمر آخر وهو (عادة اللـه) ويقصد بها فعله وأمره سبحانه المتكرر[2].

وإن كان الأمر كما سبق فإنَّ للعلماء في تعريف السُّنن الإلهية كلام مفيد يمكن دراسته والبناء عليه للوصول إلى تعريف يجمع أقوالهم ولا يناقض النصَّ الذي خرجت من رحمه التَّعاريف.

يقول ابن تيمِّيَّة في تعريفه للسنن الإلهية:" هي العادة التي يتضمن أن يُفعل في الثاني مثل ما فعل بنظيره الأول"[3] ويفيد كلامه أنَّ السُّنَّة هي عادة وهي تكرار الحدوث ومعاودته مرة بعد مرة إذا تحقَّق التَّناظر وتابعه على ذلك ابن عاشور فقال:" السُّنَّة هي الطَّريقة والعادة، جعل اللـه ذلك سنَّة أي جعله عادة له.

وعرفها الفراهي بأنها:" الطريق المرعية في أفعال اللـه، وهي طريق العدل والرحمة"[4]، فأضاف إلى ما سبقه من تعاريف الإشارة إلى صفتي العدل والرَّحمة، وإن كانت صفة العدل تُدرك من كلام ابن تيميّة حيث إن استواء حكم النَّظائر وجه من وجوه العدل، وتَعَرَّض الرَّاغب كذلك لصفة الحكمة في قوله:" سنَّة اللـه قد تقال لطريق حكمته وطريق طاعته"[5].

ومن المُحْدَثين عرّف عبد الكريم زيدان السُّنن بأنَّها:" الطَّريقة المتَّبعة في معاملة اللـه تعالى للبشر على سلوكهم وأفعالهم وموقفهم من شرع اللـه وأنبيائه، وما يترتَّب على ذلك من نتائج في الدُّنيا والآخرة"[6] وهو تعريف يقارب تعريف ابن تيمية من حيث تبيين ماهيَّة السُّنَّة وهو تعريف يقتصر على السُّنن الإنسانية الشَّرطية، وعرَّفها شريف الخطيب بأنَّها:" منهج اللـه تعالى في تسيير هذا الكون وعمارته وحكمه وعادة اللـه في سير الحياة الإنسانيَّة وعادته في إثابة الطائعين وعقاب المخالفين طبق قضائه الأزلي على مقتضى حكمته وعدله"[7] وهو تعريف يشير إلى شمول السُّنن وعموم محل عملها.

ويمكن تلخيص أقوال العلماء في السنن بأنها: **النواميس، والمثلات، والنواميس، ووقائع الأمم السابقة، والعادة الثابتة، والطريقة المتبعة.**

---

(1) محمود الألوسي(1270هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط1 :1999، ج3، ص381.

(2) " يرى بعضهم أن استعمال كلمة عادات اللـه لا يليق بالذات الإلهية باعتبار أن العادة شيء ثبت بعد أن لم يكن بالتكرار، أو باعتبار أن العادة طبيعة ثابتة، والواقع أن الصفات إذا أثبتت لـله تكون توقيفية تليق باللـه تعالى دون تشبيه أو تمثيل أو تعطيل" راشد شهوان ، مدخل إلى السنن الربانية، من بحوث المؤتمر الخامس لكلية الشريعة بجامعة الزرقاء الأهلية، تحرير جمال أبو حسان وأنور الشلتوني، عمان- الأردن، لعام:23-2003/7/24، ص48.

(3) أحمد بن عبد الحليم بن تيمية(728هـ) ،التفسير الكبير، تحقيق عبد الرحمن عميرة، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1 (د.ت)، ج1، ص112.

(4) نقله: أحمد فرحات، سة اللـه التي لاتتبدل ولاتتحول، دار عمار- الأردن، ط1: 1999، ص10، عن عبد الحميد الفراهي، في كتابه القائد إلى عيون العقائد.

(5) الحسين بن الفضل الراغب الأصفهاني(503هـ)، معجم مفردات ألفاظ القرآن، ضبط إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية- بيروت، (د.ط) (د. ت)، ص274.

(6) عبد الكريم زيدان، السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط1 :1993، ص13.

(7) شريف الخطيب، السنن الإلهية في الحياة الإنسانية وأثر الإيمان بها في العقيدة والسلوك، الدار العثمانية- الأردن، ط1 :2004، ج1، ص 27.

كما يمكن الخلوص من أقوال العلـماء في تعريـف الـسنن إلى بعـض القـضايا التـي تعـين عـلى توضـيح مفهـوم السمنن الإلهية وهي:

1. السنن هي طريقة وقانون ونظام لـلـه سبحانه.
2. تظهر صفة حكمة الـلـه في السنن الإلهية، وتارة تظهر صفة العدل كانتقامه تعالى من الحائدين عن شرع الـلـه عز وجل، وتارة أخرى تتجلى صفة الرَّحمة بإثابة الطائعين.
3. السّنن تسير وفق مشيئة الـلـه.
4. الحكمة والعدل والرَّحمة صفات لا تنفي عن السّنن ثبـات النـواميس، كـما أنّ القـانون لا يحكـم مـشيئة الـلـه بل هو محكوم بها.

ويمكن ترشيح تعريف علي جمعة للسنن الإلهية :" **النواميس الإلهية الحاكمة في الواقع** "[1].

(1) محمد هيشور، سنن القرآن في قيام الحضارات، المعهد العالمي للفكر الإنساني- القاهرة، ط1 :1996، تقديم: عـلى جمعـة، ص.8، والكلام لعلي جمعة في مقدمة الكتاب.

المبحث الثاني: مفهوم النفس الإنسانية في اللغة والاصطلاح.

للعلماء في النِّفس الإنسانية أقوالٌ متعدِّدة، وفي هـذا المبحـث سـأتعرض لمفهـوم الـنَّفس الإنـسانيَّة وأبـين معناها وأي الاصطلاحات أردتُ.

المطلب الأول: النَّفس في اللُّغة.

جاءت المعاجم اللّغوية باستعمالات كثيرة للنَّفس في لغـة العـرب، وجمـع الزُّبيـدي خمـسة عـشر معنـى يطلق عليها لفظة (النفس)(1).

وردَّ بعض علماء اللّغة تلك المعاني كلها إلى أصل واحد مثل ابن فارس الذي يقـول:" النّـون والفـاء والـسّين تدل على أصل واحد وهو خروج النَّسيم كيف كان"(2)، وردَّها أبو إسـحاق(3) إلى أصـلين حيـث يـرى أن:" الـنَّفس في كلام العرب يجري على ضربين؛ أحدهما قولك خرجت نفسه أي روحـه، والـضّرب الثـاني معنـى الـنّفس فيـه جملـة الشَّيء وحقيقته"(4) والضّرب الأول هو الأصل الذي ردّ ابن فـارس معنـى اللّفظـة لـه، وبمتابعـة المعـاني المـرادة مـن اللّفظة في لغة العرب يتبيّن أنّ قول أبي إسحاق هو الأقرب لحال اللّفظة إذ يوجد للضّرب الثاني تطبيق لغوي يخـرج عن المعنى الأول، فمنه ما ذكره الزّبيدي مثل الحقيقة والعين أي حقيقة الشّيء وعينه ويعبر بهـما عـن الـشّيء كلـه يقول الزبيدي:" والنّفس عين الشّيء وجوهره وكنهه"(5).

وعليه فإنَّ النَّفس عند علماء اللّغة إمَّا أن تكون مختصة بالنَّسيم وخروجه وكل ما يتصل به فتعـد الـروح وما يتصل بالمعنى غير المادي هي المرادة من معاني لفظة النّفس بالنّسبة للإنسان، وإمّا أنّها تطلق أيضا على حقيقة الشّيء وجملته، وعلى هذا الاختلاف اللّغوي بين العلماء انبنى الكثير من الاختلاف في تعريف النّفس اصطلاحاً.

المطلب الثاني: النّفس في الاصطلاح.

كثيرة هي حقول العلم التي تتطرق وتحتاج إلى تعريف النّفس ورسم الحدود التـي يريـدها العـالِم حـين يستخدم تلك اللّفظة، وكل من أؤلئك العلماء عرف النّفس بالمعنى الذي يريد إذ إنّ إدراك حقيقة النّفس أمر يعسر على الإنسان؛ لذلك فإنّ لاصطلاح المعرِّف ولتخصصه دور كبير في تحديد معناها عند من يريد تعريفها.

ولأنّ أهل العلم- الشرعي خاصة- ينطلقون غالبا لتعريف مثل هذه المـصطلحات مـن النـصوص الـشرعية فإنّ من المفيد ذكر المعاني التي يعبِّر عنها القرآن بالنَّفس.

تعبر النّفس عن معانٍ مختلفة في القرآن الكريم أهمّها:

---

(1) الزبيدي، تاج العروس، ج4، ص260.
(2) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج5، ص460.
(3) هو إبراهيم بن السري الزجاج (ت 311هـ)، عالم بالنحو واللغة من كتبه معاني القرآن، الزركلي، الأعلام، ج1، ص40.
(4) ينظر الزبيدي، تاج العروس، ج4، ص259.
(5) الزبيدي، تاج العروس، ج4، ص259.

1. الذّات: وجاءت في القرآن في معرض الحديث عن الذّات الإلهية ومنه قوله تعالى:﴿**وَيُحَذِّرُكُمُ اللـه نَفْسَهُ وَإِلَى اللـه الْمَصِيرُ** ﴾[1]، وعلى الذّات الإنسانية بجملتها ومنه قوله تعالى:﴿ **فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللـه مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللـه لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُون** ﴾[2] ومنه ما أخرجه البخاري من حديث عائشة أمّ المؤمنين رضي اللـه عنها في قصّة بدء الوحي حين قال الرّسول ﷺ لخديجة رضي اللـه عنها:" **لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي**"[3].
2. أصل واحد للبشر ومنه قوله سبحانه:﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللـه الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللـه كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا**﴾[4].
3. الروح: يقول تعالى:﴿ **وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلآئِكَةُ بَاسِطُواْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُواْ أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللـه غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ** ﴾[5]، أو هي أمر خاص في الإنسان قد يكون جوهرًا قائمًا بذاته وقد يكون مجرد تعبير مجازي عن حقيقة الإنسان وماهيّته يقول عزّ من قائل:﴿ **إِنَّ اللـه لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ** ﴾[6][7] وإطلاق لفظ النّفس بمعنى الرّوح جاء فيما أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي اللـه عنه عن الرّسول ﷺ:" **أَلَمْ تَرَوْا الْإِنْسَانَ إِذَا مَاتَ شَخَصَ بَصَرُهُ قَالُوا بَلَى قَالَ فَذَلِكَ حِينَ يَتْبَعُ بَصَرُهُ نَفْسَهُ** "[8].

ووردت لفظة النّفس في الحديث بمعنى خروج النّسيم وذلك فيما أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة رضي اللـه عنه عن الرّسول ﷺ:" **إِذَا شَرِبَ أَحَدُكُمْ فَلَا يَتَنَفَّسْ فِي الْإِنَاءِ** "[9].

---

(1) آل عمران: من الآية 28.

(2) النور: من الآية 61.

(3) سبق تخريجه، ص5.

(4) النساء: من الآية1.

(5) الأنعام: من الآية 93.

(6) الرعد: من الآية 11.

(7) ينظر- في معان النفس في القرآن-: محمد يوسف سلمان، النفس الإنسانية في القرآن الكريم، رسالة جامعية، كلية الدراسات الفقهية والقانونية، جامعة آل البيت- المفرق،1997، ص13، بتصرف.

(8) أخرجه مسلم، كتاب: الجنائز، باب: في شخوص بصر الميت يتبع نفسه، (ص330، برقم:921)، قال وحدثنا محمد بن رافع حدثنا عبد الرزاق أخبرنا ابن جريج عن العلاء بن يعقوب قال أخبرني أبي أنه سمع أبا هريرة به، وعبد الرزاق هو ابن همام، وابن جريج هو عبد الملك بن عبد العزيز، والعلاء هو ابن عبد الرحمن بن يعقوب، وأبوه عبد الرحمن بن يعقوب.

(9) أخرجه البخاري، في كتاب: الوضوء، باب: النهي عن الاستنجاء باليمين، (ص31، برقم:18)، قال حدثنا معاذ بن فَضَالَة قال حدثنا هشام هو الدَّستَوائي عن يحيى بن أبي كثير عن عبد اللـه بن أبي قَتَادة عن أبيه، ومسلم، في كتاب: الطهارة، باب: النهي عن الاستنجاء باليمين، (ص117، برقم:267)، والترمذي، كتاب:الأشربة، باب: كراهية التنفس في الإناء، (ج3، ص458، برقم1889)، والنسائي، كتاب: الطهارة، باب: النهي عن الإستنجاء باليمين، ص16، برقم:47، وأبو داوود، كتاب: الطهارة، باب: كراهية مس الذكر باليمين في الاستبراء، (ج1، ص16، برقم:48)، وأحمد، (ج32، ص160، برقم:19418)، والدارمي، كتاب: الأشربة، باب: من شرب بنفس واحد، (ج2، ص1348، برقم:2168)، كلهم من طريق يحيى بن أبي كثير نحوه، ومن حديث أبي هريرة أخرج ابن ماجة، في كتاب: الأشربة، باب: التنفس في الإناء، (ج5، ص109، برقم:3447)، من طريق الحارث بن أبي ذباب عن عمه عن أبي هريرة نحوه، وأبو قَتَادة هو الحارث بن ربعي.

وقد تناول المفسّرون والمحدثّون حقيقة النّفس بالدِّراسة من خلال البحث فيما إذا كانت النّفس هي ذاتها الرّوح أم غيرها[1]، ويستشهد صاحب كل رأي منهم بأدلة من القرآن والسّنّة والنقاش بينهم طويل لا أرى أنّ محله هنا.

وممن عرف النفس الفلاسفة، وهم على قولين: **أحدهما يعرّف النّفّس بشيء غير الذّات**، أوهي شيء يقابل الجسد، وأمثّل لهذا القول بتعريف الفارابي للنّفس:" النفس صورة للجسد فهي جوهر روحاني بسيط معايش للجسد "[2]، وأصحاب **القول الثاني الذين يرون أنّ النّفس هي ذات الإنسان**، ومنهم الكفوي الذي عرَّف النّفس بأنّها:"ذات الشيء وحقيقته وبهذا تطلق على اللـه، وعين الشّيء أيضًا"[3] .

وعن النَّفس عند علماء النَّفس يقول عبد الكريم عثمان:" حين نطلق كلمة علم النّفس.. فإنّنا لا نقصد من كلمة النّفس أنها جوهر قائم بذاته، وإنما نعني بها مجموعة الظواهر والحالات النّفسية والخواطر التي في خبرة الإنسان" [4] والسّبب في ذلك أن علماء النّفس يبحثون في ظواهر النّفس بعيدًا عن جوهرها[5] .

إذاً فإنّ النّفس الإنسانيّة في الاصطلاح قد يراد بها الرّوح، أو شيء آخر يقارب الرّوح ولكنّه يختلف عنها كما قد يراد بها الذّات الإنسانيّة، يقول العسكري:" لفظ النّفس مشترك يقع على الرّوح، وعلى الذّات، ويكون توكيدًا؛ يقال "خرجت نفسه "أي روحه، و"جاءني زيد نفسه "بمعنى التّوكيد، و"السّواد سواد لنفسه "كما تقول لذاته"[6]

وأريد في بحثي هذا بالنّفس الإنسانّية ذات الإنسان، وقد يقال أنّ إضافة النّفس إلى الإنسان دليل على ضرورة كونهما شيئين مختلفين، غير أنَّه يمكن دحض ذلك بالقياس- من حيث التّركيب اللّغوي- على قول الرّاغب في قوله تعالى:**(وَيُحَذِّرُكُمُ اللـه نَفْسَهُ)**[7] حيث قال:"فنفسه ذاته، وهذا وإن كان قد حصل من حيث اللّفظ مضاف ومضاف إليه يقضي المغايرة وإثبات شيئين من حيث العبارة، فلا شيء من حيث المعنى سواه، تعالى عن الاثنوية من كل وجه"[8] حيث أن اعتبار النّفس الإنسانيّة هي ذات النّفس من حيث المبنى اللّغوي صحيح لا مطعن فيه.

كما أنّ قصد معنى الذات كلها من النّفس له في اللغة أصل يقول ابن منظور:" النّفس يُعبّر بها عن الإنسان جميعه"[9].

وبذلك تكون السّنن الإلهية في النّفس الإنسانيّة هي تلك النواميس الإلهية الحاكمة في النفس الإنسانية بكل كيانها.

كتاب: الأشربة، باب: التنفس في الإناء، (ج5، ص109، برقم:3447)، من طريق الحارث بن أبي ذباب عن عمه عن أبي هريرة نحوه، وأبو قَتَادة هو الحارث بن ربعي.

(1) للوقوف على أقوالهم فيها ينظر: محمد يوسف سليمان، النفس الإنسانية في القرآن الكريم، ص30-36.

(2) نقله: سعيد يعقوب، علم النفس والطب النفسي عند العرب، دار الجيل- بيروت، ط1: 1991، ص63.

(3) الكفوي، الكليات، ص897.

(4) عبد الكريم عثمان، الدراسات النفسية عند علماء المسلمين والغزالي بوجه خاص، مكتبة وهبة- مصر، ط2 :1981، ص15.

(5) محمد يوسف سليمان، النفس الإنسانية في القرآن الكريم، ص23.

(6) الحسن بن عبد اللـه أبو هلال العسكري (400هـ)، الفروق في اللغة، ضبط أحمد سليم الحمصي، جرس برس- لبنان، ط1 :1415هـ ص111.

(7) آل عمران: من الآية 28.

(8) الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص557.

(9) ابن منظور، لسان العرب، ج 6، ص234.

المبحث الثالث: ألفاظ ومصطلحات ذات صلة بسنن الأفراد

هناك بعض الألفاظ والمصطلحات التي قد تلتقي بالسّنن أو يشتبه التقاؤها مع السّنن في بعض الجوانب، وهناك بعض المفاهيم تتصل بالسّنن اتصالاً يوهم أنّهما شيء واحد وفيما يلي دراسة لها:

المطلب الأول: الفطرة.

أخرج البخاري من حديث أبي هريرة رضي الـلـه عنه عن رسول الـلـه ﷺ:" **مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ الـلـه عَنْهُ فِطْرَةَ الـلـه الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ الـلـه ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ**"[(1)] تعددت أقوال العلماء في الفطرة وتعريفها، وفي اللّغة تدور معان الجذر " فطر" حول الابتداء والأصل الذي وجد عليه الشيء؛ يقول ابن عباس رضي الـلـه عنهما:" كنت لا أدري ما فاطر السماوات والأرض حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر فقال أحدهما لصاحبه: أنا فطرتها، أنا بدأتها"[(2)].

وفي اللغة تعني الفطرة الشق والخلقة والابتداء والاختراع، وكل شيء أعجلته عن إدراكه فهو فطير[(3)].

وأما في الاصطلاح فقد كثرت أراء العلماء في معنى الفطرة، منهم من عرّفها بأنّها السّلامة خلقاً وطبعاً، ليس معها كفر ولا إيمان ولا معرفة ولا إنكار، وقال ابن عبد البر:" إنَّه أصح ما قيل في الفطرة"[(4)] وهذا لا ينفي كونه قادراً على المعرفة والإنكار، وعلى الكفر والإيمان" فالـلـه فطر الإنسان على الإنكار والمعرفة، وعلى الكفر والإيمان "[(5)].

(1) أخرجه <u>البخاري</u>، كتاب: الجنائز، باب: إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه وهل يعرض عليه، (ص839، برقم: 4775)، قال حدثنا عبدان أخبرنا عبد الـلـه أخبرنا يونس عن الزهري أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن أن أبا هريرة قال فذكره، ورواه <u>مسلم</u> في كتاب: القدر، باب: معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت الأطفال، (ص1275، برقم:2649)، <u>والترمذي</u>، كتاب: القدر، باب: كل مولود يولد على الفطرة، (ج4، ص86، برقم:2138)، <u>وأبو داوود</u>، كتاب: السنة، باب: في ذراري المشركين، (ج5، ص233، برقم :4681)، <u>وأحمد</u>، (ج12، ص104، برقم:7181)، ومالك في <u>الموطأ</u>، كتاب: الجنائز، باب: جامع الجنائز، (ج1، ص241، برقم:52)، كلهم عن أبي هريرة رضي الـلـه عنه نحوه.

غريب الحديث: تنتج: تلد، جمعاء: سليمة من العيوب، مجتمعة: الأعضاء كاملتها فلا جدع فيها ولا كي، جدعاء: الجدع القطع، مقطوعة الأطراف أو أحدها، ابن الأثير، <u>النهاية</u>، ج2، ص707، وَج1، ص288، وَج1، ص242.

(2) إسماعيل بن كثير (774هـ) ، تفسير <u>القرآن العظيم</u>، دار ابن حزم- بيروت، ط1: 2000، قال سفيان الثوري عن إبراهيم بن مهاجرعن مجاهد عن ابن عباس رضي الـلـه عنهما به ، ص1549.

(3) ينظر: ابن منظور، <u>لسان العرب</u>، ج10، ص285- 288، وَالزبيدي، تاج العروس، ج3، ص470- 472.

(4) ابن عبد البر، <u>التمهيد</u>، ج7، ص241

(5) ابن قيم الجوزية، <u>شفاء العليل</u>، ص293.

ومن العلماء من عرَّفها بحال الإنسان تجاه قبول الدّين الحق يقول الإمام العيني:" المراد هنا ـ في الفطـرة ـ القابليّة لدين الحقّ إذ لو تركوا وطبائعهم لما اختاروا ديناً آخر"[1]، وعرّفها جملة أهـل الـسلف بالإسـلام[2] باعتبـار أنّه هو الدين الحقّ الذي يصل إليه الإنسان بما زوَّده الـلـه به من أسباب المعرفة والإنكار.

وقد جمع الباحث حافظ الجعبري أقوال العلماء فيهـا وناقـشها ومـن ثـم عرّفهـا بقولـه:" خلـق الإنـسان مستعدا لأن يفكر ويستنتج سواء كان صواباً أم خطأً، ومع هذا الاستعداد الفطري للنّظـر والتّفكـير والاسـتنتاج قـد فطره الـلـه على الإيمان بربٍ خالق في حدود هذا المفهوم دون ما وراءه من التَّفاصيل الدِّينية التي جاء بهـا الأنبيـاء والرُّسل".[3]

ولابن تيمية كلام فذٌّ عن الفطرة جمع فيه أقوال من سبقه ممن ارتضى رأيـه ويتبـين الباحـث فكـرة ابـن تيمية ورأيه في الفطرة من خلال النَّظر في عدد من أقواله في وصفها وتحليلها والتّنبيه لبعض ما قد يلتـبس فيقـول: إنّ الفطرة تتضمن الإقرار بالصّانع والإنابة إليه[4] وهي فطرة الإسلام وهي السّلامة من الاعتقادات الباطلة والقبـول للعقائد الصّحيحة [5] ولا يلزم من كونهم مولودين على الفطـرة أن يكونـوا حـين الـولادة معتقـدين الإسـلام...ولكـن سلامة القلب وقبوله وإرادته للحقّ الذي هو الإسلام بحيث لو ترك ما كان إلا مسلما"[6].

وأرى أنّه يمكن تعريف الفطرة من خلال ما سبق:

جبلة وقابلية في الإنسان أصلاً تدعوه للإقرار بالـلـه لأنّه الخالق والإله المستحقّ للعبادة.

غير أن هذه الجبلة التي في الإنسان يتحقق أثرها لم أراد الـلـه له الهداية فاستجاب لها، وإلا فإن المؤثرات الخارجية قد تدعوه لغير الهداية.

فالفطرة سنّة وقانون من السّنن التي تعمل في النّفس الإنسانية.

---

(1) محمود بن أحمد العيني(855هـ)، عمدة القاري، ضبط وتصحيح: عبد الـلـه محمود عمـر، دار الكتـب العلميـة– بـيروت، ط1: 2001، ، ج23، ص452، وينظر: أحمد بن محمد القسطلاني (923هـ)، إرشاد الساري، ضبط وتصحيح :محمد عبد العزيز الخالدي دار الكتب العلمية– بيروت، ط1 :1996، ج3، ص452.

(2) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج4، ص245.

(3) حافظ الجعبري، الفطرة والعقيدة الإسلامية، رسالة جامعية، جامعة الملك عبد العزيز- السعودية، إشراف الدكتور: محمد يوسف الشيخ، عام : 1979، ص116.

(4) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج2، ص6.

(5) المصدر السابق، ج4، ص245.

(6)المصدر السابق، ج4، ص247.

المطلب الثاني: العادة والغريزة والطبيعة.

الفرع الأول: العادة.

يقول ابن فارس:" العين والواو والدال أصلان صحيحان؛ يدل احدهما على تثنية الأمر، والآخر جنس من الخشب"[1] والذي يعنينا هنا الأصل الأول وهو تثنية الأمر وتكراره.

وفي تعريفه الاصطلاحي قال الراغب إنّها" اسم لتكرير الفعل والانفعال حتى يصير ذلك سهلا تعاطيه كالطبع ولذلك قيل العادة طبيعة ثانية"[2].

والعادة في علم النفس:" استعداد مكتسب دائم لإنجاز نفس الأعمال أو تحمل نفس الآثار"[3].

وفي هذا المعنى أخرج ابن ماجة عن معاوية ابن أبي سفيان رضي الـلـه عنه عن الرسول ﷺ :" **الْخَيْرُ عَادَةٌ وَالشَّرُّ لَجَاجَةٌ وَمَنْ يُرِدْ الـلـه بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ** "[4] ومنه أيضا ما أخرجه الطبراني عن ابن مسعود رضي الـلـه عنه:" **تعودوا الخير فإنما الخير بالعادة ...**" [5].

ويلاحظ أن العادة في اللغة تفيد أصلا التكرار، والمعنى الاصطلاحي لها انبثق عن المعنى اللغوي مباشرة كما عند الراغب، أو انبثق عن أثر تكرار الفعل أي عن أثر العادة فعرفها علماء النفس به؛ فالسلوك المكتسب، والكيفية الراسخة كلاهما نتاج العادة وأثر لها.

---

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج4، ص181.

(2) الراغب الأصفهاني، المفردات، ص393.

(3) جميل صليبا، علم النفس، دار الكتاب اللبناني- بيروت،(د.ط) ط :1981، ص692.

(4) أخرجه ابن ماجة، في كتاب: المقدمة، باب: فضل العلماء والحث على طلب العلم، (ج1، ص210، برقم:221)، قال: حدثنا هشام بن عمار حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا مروان بن جَنَاح عن يونس بن مَيْسَرَة بن حَلْبَس أنه حدثه قال سمعت معاوية بن أبي سفيان يحدث عن رسول الـلـه به، وأخرجه ابن حبان، (ج2، ص1، برقم:221)، والطبراني في الكبير، (ج19، ص385، برقم: 904)، كلاهما عن هشام نحوه.

والحديث **حسن** فيه هشام بن عمار بن السُّلمي **صدوق** ..كبر فصار يلقن فحيثه القديم أصح (التقريب، ص641، برقم:7303)، وثّقه ابن معين وقال الدارقطني صدوق، (ينظر: تذكرة الحفاظ، ج2، ص451، برقم:458)، وكذا قال ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، تحقيق مصطفى عبد القادر، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1: 2002، (ج9، ص66، برقم: 255)، وأحمد العجلي (261هـ)، تاريخ الثقات، بعناية مصطفى قلعجي، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1:1984، (ص459، برقم: 1741)، وفيه الوليد بن مسلم، **ثقة ولكنه كثير التدليس والتسوية**، (التقريب، ص ، رقم:) وقد صرّح بالسماع في كل السند.

(5) أخرجه الطبراني، المعجم الكبير، (ج9، ص270، برقم:9155)، قال حدثنا علي بن عبد العزيز ثنا أبو نعيم ثنا المسعودي عن علي بن الأَقْمَر عن أبي الأحوص عن عبد الـلـه به، وأخرجه البيهقي، (ج3، ص119، برقم: 5059)، عن علي بن الأقمر نحوه.

وإسناده **حسن** فيه علي بن عبد العزيز **صدوق** قال أبوحاتم صدوق (الجرح والتعديل، ج6، ص254، برقم: 1076) وقال عنه الذهبي: الحافظ الصدوق والدارقطني: ثقة مأمون، ينظر: الذهبي، تذكرة الحفاظ، (ج2، ص622، برقم: 649)، والمسعودي هو عبد الرحمن بن عبد الـلـه بن عتبة **صدوق اختلط** وضابطه أنه من سمع منه ببغداد فبعد الاختلاط (التقريب، ص367، برقم:3919)، وثقه يحيى بن معين، التاريخ الكبير، تحقيق أحمد نور سيف، جامعة الملك عبد العزيز- مكة المكرمة، ط1: 1979، (ج2، ص351، برقم:1607)، والعجلي (تاريخ الثقات، ص294، برقم:962)، وقال العقيلي:" تغير في آخر عمره وفي حديثه اضطراب" محمد بن عمرو العقيلي (322هـ)، الضعفاء الكبير، تحقيق حمدي السلفي، دار الصميعي- الرياض، ط1: 2000، (ج2، ص744، برقم:935) ذكره الذهبي في المغني في الضعفاء، تحقيق حازم القاضي، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1: 1997، (ج1، ص605، برقم:3590)، وقال أحمد بن حنبل:" سماع أبي نعيم من المسعودي بالكوفة قديم وإنما اختلط المسعودي ببغداد ومن سمع منه بالكوفة فسماعه جيد" ينظر: العلل ومعرفة الرجال، تحقيق وصي الـلـه بن محمد، دار الخاني- الرياض، ط2: 2001، (ج1، ص325، برقم:573)، وإنما ضعّفه العلماء لاختلاطه ببغداد وقبلوا رواياته بالكوفة أي قبل اختلاطه وأثبت أحمد سماع أبي نعيم بالكوفة، قال الهيثمي:" رجاله رجال الصحيح "، علي بن أبي بكر الهيثمي(807هـ)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط1 :2001، (ج2، ص219، برقم: 2578).

ويبين العسكري الفرق بين العادة والسنة بقوله:" أن العادة ما يديم الإنسان فعله من قبل نفسه، والسنة تكون على مثال سبق، وأصل السنة الصورة" [1] أي أن العادة تكرار للفعل ينشئ سلوكا لم يكن من جبلة النفس وإن كان له في النفس استعداد، أما السنة فهي قانون يحكم حياة الإنسان، والحيز المشترك بينهما هو التكرار.

فالعادة ينشئها الإنسان في ذاته أو في ذات غيره، أما السنة فهي قوانين تحكم ذات الإنسان وحياته.

الفرع الثاني: الطبيعة.

" الطاء والباء والعين أصل يدل على نهاية ينتهي إليها الشيء حتى يختم عندها"[2]

وفي الاصطلاح: السجية التي جبل علها الإنسان وطبع عليها"[3]

وأخرج البزّار عن سعد رضي الله عن النبي ﷺ :" **الْمُؤْمِنُ يُطْبَعُ عَلَى كُلِ ْخُلَةٍ غَيْرَ الْخِيَانَةَ وَالْكَذِبَ** "[4]

وتجدر الإشارة إلى أن الطبع في الإنسان يكون بكسب الإنسان وعمله[5] وإلى ذلك تشير الآية في قوله تعالى:﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ**﴾[6]

وكأن العلاقة بين الطبيعة والعادة أن الطبيعة أثر لعادة، ووهي – الطبيعة- أكثر رسوخاً في النفس من العادة.

الفرع الثالث: الغريزة.

قال ابن فارس الغين والراء والزاء أصل صحيح يدل على رز الشيء في الشيء[7].

---

(1) أبو هلال العسكري، الفروق في اللغة، ص248.

(2) ابن فارس ،معجم مقاييس اللغة ،ج3 ،ص438 .

(3) محمد علي التهانوي(1158هـ)، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق علي دحروج، ترجمة عبد الله الخالدي، مكتبة لبنان- بيروت، ط1 :1968، ج2، ص1127.

(4) أخرجه أحمد بن عمرو البزار(292هـ)، البحر الزخار، مكتبة العلوم والحكم- المدينة المنورة، (د.ط) ط:2003، (ج3، ص340، برقم:1139) قال حدثنا إبراهيم بن زياد الصائغ قال نا داوود بن رُشَيد قال نا علي بن هاشم عن الأعمش عن أبي إسحاق عن مصعب بن سعد عن أبيه أن النبي ﷺ قال به وأبو إسحاق هوالسبيعي، وأخرجه عبد الله بن محمد ابن أبي شيبة(235هـ)، المصنف، تحقيق حمد الجمعة وَمحمد اللحيدان، مكتبة الرشد- السعودية، ط1 :2004، (ج10، ص295، برقم: 30853)، وذكره علي بن عمر الدارقطني(385هـ)، العلل الواردة في الأحاديث النبوية، تحقيق محفوظ الرحمن زين الرحمن السلفي، دار طيبة- السعودية، ط1: 1986، (ج4، ص330، برقم:602)، والبيهقي، السنن الكبرى، (ج10، ص332، برقم: 20827)، كلهم من طريق سفيان عن سلمة بن كهيل موقوفا على سعد رضي الله عنه، وروي الحديث مرفوعا إلى رسول الله ﷺ أخرجه أحمد، (ج36، ص504، برقم:22170)، قال حدثنا وكيع قال سمعت الأعمش قال حُدِّثْت عن أبي أمامة نحوه، وإسناده منقطع قال الدارقطني:" والموقوف أشبه بالصواب".

وإسناد حديث البزار **حسن** رجال ثقات غير علي بن هشام البريد **صدوق** (التقريب، ص445، برقم:4810) وإبراهيم بن زياد **صدوق** (الجرح والتعديل، ج2، ص48، برقم:278)، قال ابن حجر إسناده قوي(فتح الباري، ج3، ص2675) .

(5) من توجيهات الدكتور عامر الحافي في المناقشة.

(6) المنافقون: 3.

(7) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج2، ص416، ورَزُّ كل شيءٍ تثبّته في شيء، ابن منظور، لسان العرب، ج5، ص353.

وهي في الاصطلاح:" الدافع الحيوي الأصلي الموجه لنشاط الفرد، والعامل على حفظ بقائه، والمؤدي إلى إقباله على الملائم وإحجامه عن المنافي"[1] وأخرج الإمام مالك عن عمر بن الخطاب رضي اللـه عنه أنه قال:" **كَرَمُ الْمُؤْمِنِ تَقْوَاهُ وَدِينُهُ حَسَبُهُ وَمُرُوءَتُهُ خُلُقُهُ وَالْجُرْأَةُ وَالْجُبْنُ غَرَائِزُ يَضَعُهَا اللـه حَيْثُ شَاءَ فَالْجَبَانُ يَفِرُّ عَنْ أَبِيهِ وَأُمِّهِ وَالْجَرِيءُ يُقَاتِلُ عَمَّا لَا يَئُوبُ بِهِ إِلَى رَحْلِهِ وَالْقَتْلُ حَتْفٌ مِنْ الْحُتُوفِ وَالشَّهِيدُ مَنْ احْتَسَبَ نَفْسَهُ عَلَى اللـه**"[2].

وكما هو واضح فإن الغريزة تتعلق بالجانب المادي الحيوي تقريباً من الإنسان- إن صح التعبير - وأسباب بقائه، ونلحظ أن أغلب الغرائز جبرية في الكيان الإنساني،وقسرية في العمل، لا خيار للإنسان أمام تلبيتها، وإن كان له الخيار في الكيفية والأسلوب والتوقيت، ويمكن أن نقول أن الغريزة هي عامل من عوامل الحفاظ على النواميس المادية في الإنسان -السنن المادية -.

ومما سبق يمكننا القول أن السنن بالنسبة للعادة والغريزة والطبيعة هي مجموعة النواميس التي تعمل في هذه الثلاثة.

المطلب الرابع: التوسع في استعمال لفظ السنن.

يرى عبد الحميد الفراهي - في كتابه القائد إلى عيون العقائد- أن أول من توسع في إطلاق لفظ السنة واستعماله هم أصحاب رسائل إخوان الصفا[3] ثم تابعهم الدهلوي في كتابه حجة اللـه البالغة[4].

وأطلق هؤلاء لفظ السنة على طبائع الأشياء باعتبار أنها تجري على حال واحدة وأنها لا تتغير وهذا ما ثبت بالتجربة والمشاهدة، ولقوله تعالى:﴿ **فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللـه الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللـه ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾ [5]، فاشتركت الطبائع مع السنة في كونها تجري على طريقة واحدة وأنها لا تتبدل، وعلى هذا القول أغلب العلماء والباحثين المعاصرين.

إلا أن هذا الرأي تعقبه بعض العلماء بالنقد، واعتبروه توسعاً غير جائز، وخاصة أن ممن توسع في استعمال"السنة "وأطلقها على طبائع الأشياء، وظف خصائص السنن الإلهية في إثبات بعض من إلحادهم ومن هؤلاء السهروردي المقتول في كتابه الألواح العمادية[6] الذي قال فيه بأن العالم لا يتغير، بل لا تزال الشمس تطلع

---

(1) جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني- بيروت، (د.ط) ط :1982، ج2، ص127.

(2) أخرجه مالك بن أنس(179هـ)، الموطأ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، إحياء التراث- بيروت، (د.ط) ط:1985، كتاب: الجهاد، باب: ما تكون فيه الشهادة، (ج2، ص463، برقم:35)، قال عن يحيى بن سعيد أن عمر بن الخطاب قال به.
الحديث إسناده **صحيح** رجاله ثقات.

(3) إخوان الصفا جمعية إسلامية فلسفية باطنية انبثقت من الإسماعيلية عملت على هدم الخلافة العباسية في الخفاء واسم الجمعية الكامل" إخوان الصفا وخِلّان الوفا"، وضعوا كتابا عُرِف باسم رسائل إخوان الصفا يشتمل على اثنتين وخمسين رسالة تبحث في علوم شتى، ينظر: قاموس المذاهب والأديان، حسين علي حمد، دار الجيل- بيروت، ط1: 1998.

(4) نقله: أحمد فرحات، سنة اللـه التي لاتتبدل ولاتتحول، ص27.

(5) الروم: من الآية30.

(6) السهروردي هو أبو الفتح يحيى بن حبش بن أميرك الحكيم السهروردي الشافعي المقتول بحلب(587هـ) له الألواح العمادية في المبدأ والمعاد، واختلف الناس في حقه فمنهم من نسبه إلى الزندقة والإلحاد وأباح دمه ومنهم من يشهد له بحسن الاعتقاد،

وتغرب لأنها عادة الـلـه[1]، ويؤدي هذا القول إلى إنكار المعجزات، وإنكار يوم القيامة بما يلمح من قوله:" بل لا تزال الشمس تطلع وتغرب لأنها عادة الـلـه ".

وعمد المتعقبون من العلماء إلى تفنيد الأسباب التي اعتمدها المتوسعون ودحضها، ومن هؤلاء الفراهي فقد"علل قول القائلين بأن الطبائع من سنة الـلـه بأمور هي:

ظنهم أن التبديل في الخلق مُحَال لقوله تعالى:﴿ **لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ الـلـه** ﴾[2]

كما ظنوا أن قوله تعالى:﴿ **لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ الـلـه**﴾ كقوله سبحانه:﴿ **وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ الـلـه تَبْدِيلًا**﴾[3]...، وظَنُّوا أن الطبائع كلها تدخل تحت "سنة الـلـه "وأن طبائع الخلق ثابتة لما علموا من التجربة أن الأشياء لا تتحول." [4]

وردَّ ظنونهم بأن التبديل واقع مشاهد، وظنهم باطل بالمشاهدة والنص، فالنص في قوله تعالى:" **وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ الـلـه** "[5] وفيما أخرجه البخاري من حديث عبد الـلـه بن مسعود رضي الـلـه عنه:" **لَعَنَ الـلـه الْوَاشِمَاتِ وَالْمُوتَشِمَاتِ وَالْمُتَنَمِّصَاتِ وَالْمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ الْمُغَيِّرَاتِ خَلْقَ الـلـه...**"[6]

وردَّ أن يكون معنى الآية:﴿ **لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ الـلـه** ﴾ نفس معنى قوله تعالى:﴿ **سُنَّةَ الـلـه فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ الـلـه تَبْدِيلًا** ﴾، بل رأى أن المراد من الآية الأولى النهي عن تغيير الدين، لا نفي إمكان تغيير الفطرة الدينية لدى الإنسان، أي أنه حمل الآية على الإنشاء لا على الخبر، والإنشاء يعطي أمراً لا خبر حال.[7]

ويرى ابن تيمية أن التوسع في إطلاق السنة بما لها من صفات على الطبائع غير مقبول، حيث أن انخراق العادات أمر معلوم بالحس والمشاهدة، وأن ليس كل عادة غير منتقضة، بل ما أخبر الـلـه عنه هو ما ليس بمنتقض، أما خلافه فقد ينتقض، وهذا يعني أنه يرى أن السنن قد تكون غير منتقضة، كما أنها قد تكون منتقضة يقول:" العادة تتبع إرادة الفاعل، وإرادة الفاعل الحكيم هي إرادة حكيمة فتسوي بين المتماثلات، ولن يوجد لهذه

ينظر: مصطفى بن عبد الـلـه المعروف بحاجي خليفة(1067هـ)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج6، ص521، وصديق بن حسن قنوجي(1307هـ)، أبجد العلوم، دار ابن حزم- بيروت، ط1: 2002، ص626.

(1) أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية (728هـ)، الرد على المنطقيين أو نصيحة أهل الإيمان في الرد على منطق اليونان، تحقيق عبد الصمد الكتبي، الريان- بيروت، ط1: 2005، ص435.

(2) الروم: من الآية30.

(3) الأحزاب: من الآية62.

(4) نقله: أحمد الفرحات، سنة الـلـه التي لا تتبدل، ص30.

(5) النساء: من الآية 119.

(6) أخرجه البخاري، في كتاب: تفسير القرآن، باب: وما أتاكم الرسول فخذوه، ص866، برقم:4886، قال حدثنا محمد بن يوسف حدثنا سفيان عن منصور عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الـلـه، ومسلم، كتاب: اللباس والزينة، باب: تحريم فعل الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة،ص845، برقم:2125، والترمذي، كتاب: الأدب، باب: ما جاء في الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة، (ج4، ص484، برقم:2782)، والنسائي، كتاب: الزينة، باب: المتنمصات، ص815، برقم:5109، وأبو داوود، كتاب: الترجل، باب: في صلة الشعر، (ج4، ص447، برقم:4165)، وابن ماجة، كتاب: النكاح، باب: الواصلة والواشمة، (ج3، ص404، برقم:1989)، وأحمد، (ج7، ص197، برقم:4129)، والدارمي، كتاب: الاستئذان، باب: الواصلة والمستوصلة، (ج3، ص1730، برقم:2689)، كلهم من طريق منصور عن إبراهيم نحوه، وسفيان هو الثوري ومنصور بن المعتمر وإبراهيم النَّخْعِي وعَلْقَمَة النَّخعِي والصحابي عبد الـلـه بن مسعود.

(7) نقله: الفرحات، سنة الـلـه التي لاتتبدل ولاتتحول، ص30.

السنة تبديل ولا تحويل.... فلا انتقاض لها بخلاف ما اقتضت حكمته تغيير، فذاك تغييره من الحكمة أيضا ومن سنته التي لا يوجد لها تبديل ولا تحويل... وهو سبحانه وتعالى لم يخبر أن كل عادة لا تنتقض"[1]، ويقول ابن تيمية:" ﴿ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللـه تَبْدِيلاً ﴾ فعم كل سنة له وهو يعم سنته في خلقه وأمره في الطبيعيات والدينيات؛ لكن الشأن أن تعرف سنته وحقيقة هذا أنه إذا نقض العادة فإنما ينقضها لاختصاص تلك الحال بوصف امتازت به عن غيره فلم تكن سنته مع ذلك"[2]

أي أن ابن تيمية يرى أن السنن تطلق حتى على النواميس الطبيعية، غير أن كل سنة لها شروطها وملابساتها التي لا بد أن تتحقق، ولها موانع لا بد أن تنتفي وإلا فإنها قد تنتقض، لذلك قال عن سنة اللـه في الشمس والقمر والكواكب وغير ذلك من العادات أن هذه السنة ينقضها إذا شاء بما شاءه من الحكم[3].

ومن القائلين بعدم تعميم الثبات في السنن على غير سنن التاريخ أحمد الفرحات:" أما سنن الكون وطبائع الخلق فلم ترد في القرآن مشمولة باللزوم المستفاد من قوله تعالى:﴿ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللـه تَبْدِيلاً﴾ ﴿ ولن تجد لسنة اللـه تحويلا﴾ لأن استقراء استعمال (سنة اللـه) في القرآن يرينا أنها واردة في سنن التاريخ والاجتماع ومن ثم لا يجوز تعميمها على كل السنن ... لأن الأصل مراعاة مورد الاستعمال" [4]

كما أن الفارق بين السنن الطبيعية وسنن التاريخ أو الاجتماع البشري أن السنن الطبيعية مبنية على الحكمة والمشيئة، وقد تقتضيان التبديل والتغيير، أما سنن التاريخ فهي مبنية على الحكمة والمشيئة إضافة إلى أن التماثل والافتراق مما يقتضي وجود العدل الذي يلزم الثبات وعدم التغيير للتسوية بين المتماثلات والتفرقة بين المختلفات [5].

ويخلص من أقوالهم إلى أن ملاحظة الثبات في السنن يدل على عموم الثبات لا على لزومه، وهذا يعني ضرورة العمل على أساسها وعدم إهمالها [6].

---

(1) ابن تيمية، الرد على المنطقيين، ص435.
(2) ابن تيمية، جامع الرسائل، مصر، تحقيق: محمد رشيد رفيق سالم، ص54.
(3) المرجع السابق، ص53.
(4) ينظر: الفرحات، سنة اللـه، ، ص45.
(5) ينظر: ابن تيمية، جامع الرسائل ص55، وَينظر: أحمد الفرحات، سنة اللـه، ص45-46.
(6) ينظر: أحمد الفرحات، سنة اللـه، ص46 -47.

المبحث الرابع: أنواع السّنن الإلهية وخصائصها وأساليب التّعبير عنها

المطلب الأول: أنواع السّنن الإلهية.

السّنن هي قوانين اللـه عز وجل في خلقه وأمره، لذا فهي تتصل بعدد كبير من الموضوعات، كما تعمل بعدة صور حسب طبيعة الموضوع الذي تعمل فيه، لذلك يمكن دراسة أنواع السنن بعدة اعتبارات.

الفرع الأول: باعتبار صيغة القانون.

النواميس نوعان؛ قوانين ذات مقدمات ونتائج تنبني على هذه المقدمات، ولا تتحقق النتيجة إلا بتحقق المقدمة وهي **السنن الشرطية**، ونوع آخر للقوانين هي تلك التي تحكي طبيعة شيء ما دون أن يكون فيها مقدمة ونتيجة بل هي قانون يبين طريقة شيء ما وأسلوبه وأن ما يتعلق به القانون لا يظل على حقيقته إذا ما انفك عن قانونه، وهي **السنن غير شرطية**.

ومثال السنن الشرطية سنة الجزاء من جنس العمل فمن عمل خيرا نال خيرا ومن عمل سوءا جوزي به أخرج مسلم من حديث أبي هريرة رضي اللـه عنه عن الرسول ﷺ:" **مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللـه عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللـه عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللـه فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللـه فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللـه لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ** "(1) وأخرج البخاري من حديث أبي سعيد الخدري رضي اللـه عنه عن النبي ﷺ:" **وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللـه وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللـه وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللـه وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنْ الصَّبْرِ**"(2)

ومثال السنن غير الشرطية

1. سنة التدين وفطرة الدين في الإنسان ما أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة رضي اللـه عنه عن الرسول ﷺ:" **مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ كَمَا**

---

(1) أخرجه مسلم، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: فضل الاجتماع على تلاوة القرآن والذكر، (ص1293، برقم:6952)، قال حدثنا يحيى بن يحيى التميمي وأبو بكر بن أبي شيبة ومحمد بن العلاء الهَمداني واللفظ ليحيى قال يحيى أخبرنا وقال الآخران حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة به، والترمذي، كتاب: القرآن، بابٌ، (ج5، ص60، برقم:2945)، وأبو داوود، كتاب: الأدب، باب: في المعونة للمسلم، (ج5، ص332، برقم:4907)، وابن ماجة، كتاب: المقدمة، باب: فضل العلماء والاجتماع على العلم، (ج1، ص215، برقم:225)، وأحمد، (ج12، ص393، برقم:7424)، كلهم عن سليمان بن مهران (الأعمش) نحوه.

(2) أخرجه البخاري، كتاب: الزكاة، باب: الاستعفاف عن المسألة، (ص238، برقم:1469)، قال حدثنا عبد اللـه بن يوسف أخبرنا مالك عن ابن شهاب عن عطاء بن يزيد الليثي عن أبي سعيد الخدري به، ومسلم، كتاب: الزكاة، باب: فضل التعفف والصبر، (ص467، برقم:2388)، والترمذي، كتاب: البر والصلة، باب: في الصبر، (ج3، ص549، برقم:2024)، والنسائي، كتاب: الزكاة، باب: الاستعفاف، (ص426، برقم:2585)، وأبو داوود، كتاب: الزكاة، باب: في الاستعفاف، (ج2، ص365، برقم:1641)، وأحمد، (ج18، ص387، برقم:11890)، ومالك، كتاب: الصدقة، باب: في التعفف عن المسألة، (ج2، ص997، برقم:7)، كلهم من طريق ابن شهاب نحوه.

تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللــه عَنْـهُ فِطْرَةَ اللـه الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللـه ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ"[(1)]

2. سنة الابتلاء يقول تبارك وتعالى:﴿ **إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا** ﴾[(2)] وأخرج أحمد من حديث معاوية قال سمعت النَّبِيَّ ﷺ يقول على هـذا المنبر :" **لَمْ يَبْقَ مِنْ الدُّنْيَا إِلَّا بَلَاءٌ وَفِتْنَةٌ** "[(3)] فهذه سنن ليس لها مقدمة أو شرط تترتب عليه بل هي قانون في الدنيا من دخلها ابتلي دون شرط أو سبب.

الفرع الثاني: أنواع السنن إزاء الفاعلية الموهوبة للإنسان من الـلـه.

يمكن تقسيم السنن باعتبار الفاعلية الموهوبة للإنسان إلى

1. سنن اختيارية، وهي تلك السنن التي يملك الإنسان معها فاعلية واختياراً وإن كان لا يملك تغيير طريقة سيرها.

2. سنن جبرية لا يملك الإنسان تجنبها أو الابتعاد عنها بل تعمل فيه جبراً عنه وكل ما يملكه هو كيفية التفاعل معها لا قبولها أو ردها.

فالسنن اختيارية وأخرى غير اختيارية[(4)]، وسنن شرطية وأخرى غير شرطية، وبإمعان النظر في كلا النوعين من السنن يظهر أن السنن الشرطية لا تكون إلا اختيارية وأن السنن غير الشرطية هي سنن جبرية .

والسنن الاختيارية قانون أوجده الـلـه فمن شاء سار فيه على الوجه الذي يريد ويحقق القانون فيه عمله وبذلك يكون السعي من الإنسان في القانون هو مقدمة القانون أو شرطه والأثر المتحقق للقانون هو نتيجة القانون أو جزاؤه. مثلا **سنة الأسباب والمسببات** من أتى أسباب شيء ناله ومن ترك أسبابه لم ينله خيرا كان أو شراً، فالسبب مقدمة والمسبَّب نتيجة، وسنة الـلـه أن جعل لكل شيء سببا، فمن أخذ بأسباب الهداية اهتدى ومن أخذ بأسباب الضلال ضل، ومن أخذ بأسباب البركة في الرزق بورك له ومن أخذ بأسباب المحق محق رزقه أخرج البخاري عن حكيم بن حزام رضي الـلـه عنه عن الرسول ﷺ:"**الْبَيِّعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا أَوْ قَالَ حَتَّى يَتَفَرَّقَا فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا وَإِنْ كَتَمَا وَكَذَبَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا**"[(5)] والإنسان مختار بأي الأمرين أراد. وأخرجه

---

(1) سبق 19.

(2) الإنسان: 2.

(3) أخرجه أحمد، قال حدثنا علي بن إسحاق أخبرنا عبد الـلـه بن المبارك قال أخبرنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر قال حدثني أبو عبد ربه قال سمعت معاوية يقول على هذا المنبر سمعت رسول الـلـه صلى الـلـه عليه وسلم يقول به، (ج28، ص66، برقم:16853)، وابن ماجة، كتاب: الفتن، باب: شدة الزمان، (ج5، ص501، برقم:4035)، وابن حبان (ج2، ص465، برقم:690)، والطبراني، مسند الشاميين، تحقيق حمدي السلفي، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط1: 1989، (ج1، ص390، برقم:607)، كلهم من طريق عبد الرحمن بن يزيد بن جابر نحوه.

(4) ينظر: هيشور، سنن القرآن في قيام الحضارات وسقوطها، ص 27.

(5) أخرجه البخاري، كتاب: البيوع، باب: إذا بين البيعان، (ص333، برقم:2079)، قال حدثنا سليمان بن حرب حدثنا شعبة عن قتادة عن صالح عن عبد الرحمن بن الحارث رفعه إلى حكيم بن حزام، ومسلم، كتاب: البيع، باب: الصدق في البيع والبيان (ص732، برقم:3853) والترمذي، كتاب: البيوع، باب: ما جاء في البيعين بالخيار، برقم:، وأخرجه النسائي، كتاب: البيوع، باب: ما

البخاري عن أبي هريرة أن الرسول ﷺ قال:" **مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا أَدَّى اللــه عَنْهُ وَمَنْ أَخَذَ يُرِيدُ إِتْلَافَهَا أَتْلَفَهُ اللـه** "[1].

وأما السنن الجبرية فهي التي تعمل في الإنسان جبراً عنه، ولا شرط لتعمل هذه السنن في الإنسان، ومثالها كما سبق **سنة الابتلاء**، فكل إنسان مبتلى ولا يخلو أحد من هذه السنة وهو مبتلى بالخير كما أنه مبتلى بالشر، وهي- سنة الابتلاء- تعمل في الغني والفقير، المؤمن والكافر، كما أنها تعمل في الفرد والجماعة، ولا يملك الإنسان دفعها أو الهروب منها ولكن يملك اختيار الطريق الذي يريد طريق الهداية أو طريق الضلال، طريق النجاة أو طريق الخسران.

ومن السنن الجبرية غير الشرطية **سنة الضعف** في الإنسان بكل صوره؛ الضعف المعنوي مثل الخطأ والنسيان والضعف المادي، وما كان لأحد أن يخرج عن هذه السنة حتى رسول اللــه ﷺ فقد طرأ له السهو والنسيان والمرض، واعتراه من الضعف البشري ما يعتري كل إنسان، يقول جل شأنه:﴿ **وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا**﴾[2]

الفرع الثالث: باعتبار محل عملها.

وتقسم بهذا الاعتبار إلى:

أولاً: سنن طبيعية:

وهي النواميس التي تنظم سير الطبيعة وتحكم عملها فتنظم شأن الكون بما فيه من ماديات ويعرفها دوفش:" بأنها ما يتعلق بأمور الطبيعة وحقائق الأشياء"[3] وهي" النواميس التي تسير وفقها الماديات"[4]، ومنها سنن التوازن يقول تعالى:﴿ **وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ**﴾[5] ويقول تعالى:﴿ **إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ**﴾ [6] وسنن عدم التدارك أو التصادم يقول تعالى:﴿ **لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ** ﴾[7] ومن الباحثين من يطلق على هذا النوع من السنن سنن الآفاق أو السنن الكونية.

يجب على التجار من التوقية في مبايعتهم (ص723، برقم:4464)، وأبو داوود، كتاب: البيوع، باب: في خيار المتبايعين، (ج4، ص167، برقم:3453)، وأحمد، (ج24، ص30، برقم: 15314)، والدارمي، كتاب: البيوع، باب: في البيعان بالخيار ما لم يتفرقا، (ج3، ص1660، برقم: 2589) كلهم من طريق شعبة به.

(1) البخاري، كتاب: الاستقراض والديون والحجر والتفليس، باب: من أخذ أموال الناس يريد أداءها أو إتلافها، (ص383، برقم:2387)، قال حدثنا عبد العزيز بن عبد اللـه الأُوَيْسِيُّ حدثنا سليمان بن بلال عن ثور بن زيد عن أبي الغيث عن أبي هريرة رضي اللـه عنه به، وابن ماجة، كتاب: الأحكام، باب: من أدان دينا لم ينو قضاءه، (ج4، ص71، برقم2411)، وأحمد، (ج14، ص347، برقم:8733)، كلهم عن ثور بن زيد نحوه، وأبو الغث هو سالم مولى ابن مطيع.

(2) النساء: 25.

(3) دوفش، الابتلاء، ص19 .

(4) نصر اللـه الشريف، سنة اللـه في عقاب الأمم في القرآن الكريم، دار المعراج- الرياض، (د.ط) ط:1994، ص13.

(5) الحجر: من الآية 19.

(6) القمر: 49.

(7) يس: 40.

ثانيا: سنن تشريعية:

وهي ما جرى من قوانين الـلـه في شرعه من مثل رفع الحرج والتكليف في ما لا يطيق الإنسان، وضرورة اشتمال الأديان على عناصر أساسية من العقائد والعبادات والمعاملات، وموافقة شرع الـلـه ودينه لفطرة الإنسان وعدم التعارض بينهما، أي هي النواميس التي سنها الـلـه في الأديان، وتتضمن السنن التشريعية القواعد والضوابط العامة التي يجب أن تكون شريعة للأفراد والجماعات عامة [1].

ثالثاً: سنن إنسانية: وهي نوعان: جماعية وفردية.

وتتعلق سنن الجماعات - وهي التي يُعبر عنها بسنن التاريخ - بالنظم المتعلقة بتغير أحوال الأمم وتبدله[2] ومنها سنن النصر والهزيمة، وسنن أسباب قيام الأمم والحضارات وأسباب سقوطها، وأسباب رفاه الأمم وسعة عيشها، وسنن تغيير المجتمعات وتغيرها يقول جودت سعيد عن سنة التغيير "سنة مجتمع لا سنة فرد"[3]، وهذه السنن كلها لابد لكي تعمل في الأمة أن تكون مجتمعة الأفراد فلا يكفي فيها فعل الفرد وحده بل إن مجموع أفراد الأمة عليه المعول، وهذا يعني أغلب الأمة والحال الأظهر فيها لا تقصي حال أفرادها فرداً فرداً، ومثال هذا **سنن النصر**، فلا يكفي الأخذ من أفراد في الأمة معدودين بأسباب النصر لتحقق النصر الذي تريد بل لابد أن تكون الأمة بمجموعها تسعى للنصر وتعمل له، وهذا واضح من سيرة الأنبياء مع أقوامهم فما هُزِمَ قوم نبي بسبب ترك الأنبياء أسباب النصر بل لترك مجموع القوم أسباب النصر، وحال هذه السنة ظاهر في غزوة أحد، **وسنة التدافع** يقول الـلـه عز وجل﴿ وَلَوْلاَ دَفْعُ الـلـه النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ الـلـه ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾[4]، **وسنة التداول** قال جل شأنه ﴿ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾[5].

ولا يكفي لتتغير أمة من الهوان والذل الذي تعيشه إلى العز والسؤدد إلا إذا أصبح السعي لهما هدفاً عند عامة الأمة لا عند أفراد قلية فيها، ولا يتغير حال أمة من حال إلى آخر إلا بتغير ما بنفوس أفرادها يقول تعالى:﴿ **إِنَّ الـلـه لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ** ﴾[6]

وسنة الإهلاك إذا نزلت بأمة أخذت أصحاب الفجور والظلم ومن رآهم ولم ينههم أو لم يأخذ على أيديهم فيعم العذاب كل الأمة أخرج الترمذي عن أبي بكر الصديق عن رسول الـلـه ﷺ أنه قال:" **إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمْ الـلـه بِعِقَابٍ مِنْهُ** "[7]

---

(1) ينظر: إبراهيم بن علي الوزير، على مشارف القرن الخامس عشر الهجري دراسة للسنن الإلهية والمسلم المعاصر، منشورات كتاب- واشنطن، ط7: 2000، ص32.

(2) نصر الـلـه الشريف، سنة الـلـه في عقاب الأمم، ص13.

(3) جودت سعيد، حتى يغيروا ما بأنفسهم، مطبعة زيد بن ثابت الأنصاري- بيروت، ط6: 1984، ص38.

(4) البقرة: 251.

(5) آل عمران: 140.

(6) الرعد: من الآية11.

(7) أخرجه الترمذي، كتاب: تفسير القرآن، باب: ومن سورة المائدة، (ج5، ص145، برقم:3057)، قال حدثنا أحمد بن منيع حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن أبي بكر الصديق، وأبو داوود، كتاب: الملاحم، باب: الأمر والنهي، (ج5، ص56، برقم:4338)، وابن ماجة، كتاب: الفتن، باب: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بلفظ:" إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا

أما سنن الأفراد فهي التي تتحقق في الفرد بعيداً عن ضرورة الأخذ بمجموع فعل الأمة.

فطالب الهداية ينالها بدون اعتبار فعل الأمة، والمعرض عن دين اللـه يضل كذلك من غير النظر إلى مجموع الأمة، مثل **سنة شكر النعم أو كفرها**؛ فالشاكر لنعمة اللـه يحفظ اللـه له نعمته ويزيده يقول تعالى:﴿ **وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ** ﴾[1] والكافر المنكر لها يناله عقاب اللـه ويمحق نعمته كما في قصة قارون، والظالم يستدرجه اللـه حتى يأخذه أخرج البخاري عن أبي موسى الأشعري رضي اللـه عنه عن المصطفى ﷺ:"**إِنَّ اللـه لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ قَالَ ثُمَّ قَرَأَ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ** "[2]

والسنن الإنسانية تنقسم إلى قسمين آخرين، وهما :

1. **سنن عامة:** وهي التي تعمل في البشر كافة دون التمييز بين المؤمن والكافر فالكل فيها سواء ومثالها سنة الابتلاء بالعطاء يقول تعالى:﴿ **كُلاًّ نُّمِدُّ هَؤُلاء وَهَؤُلاء مِنْ عَطَاء رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاء رَبِّكَ مَحْظُورًا** ﴾[3].
2. **سنن خاصة**، وهي التي تعمل في فئة ما مثل السنن الخاصة بأهل الإيمان ومنها سنن الابتلاء للتمحيص يقول تعالى:﴿ **مَّا كَانَ اللـه لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللـه لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللـه يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاء فَآمِنُواْ بِاللـه وَرُسُلِهِ وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ** ﴾[4] وسنة التمكين للمؤمنين فلا يمكن لهم حتى يمتحنهم[5]، كما أن سنة الابتلاء والتمحيص في حق الأفراد " جسر لا بد من عبوره لمن طمع في الدرجات العلى"[6].

الْمُنْكَرَ لَا يُغَيِّرُونَهُ أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمْ اللـه بِعِقَابِهِ"، (ج5، ص481، برقم:4005)، وأحمد، (ج1، ص208، برقم:30)، وأخرجه عبد اللـه بن الزبير الحميدي (219هـ)، مسند الحميدي، تحقيق حسين سليم أسد، دار السقَّا- سوريا، ط1: 1996، (ج1، ص149، برقم:3)، وابن حبان، (ج1، ص539، برقم:304)، والبيهقي، (ج10، ص156، برقم:20189)، البزار، (ج1، ص135، برقم:65)، كلهم من طريق إسماعيل نحوه.

والحديث **إسناده صحيح** رجاله ثقات، وقال الترمذي:" هذا حديث حسن صحيح"، وصححه يحيى بن شرف النووي(676هـ)، رياض الصالحين، دار السلام- الرياض، ط6: 2004، ص69، وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة، (ج4، ص88، برقم: 1546)، وقال شعيب: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(1) إبراهيم: من الآية 7.

(2) البخاري، كتاب: تفسير القرآن، باب: قوله تعالى:" وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ "، (ص807، برقم:4686)، قال حدثنا صدقة بن الفضل أبي بردة عن أبيه عن أبي موسى رضي اللـه عنه به، ومسلم، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تحريم الظلم، (ص1246، برقم:6673)، والترمذي، كتاب: تفسير القرآن، باب: ومن سورة هود، (ج5، ص186، برقم:3110)، وابن ماجة، كتاب: الفتن، باب: العقوبات، (ج5، ص490، برقم:4018)، كلهم من طريق محمد بن خازم نحوه.

(3) الإسراء: الآية20.

(4) آل عمرآن: الآية179.

(5) ينظر: نصر اللـه الشريف، سنة اللـه في عقاب الأمم في القرآن الكريم، ص18.

(6) حجازي إبراهيم، الابتلاء وسنة اللـه في الدعوات، دار البشير- مصر، ط1 :200، ص5.

المطلب الثاني: خصائص السنن الإلهية.

للسنن الإلهية خصائص توجد فيها بكل أنواعها، وتلك الخصائص منها ما هو أصلي، ومنها ما يترتب على خاصية أخرى، وفي الفروع التالية عرض لتلك الخصائص بدءاً بالأصل منها.

الفرع الأول: الربانية.

الربانية أهم خاصية من خصائص السنن الإلهية، ولها أثر واضح على السنن وتعد أصلاً لغيرها من الخصائص.

ولخاصية الربانية في السنن عدد من الوجوه منها **ربانية الانتساب** حيث نسبت آيات القرآن الكريم السنن إلى الله عز وجل يقول تعالى:﴿ **سُنَّةَ اللـه فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللـه تَبْدِيلًا**﴾[1] ولذلك فإنه يعبر عنها بالسنن الإلهية والسنن الربانية، ونسبت السنن إلى اللـه سبحانه لكونها من فعله جل شأنه وصادرة عن إرادته سبحانه، فهي **ربانية المصدر**، وقد جاءت الأحاديث تبين ذلك، ومنها ما أخرج البخاري من حديث أبي سعيد الخدري رضي اللـه عنه عن النبي ﷺ :"**وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللـه وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللـه وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللـه وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنْ الصَّبْرِ**"[2] فقد أراد اللـه سبحانه أن يجعل الجزاء من جنس العمل ويجزي من أحسن إحساناً من جنس إحسانه ويعاقب من أساء بجنس إساءته، وهو سبحانه من يحقق هذا ويقدره، أخرج البخاري من حديث أنس رضي اللـه عنه عن الرسول ﷺ :"**عَنْ رَبِّهِ قَالَ إِذَا تَقَرَّبَ الْعَبْدُ إِلَيَّ شِبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا وَإِذَا تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا وَإِذَا أَتَانِي مَشْيًا أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً** "[3] وفي هذا الحديث يبين الرسول قانون الهداية وارتباط هذه السنة به سبحانه وإرادته فيها وحضوره جل شأنه، وفي سنة الرزق أخرج البخاري عن أبي هريرة قول المصطفى ﷺ:" **قَالَ اللـه أَنْفِقْ يَا ابْنَ آدَمَ أُنْفِقْ عَلَيْكَ** "[4] وغيرها من الأحاديث التي تبين أن السنن من فعل اللـه عز وجل، يصف الصدر السنن بأنها قرار رباني[5] .

ولا غرو أن تكون السنن ربانية المصدر وذلك أن اللـه سبحانه خالق الكون وهو من نظم أمره وشأنه وهو الأعلم بما يصلحه من قوانين.

---

(1) الأحزاب: 62.

(2) سبق تخريجه: ص29.

(3)أخرجه البخاري، كتاب: التوحيد، باب: ذكر النبي وروايته عن ربه، (ص1301، برقم:7536)، قال حدثني محمد بن عبد الرحيم حدثنا أبو زيد سعيد بن الربيع الهروي حدثنا شعبة عن قتادة عن أنس رضي اللـه عنه به، وللحديث شاهد أخرجه مسلم، كتاب: الذكر والدعاء، باب: فضل الذكر والدعاء والتقرب إلى اللـه، (ص1290، برقم:6930)، والترمذي، كتاب: الدعوات، باب: ما جاء أنّ لـله ملائكة سَيَّاحين في الأرض، (ج5، ص553، برقم:3603)، وابن ماجه، كتاب: الأدب، باب: فضل العمل، (ج5، ص350، برقم:3822)، وأحمد، (ج12، ص383، برقم:7422)، كلهم من طريق أبي صالح عن أبي هريرة رضي اللـه عنه.

(4) والبخاري، كتاب: النفقات، باب:فضل النفقة على الأهل، (ص955، برقم:5352)، قال حدثنا إسماعيل قال حدثني مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة، ومسلم، كتاب: الزكاة، باب: الحث على النفقة وتبشير المنفق بالخلف، (ص444، برقم:2271)، وأحمد، (ج12، ص247، برقم:7298)، كلهم من طريق أبي الزناد نحوه، وإسماعيل هو ابن عبد اللـه ومالك هو ابن أنس والأعرج هو عبد الرحمن بن هرمز.

(5) الصدر، السنن التاريخية، ص68، وهو يتحدث عن السنن التاريخية لكن ينسحب ذلك على غيرها من السنن.

ولما كانت السنن ربانية المصدر، وكان اللـه هو خالق الكون وآمره سبحانه، وهو مَنْ سن له قوانينه التي تصلح حاله، جاءت السنن ملائمة لما تعمل فيه، لأن كلاً من الكون وسننه صادر عن إرادة واحدة فلا تعارض بينهما ولا اختلاف.

وبما أن السنن من فعل اللـه سبحانه فهي من قدره وتعمل بقدره لا من تلقاء نفسها ولا بذاتية فيها، واللـه سبحانه مَنْ قدَّر لها العمل والجريان وهو القادر على إيقاف عملها إن شاء وقت شاء، فهي مرتبطة به سبحانه خاضعة له وهو المتحكم بها، أخرج البخاري من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللـه ﷺ أَتَى الْمَقْبُرَةَ فَقَالَ :"**أَنَّ رَسُولَ اللـه صَلَّى اللـه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَى الْمَقْبُرَةَ فَقَالَ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللـه بِكُمْ لَاحِقُونَ**"[(1)] يقول النووي فجاء بالاستثناء مع أن الموت لاشك فيه[(2)] ليبين ﷺ أن السنن وإن كانت مما لاشك فيه إلا أنّ استحضار المسلم لحقيقة أمر اللـه سبحانه وإرادته وحضوره حتى في السنن التي سنها هو سبحانه من الأمور المهمة تأدبا مع اللـه وحفظاً للإيمان في القلوب وصيانة لها من الغفلة عن مثل هذه المعاني.

ومن ربانية السنن **ربانية الاتصاف**، إذ أن أفعال اللـه تتصف بما يتصف به جل شأنه فهي:"تتسم بالحكمة والعدل لأنها من فعله عز وجل وفعل اللـه هذه صفته دائما" [(3)].وفي القرآن الكريم والسنة النبوية تأكيد على ربانية السنن ويستهدف هذا التأكيد "ربط الإنسان حتى عندما يريد أن يستفيد من النواميس الموضوعية للكون، باللـه سبحانه وتعالى، وإشعار الإنسان بأن الاستعانة بالنظام الكامل لمختلف الساحات الكونية، والاستفادة من مختلف النواميس والسنن التي تتحكم في هذه ليس انعزالاً عن اللـه " [(4)] فالربانية تؤكد على الارتباط الروحي والواقعي باللـه سبحانه.

كما أن ربانية السنن بكل صورها: ربانية المصدر وربانية الارتباط وربانية الاتصاف يظهر أثرها في الانتظام والاتساق في الكون وسننه، وفي سنن الطبيعة مع سنن الجماعات وسنن الأفراد لا تصادم بينها ولا تعارض ولا تضاد.

الفرع الثاني: الحكمة

تتصف السنن الإلهية بالحكمة فهي مبنية على أساس من الحكمة، ومنظومة على اعتبارها، منزهة عن العشوائية والصدفة، كما أنها تتصف بالحكمة في تطبيقها الواقعي يقول شريف الخطيب :"فاللـه عز وجل إذا

---

(1) مسلم، كتاب: الطهارة، باب: استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء، (برقم:505، ص140)، قال حدثنا يحيى بن أيوب وسُرَيج بن يونس وقتيبة بن سعيد وعلى بن حُجْر جميعاً عن إسماعيل بن جعفر قال ابن أيوب حدثنا إسماعيل أخبرني العلاء عن ابيه عن أبي هريرة رضي اللـه عنه حدَّث به، النسائي، كتاب: الطهارة، باب: حلية الوضوء، (ص33، برقم:150)، أبو داوود، كتاب: الجنائز، باب: ما يقول إذا زار القبور أو مر بها، (ج4، ص69، برقم:3229)، ابن ماجة، كتاب: الزهد، باب: ذكر الحوض، (ج5، ص675، برقم:4306)، أحمد، (ج13، ص373، برقم:7993)، مالك، كتاب: الطهارة، باب: جامع الوضوء، (ج1، ص28، برقم:28)، كلهم من طريق العلاء وهو ابن عبد الرحمن بن يعقوب.

(2) يحيى بن شرف النووي(676هـ)، المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار ابن حزم- بيروت، ط1: 2002، ص332.

(3) شريف الخطيب، السنن الإلهية في الحياة الإنسانية، ج1، ص54.

(4) محمد باقر الصدر، المدرسة القرآنية، ص68.

حقق سنة من سننه في عباده إنما يكون وراء وقوع هذه السنة حكمة بالغة له سبحانه" [1] وفي السنة وتطبيقها حكمة، فلا تقع جزافاً ولا تعمل تخبطاً، إنما لها أسباب تعمل في ظلها، وموانع يجب انتفاؤها،وحِكَمٌ تحققها.

الفرع الثالث: العدل.

وتتصف السنن الإلهية بالعدل فهي عادلة في مبناها؛ أي أنها تقوم على أساس العدل فلا يتكلف الإنسان إزاءها مالا يطيق ولا يجازى فيها بما لايستحق ولا يكسب ما لم يقدم له سبباً ولا يجبر على شيء حتى يختار الطريق إليه، كما أنها عادلة في تطبيقها بين البشر إذ إنَّ البشر أمامها سواء من كان محلا لعملها عملت فيه دون محاباة فلا يخرج عن سيرها إنسان مؤمن أوكافر، غني أو فقير، في القديم و الحديث [2] وهو أمر متحقق في كل السنن وللتمثيل على ذلك أذكر ما أخرج مسلم من حديث أنس رضي الله عنه عن الرسول ﷺ :"**إِنَّ الْكَافِرَ إِذَا عَمِلَ حَسَنَةً أُطْعِمَ بِهَا طُعْمَةً مِنْ الدُّنْيَا وَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَإِنَّ الله يَدَّخِرُ لَهُ حَسَنَاتِهِ فِي الْآخِرَةِ وَيُعْقِبُهُ رِزْقًا فِي الدُّنْيَا عَلَى طَاعَتِهِ** "[3] فالمؤمن والكافر "أمام سنة الرزق وأن فعل الخير من أسباب الرزق سواء"، وأخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قول الرسول ﷺ :" **إِنَّ الله لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ قَالَ ثُمَّ قَرَأَ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ** " [4] وسنة الأخذ بالظلم عامة للمؤمن والكافر، القوي والضعيف.

الفرع الرابع: الديمومة والاستمرار.

كما تتصف السنن الإلهية بالاستمرار والديمومة فالله القوي القادر أراد للسنن الديمومة والثبات وفق العدل ووفق الحكمة ولم يحاب سبحانه، أحداً ولا يستطيع أحدٌ أن يتجاوز سننه، أو أن يحيد عنها، بل هو مضطر للانقياد لها وهذا لا يعني إلغاء فاعلية الإنسان تجاه السنن، وإنما يعني صرامة السنن ونفاذها المتحقق لها بكونها بفعل الله سبحانه.

الفرع الخامس: الثبات.

يُعَد الثبات الخاصية الثانية للسنن الإلهية ذلك لأن سنن الأنفس قوانين تحكم النفس الإنسانية وتسيَّر حياتها، وأهم سمات القانون الثبات والصرامة في الثبات.

---

(1) المرجع السابق، ص55.

(2) ينظر: محمد باقر الصدر، المدرسة القرآنية ، دار التعارف- بيروت، ط :1980، ص65.

(3) أخرجه مسلم، كتاب: صفة القيامة والجنة والنار، باب: جزاء المؤمن بحسناته في الدنيا والآخرة وتعجيل حسنات الكافر في الدنيا، (ص1347، برقم:7192)، قال حدثنا عاصم بن النضر التيمي حدثنا معتمر قال سمعت أبي حدثنا قتادة عن أنس بن مالك أنه حدّث عن رسول الله ﷺ به، أحمد، (ج19، ص266، برقم:12237)من طريق قتادة عن انس نحوه.

(4) سبق تخريجه: ص34.

وجاءت خاصية الثبات بنص القرآن فاللـه سبحانه يقول:(**فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللـه تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللـه تَحْوِيلًا**)[1].

وثبات السنن يعني

1. **ثباتها في محل عملها،**
2. **وثباتها في أثرها.**
3. **ثباتها في عدم زوالها وتغيرها.**

فثباتها في محل عملها عدم تحول سنة عن محل عملها إلى آخر، إذ إن التحويل نقل الشيء من مكان إلى آخر[2]؛ مثلا في سنن الأقوام والجماعات لا تتحول سنة النصر إلى من لا يستحقها، ولا تتحول النهضة عن أمة سعت لها وأخذت بأسبابها إلى أمة أخرى سارت في طريق الغفلة، وفي سنن الأفراد لا تتحول سنة الهداية عمن أخذ بأسباب الهداية، كما لا تتحول سنة الضلال عمن يأتي أسبابه.

وثبات السُّنن في أثرها يعني أنها لا تقبل التبديل ففي سنة الجزاء، لا يتبدل جزاء المحسن بالإساءة ولا يتبدل جزاء المسيء بالإحسان، ولا تتبدل سنن العقوبة بسنن الثواب.

وثباتها في نفاذها ودوامها واستقرارها لأنها لا تقبل الزوال، فهي لا تتوقف عن العمل محاباة لأحد بل لا تزال تعمل في كل إنسان، ولا يستطيع أحد إيقافها أو الخروج عنها يقول المراغي:" ما أجرى اللـه به العادة لا يتسنى لأحد سواه أن يغيره ولا أن يحوله"[3].

ومن أمثلة ثبات السنن الإلهية في الكون ما جاء في قوله تعالى:(**لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ**)[4] وأخرج البخاري من حديث أبي بكرة رضي اللـه عنه عن النبي ﷺ:" **...فَانْكَسَفَتْ الشَّمْسُ فَقَامَ النَّبِيّ ﷺ يَجُرُّ رِدَاءَهُ حَتَّى دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَدَخَلْنَا فَصَلَّى بِنَا رَكْعَتَيْنِ حَتَّى انْجَلَتْ الشَّمْسُ فَقَالَ صَلَّى اللـه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمَا فَصَلُّوا وَادْعُوا حَتَّى يُكْشَفَ مَا بِكُمْ** "[5] وهذا الثبات ظاهر لكل إنسان، كما أن الثبات حاضر في السنن الاجتماعية أخرج البخاري من حديث أبي سعيد الخدري رضي اللـه عنه عن الرسول ﷺ :" **لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ**

---

(1) فاطر: من الآية 43.

(2) ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج11، ص189..

(3) أحمد مصطفى المراغي ، تفسير المراغي، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1: 1998، ج5، ص344.

(4) يس: 40.

(5) أخرجه البخاري، كتاب: الكسوف، باب: الصلاة في كسوف الشمس، (ص182، برقم:1041)، قال حدثنا شهاب بن عباد قال حدثنا إبراهيم بن حميد بن إسماعيل عن قيس قال سمعت أبا مسعود وذكر الحديث، ومسلم، كتاب: صلاة الكسوف، باب: ذكر النداء بصلاة الكسوف، (ص406، برقم:2070)، وابن ماجة، كتاب: إقامة الصلاة والسنة فيها، باب: ما جاء في صلاة الكسوف، (ج2، ص418، برقم:1261)، النسائي، كتاب: الكسوف، باب: الأمر بالصلاة عند كسوف القمر، (ص251، برقم:1459)، أحمد، (ج24، ص30، برقم:2039)، كلهم من حديث أبي بكرة رضي اللـه عنه، أبو داوود، كتاب: إقامة الصلاة والسنة فيها، باب: ما جاء في صلاة الكسوف، (ج2، ص137، برقم:1170)، من طريق عبيد بن عمير عن عائشة نحوه.

حَتَّى لَوْ سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللـه الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى قَالَ فَمَنْ"[1] فأكد الرسول على جريان واطراد ونفاذ السنن في أمته بنون التوكيد الثقيلة.

وقد وقف عدد من العلماء والباحثين أمام سنن الأفراد موقف المنبه إلى عدم ثباتها ومنهم محمد رشيد رضا في قوله:" وما كل فرد يعاقب على ذنوبه في حياته الدنيا ولكن كل أمة تعاقب على ذنوبها في الدنيا""[2] ونصر اللـه الشريف وعلل ذلك :"لأن السنة إذا ظهرت في حياة فرد من البشر فهي ليست لازمة له ولا مطردة في كل فرد ذلك لأن حياة الفرد قصيرة قياسا إلى حياة الأمم""[3] واستدل عليه بأن نهايات الأفراد غير مطردة-على عكس نهايات الأقوام- ومثل لذلك بنهاية طلّاب الدنيا فمنهم من يوف إليهم ما طلبوه وسعوا وعملوا له ومنهم من يخسف به مثل قارون[4] وأرجعوا الأمر إلى عدد من الأسباب، والملاحظ أن موقفهم هذا ومعارضتهم ثبات السنن يكون أثناء حديثهم وتحليلهم لسنن الأقوام، فهم حين يعرضون سنن الأقوام على حال الأفراد فإن السنن لا تنتظم ولا تثبت وأهم سبب لذلك أن سنن الأفراد تختلف عن سنن الأقوام وإن اشتركت معها في موضوع السنة؛ ومثال ذلك سنن الرزق التي في الأقوام وأن الرزق الواسع يلازم صلاح الأمم وأن اللـه سبحانه يوسع رزق الأقوام إذا تغير القوم من حال الكفر إلى حال الإيمان" يقول اللـه سبحانه على لسان سيدنا نوح:﴿ **فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۝ يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا** ﴾[5] وهذه السنة بصورتها هذه لا تطرد في حال الأفراد، نعم قد يعطل اللـه تحقق سنة في فرد كما عطل سبحانه فعل السكين في إسماعيل عليه السلام، وكما عطل الحرق مع إبراهيم عليه السلام، وهذا في المعجزات وليس هو الأصل في حياة البشر.

ويمكن التدليل على ثبات السنن بثلاث أدلة :

الأول: ورود بعض سنن النفس الإنسانية في النصوص الشرعية مع التأكيد على ثباتها واطرادها والتأكيد على الخاصية نفسها في عدد من السنن يبين أن السنن بعامة تتصف بهذه الخاصية ومثال هذا الدليل قول اللـه سبحانه:﴿ **فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللـه الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللـه ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾[6]، حيث تدلل الآية على ثبات سنة التدين في الإنسان وأنه لا سبيل لتبدلها، ومنها حديث أبي أيوب رضي اللـه عنه عن الرسول ﷺ:" **لَوْلَا أَنَّكُمْ تُذْنِبُونَ لَخَلَقَ اللـه خَلْقًا يُذْنِبُونَ يَغْفِرُ لَهُمْ**" [7] فسنة الخطأ لا يمكن أن تترك الإنسان بل هي سنة ملازمة له وهي سنة ثابتة في كل إنسان كائنا من كان.

---

(1) سبق تخريجه: ص12.

(2) محمد رشيد رضا، المنار، ج12، ص240.

(3) نصر اللـه الشريف، عقاب اللـه للأمم، ص20.

(4) المرجع السابق، ص21.

(5) نوح:10 -12

(6) الروم: 30.

(7) أخرجه مسلم، كتاب: التوبة، باب: سقوط الذنب بالاستغفار والتوبة، (ص1314، برقم:7063)، قال حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا ليث عن محمد بن قيس قاص عمر بن عبد العزيز عن أبي صرمة عن أبي أيوب، والترمذي، كتاب: الدعوات، باب: فضل التوبة

الثاني: وهو دليل مستنبط من غرض قصص الأفراد الواردة في القرآن والسنة، إذ أن من أهم أغراض القصة الاتعاظ والاعتبار بأن ما حصل لمن في القصة هو غير بعيد عن من يأتي فعلهم، أو عمن هو محل لما جاء في القصة، ولا يكون الاعتبار ممكنا من قصص الأفراد إلا بتماثل أحوالهم، يقول ابن تيمية :"ومن هذا الباب صارت قصص المتقدمين عبرة لنا ولولا القياس واطراد فعله وسنته لم يصح الاعتبار بها والاعتبار إنما يكون إذا كان حكم الشيء حكم نظيره "[(1)]

وبما أن نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية عرضت قصص الأفراد والقصص للاعتبار فلزم ثبات محل الاعتبار وإلا ما أمكن تحقيق الهدف من القصص.

ولهذا الدليل شاهد من حديث رسول الله حيث عد ما في قصة آدم عليه السلام من نسيانه عليه السلام منسحبا على باقي أبنائه أخرج الترمذي من حديث أبي هريرة عن الرسول ﷺ قوله :" **فَجَحَدَ آدَمُ فَجَحَدَتْ ذُرِّيَّتُهُ وَنُسِّيَ آدَمُ فَنُسِّيَتْ ذُرِّيَّتُهُ وَخَطِئَ آدَمُ فَخَطِئَتْ ذُرِّيَّتُهُ** "[(2)] فعقب على القصة بأن ما حصل في الأولين سيحصل في اللاحقين وكل ذرية آدم معرضة لما تعرض له آدم عليه السلام من النسيان، ولن يخرج إنسان عن هذه الصفة فهي ملازمة له،واطراد هذه السنة إنما هو بِعِلَةِ البشرية أخرج البخاري من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قول الرسول ﷺ:"**إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَنْسَى كَمَا تَنْسَوْنَ فَإِذَا نَسِيتُ فَذَكِّرُونِي** "[(3)]، فَعَلَّلَ النسيان بالبشرية، وهذا يعني أن كل البشر ينسون وكلهم تعمل فيه سنة الضعف التي من مظاهرها النسيان.

الثالث: كما أنّ في اشتراك الأديان السماوية في الأصول والتوجيهات دلالة على ثبات السنن لأن أسباب سعادة الإنسان وأسباب شقائه وما يصلحه وينفعه من أمور تتفق في مساحة واحدة ولهذا اتفقت الأديان على

والاستغفار وما ذكر من رحمة الله، (ج5، ص508، برقم:3539)، وأحمد، (ج38، ص497، برقم:23515)، كلهم من طريق الليث بن سعد.

(1) ابن تيمية، جامع الرسائل، ص55.

(2) أخرجه الترمذي، كتاب: تفسير القرآن، باب: ومن سورة الأعراف، (ج5، ص159، برقم:3076)، قال حدثنا عبد بن حميد حدثنا أبو نعيم حدثنا هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبي صالح عن أبي هريرة، والحاكم عن أبي نعيم نحوه، (ج2، ص585) وأبو نعيم هو الفضل بن دكين وأبو صالح هو ذكوان، وللحديث متابعات مقبولة من طريق الحارث بن أبي ذباب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه أخرجها أبو يعلى، (ج5، ص495، برقم: 6549)، والبيهقي، السنن الكبرى، (ج10، ص247، برقم: 20520)، وابن حبان، (ج14، ص40، برقم:6167)، وله متابعة أخرى من طريق مخلد بن مالك عن أبي خالد الأحمر عن داوود بن أبي هند عن الشعبي عن أبي هريرة، أخرجها الحاكم (ج1، ص64).

الحديث **حسن** فيه هشام بن سعد من رجال مسلم **صدوق له أوهام** (التقريب، ص639، برقم: 7294)، قال ابن معين فيه ضعف (التاريخ، ج2، ص617، برقم:893)، وقال أحمد: لم يكن بالحافظ، وأبو حاتم: يكتب حديثه ولا يحتج به (الجرح والتعديل، ج8، ص77، برقم:15896) وقال محمد بن سعد (230هـ) كان كثير الحديث يُسْتَضعف (الطبقات الكبير، ج7، ص576، برقم:2195) تحقيق على محمد، الخانجي- القاهرة، ط:2001،(د.ط)، قال الترمذي: حسن صحيح، قال الحاكم:" حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه"، وقال الحاكم عن المتابعة:" هذا حديث صحيح على شرط مسلم"ووافقه الذهبي، صححه الألباني، صحيح الترمذي، مكتب التربية العربي- الرياض، ط1 :1988، وقال شعيب: إسناده قوي على شرط مسلم، والحديث صحيح لغيره بمجموع طرقه.

(3) أخرجه البخاري، كتاب: الصلاة، باب: التوجه نحو القبلة حيث كان، (ص70، برقم:401)، قال حدثنا عثمان قال حدثنا جرير عن منصور عن إبراهيم عن علقمة قال: قال عبد الله، ومسلم، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: السهو في الصلاة والسجود له، (ص259، برقم:1211)، والنسائي، كتاب: السهو، باب: التحري، (ص213، برقم:1240)، وأبو داوود، كتاب: الصلاة، باب: إذا صلى خمسا، (ج2، ص72، برقم:1012)، وابن ماجة، كتاب: إقامة الصلاة والسنة فيها، باب: فيمن شك في صلاته فتحرى الصواب، (ج2، ص380، برقم:1211)، كلهم من طريق منصور نحوه، عثمان هو ابن محمد بن إبراهيم وجرير هو ابن عبد الحميد ومنصور هو ابن المعتمر وإبراهيم هو ابن يزيد وعلقمة هو ابن قيس وعبد الله هو ابن مسعود رضي الله عنه.

تشريعه، وأن ما اتفقت الأديان على اعتباره إنما هو لاشتراك كل الناس فيه، وهذا دليل على أن حاجات الأفراد واحدة وأن نفس الإنسان لا تختلف في قوانينها الأساسية.

وكما أن سنن الأفراد لا تتبدل فهي كذلك لا تزول فلن يشقى المؤمن بإيمانه ولن يأتي زمان على المعرض عن ذكر اللـه يرضى ويطمئن لإعراضه يقول تعالى:﴿ **وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى** ﴾ (1) بل إن جزاء كل منهما ملازم لصاحبه.

ولا يعني ثبات السنن الجبرية فيها وإنما يعني الاطراد والاستمرار بما يحقق القانونية فيه، كما أنها لا تعني الحتمية التي تتوافر في معامل التجارب المادية بل هي تنبيء عن ما يصلح الإنسان فردا وجماعة وعما يفسده، والجزاء لفعله والتخيير للإنسان بين الافادة من سنن للـه والاعتبار بها أو تركها وتجاهلها، كما أن لكلٍ قانونًا يحكمه وأجلًا في علم اللـه يقيده وأسبابًا قد يدركها الإنسان أو يجهلها، فليس معنى الثبات" أن النتائج والأهداف تتحقق طرديا وتلقائيا لا بل هناك عوامل لا يعلمها الإنسان وحكم لا يدركها ...والفكر الإسلامي يؤمن بالسنن والاحتمالات لا بالجبرية والحتميات"(2)

ولا بد لثبات السنن من توافر أسبابها وانتفاء موانعها مثل سنة اللـه في عقاب الأفراد تتحقق بضوابط منها" أن العقاب بعد التذكير وأن العقاب بعد الإملاء والاستدراج وإذا نزل العقاب ارتفعت التوبة والعقاب من جنس العمل(3).

الفرع السادس: العموم والشمول.

ومن آثار ثبات السنن عمومها لكونها ثابتة وليس لأحد أن يوقفها أو أن يتجاوزها عمّت كل أفرادها لا يخرج عن نظامها أحد، لا محاباة لأن البشر كلهم أمام عدل اللـه سواء وكلهم يسير ضمن ما سنه من قوانين تحكم وتسير حياتهم، فهي حيادية أمام فعل البشر وما يستحقونه وليس لأحد معها خصوصية، ولهذا لما زعم اليهود أنهم أبناء اللـه ذكرهم اللـه سبحانه بأن دلالة كذبهم أنهم تسري عليهم سنن اللـه التي تسري على كل إنسان يقول تعالى :﴿ **وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاء اللـه وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاء وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاء وَللـه مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ**﴾(4)، وهذا يعني أن كل الناس سواء إذ لا مزية لأحد على أحد، وأن بشريتهم كانت العلة التي جعلت عمل السنن فيهم مطردًا كما كان في الأقوام قبلهم وكما سيكون فيمن بعدهم.

---

(1) طه:124.

(2) محمد هيشور، سنن القرآن في قيام الحضارات، المعهد العالمي للفكر الإنساني- القاهرة، ط1 :1996، ص31.

(3) ينظر: محمد ربابعة، سنة اللـه في عقاب الأفراد في القرآن الكريم، رسالة جامعية، كلية الدراسات الفقهية والقانونية، جامعة آل البيت- المفرق،2002، ص212-217.

(4) المائدة: 18.

كما أنه لا يخرج أحد عن سير السنن بإرادةٍ منه واختيار لأن السنن قوانين اللـه ولا يستطيع أحد أن يغير قانون اللـه أو يتحداه وكما قال المراغي:" ما أجرى اللـه به العادة لم يكن لأحد أن يغيره "[1].

يمكن التمثيل على عموم السنن بأحاديث منها ما أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة رضي اللـه عنه عن الرسول ﷺ:" **مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللـه عَنْهُ فِطْرَةَ اللـه الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللـه ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ**"[2] وقد ورد الحديث بلفظين"ما من" و"كل" وكلا اللفظين يفيد العموم، وأخرج مسلم من حديث عبد اللـه بن مسعود رضي اللـه عنه عن الرسول ﷺ:" **مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنْ الْجِنِّ قَالُوا وَإِيَّاكَ يَا رَسُولَ اللـه قَالَ وَإِيَّايَ إِلَّا أَنَّ اللـه أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ**"[3] والنكرة في سياق النفي تعم، وفي حديث:" **مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ أَوْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ**"[4] مَنْ: اسم موصول من ألفاظ العموم، وفيما أخرجه مسلم من حديث حُذَيْفَةُ رضي اللـه عنه عن رَسُول اللـه ﷺ:" **تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا**[5] **نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا**[6] **فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتْ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَالْآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا**[7] **كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا**[8] **لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ** "[9] ومحل عمل السنن (القلوب) في الحديث تفيد العموم إذ أنها لم تقيد بقيد أو تختص بنوع ولم يلحقها شرط بل هي عامة لكل إنسان له قلب على المعنى الحقيقي.

وكذلك فإن السنن تتصف بالشمول فاللـه سبحانه الحكيم جعل لكل تفاصيل حياة الإنسان سننا تنظمها وتحكمها فليس للعشوائية أو للصدفة محل، كل السنن ففي سنن الكون نجد أن كل مخلوقات اللـه لها قوانين

---

(1) المراغي، تفسير المراغي، ج5، ص344.

(2) سبق ص19.

(3) أخرجه مسلم، كتاب: صفة القيامة والجنة والنار، باب: تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس، (ص1350، برقم:7210)، قال حدثنا عثمان بن أبي شيبة وإسحق بن إبراهيم قال إسحق أخبرنا وقال عثمان حدثنا جرير عن منصور عن سالم بن أبي الجعد عن أبيه عن عبد اللـه بن مسعود، أحمد، (ج6، ص319، برقم:3779)، عن منصور نحوه.

(4) أخرجه البخاري، كتاب: البيوع، باب: من أحب البسط في الرزق، (ص332، برقم:2067)، قال حدثنا محمد بن أبي يعقوب الكرماني حدثنا حسان حدثنا يونس قال محمد هو الزهري عن أنس بن مالك، ومسلم، كتاب: البر والصلة، باب: صلة الرحم وتحريم قطعها، (ص1237، برقم:6616)، وأبو داوود، كتاب: الزكاة، باب: في صلة الرحم (ج2، ص387، برقم:1690)، أحمد، (ج21، ص209، برقم:13585)، كلهم من طريق بن شهاب نحوه.

(5) الإشراب: خلط لون بلون، ابن الأثير، النهاية، ج1، ص851، وأشرب قلبه كذا أي خالط قلبه.

(6) الصفا: جمع صفاة، وهي الصخرة والحجر الأملس، ابن الأثير، النهاية، ج2، ص40.

(7) مرباد: الربدة لون بين السواد والغبرة، ابن الأثير، النهاية، ج1، ص624.

(8) مجخيا: مائلا، أي كالإناء المائل الذي لا يُنْتَفَع بما يوضع به، ينظر: ابن الأثير، النهاية، ج1، ص851.

(9) أخرجه مسلم، كتاب: الإيمان، باب: بيان أن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا وإنه يأرز بين المسجدين، (ص87، برقم:286)، قال: حدثنا محمد بن عبد اللـه بن نمير حدثنا أبو خالد يعني سليمان بن حيان عن سعد بن طارق عن ربعي عن حذيفة رضي اللـه عنه، ورواه أحمد ،(ج36، ص314، برقم:23280) من طريق ربعي بن حراش عن حذيفة.

تسيرها سواء الجمادات أو الأحياء، الكائنات الكبيرة المتناهية في الكبر أو الصغيرة الدقيقة، ما كان منها فوق سطح الأرض أو في باطنها أو في السماوات من أفلاك ونجوم ومجرات.

وفي سنن الأقوام تمتد السنن إلى كل ما يتعلق بالأمم من قوانين، كقوانين نهضة الأمم وسقوطها، أو قوانين انتصارها وهزيمتها، وقوانين تغير أحوالها، بالإضافة إلى قوانين تداول الحضارات وصراعها.

كما أن سنن الأفراد شاملة لكل حياة الفرد من ابتلاء بالنعم أو بالنقم، وجزاء بالخير أو بالشر، وهداية أو ضلال، وسنن تتعلق بأعماله، وأخرى بمشاعره وأفكاره، وفي كل سن من السنن تفصيل واسع.

والعلة في شمول السنن الإلهية أنها من فعل الله عز وجل فهي معصومة من كل نقص، وهو سبحانه من أحاط علمه بكل شيء، وسن لكل شيء سننه.

الفرع الخامس: التناسق والانتظام.

تعمل السنن الإلهية بكل أنواعها بصورة مجتمعة يقول عرجون:" سنن الله بصفة عامة سواء أكانت كونية أم بشرية مرتبطة أشد الارتباط في وحدة نظامية يأخذ بعضها بحجر بعض وتتماسك في اتساق حتى تكون نظاما كونيا متناسقا أبدع ما يكون التناسق "[1] والتناسق والانسجام للسنن يظهر على عدة صور منها: **أنها تعمل مجتمعة في ما بين الأنواع المختلفة للسنن** إذ تنسجم السنن التشريعية مع سنن الفطرة وناموس الكون[2]، وتعمل السنن الاجتماعية مع السنن الكونية، كما أن السنن الاجتماعية لا تعمل حتى تسري في نفوس الأفراد وتؤثر فيهم فالمجتمع يتكون من أفراده.

يقول تعالى:﴿ **فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا۝ يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَارًا**﴾[3] فالله سبحانه يغير حال الأمة بالرخاء إذا تغيرت الأمة للطاعة والإيمان، ويقول جل شأنه:﴿ **إِنَّ الله لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ** ﴾[4] وهذا بيان للارتباط الوثيق بين سنن الأقوام وسنن الأفراد.

وفي قوله تعالى:﴿ **ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ** ﴾[5] ربط بين سنن الكون وسنن الأفراد.

وروي القرطبي في تفسير الآية عددا من الأقوال منها:" ابن عباس قال: هو نقصان البركة بأعمال العباد كي يتوبوا، قال النحاس: وهو أحسن ما قيل في الآية، وعنه أيضا: أن الفساد في البحر انقطاع صيده بذنوب بني آدم، وقيل: الفساد المعاصي وقطع السبيل والظلم؛ أي صار هذا العمل مانعا من الزرع والعمارات والتجارات؛ والمعنى كله متقارب"[6].

---

(1) محمد الصادق عرجون، سنن الله في المجتمع من خلال القرآن الكريم، الدار السعودية- جدة، ط3: 1984، ص11.
(2) الوزير، المسلم المعاصر، 32.
(3) نوح: 11- 12.
(4) الرعد: 11.
(5) الروم:41.
(6) نقله: أحمد القرطبي(671هـ)، الجامع لأحكام القرآن، دار ابن حزم- بيروت، ط1: 2004، ج2، ص2415.

وأردت بذكر أقوال العلماء في تفسير الآية تبيين سلامة حمل الفساد في الآية على اختلال حال الطبيعة واختلاف قوانينها التي هي أصلاً تلائم وتوائم طبيعة الإنسان السوي .

والصورة الآخرى لتناسق السنن في العمل، اجتماعها في النوع الواحد ففي سنن الكون تعمل قوانين الجاذبية مع قوانين الأفلاك وحركتها بالإضافة إلى قوانين الحرارة ....وكل قانون منها يعمل في ظل النواميس الأخرى وبتأثيرها والنظام متسق بينها أيما اتساق .

وفي سنن الأقوام تعمل سنن نصر اللـه للمؤمنين وإظهاره سبحانه للحق مع سنن تمحيص الصفوف بالإضافة إلى سنن التطهير من الذنوب مع سنن التدافع والتداول كلها تعمل جنبا إلى جنب كما أن:" سنن النصر تابعة لسنن التدافع، وسنن العقاب والشدة متعلقة بسنن الهداية والتشريع، وسنن الرخاء متحققة بسنن التمكين والاستخلاف، وتكاد تكون سنة التغيير أُم السنن"[(1)].

وفي سنن النفس الإنسانية تعمل سنن الابتلاء مع سنن الرزق، وسنن التمحيص مع سنن الهداية والضلال، وسنن العقاب في ظل سنن الاستدراج، وكل تلك السنن تعمل مجتمعة حين يأتي وقت عملها.

وقد يأخذ عمل السنن المجتمع صورة من صور التدافع وذلك لاجتماع سنتين في حال واحدة تظهر فيها التعارض ومثالها ما حصل في قصة النبي يوشع حيث دفعت سنةُ نصر اللـه أوليائه سنةَ الشمس في غروبها.

وتتدافع في سنن الأفراد سنن أسباب الهداية مع سنن أسباب الضلال إذا أتى العبد كلاً منهما فتدفع الأقوى منهما الأخرى، كما قد تدفع سنن الابتلاء سنن أسباب الرزق.

وإدراك أن عمل السنن متناسق ومنتظم، وأن السنن تعمل بصورة مجتمعة؛ سبب لفهم السنن وإدراك ثباتها وعدم تعطلها وإنما الأمر سنن تعمل والأقوى منها تدفع الأخرى، وما تحققت أسبابه أكثر كان حصوله آكد يقول محمد قطب:"إن السنن الربانية لا تعمل في حياة الناس، فرادى لكنها تعمل مجتمعة، وإن بدت إحدى السنن في ملابسة معينة أظهر فاعلية من غيرها، ولكن الحصيلة النهائية للواقع البشري هي الحصيلة النهائية للسنن الربانية مجتمعة ومتشابكة"[(2)].

المطلب الثالث: أساليب التعبير عن السنن النفسية في الحديث.

تنوعت الأساليب النبوية في عرضها للسنن، وهذا أدى إلى وجود صعوبة في استنباط هذه السنن، وكان الطريق المتبع في الكشف عن عدد من السنن طريق الفهم وتطبيق تعريف السنة وخصائصها -المستقاة من النصوص التي صرحت بلفظ السنة- على ما جاء في الحديث، وبعد البحث فيما ورد من أحادث ضمن موضوع السنن تبين أن الجامع المشترك في أساليب التعبير هو عن السنن التأكيد على العموم للسنة سواء كان التأكيد بلفظ

---

(1) راشد شهوان، مدخل إلى السنن الربانية، ص37.

(2) محمد قطب، حول التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية، دار الشروق- بيروت، ط1: 1998، ص97.

صريح، أو بصيغة تفيده، أو بمعنى يفهم من الحديث، كما يجدر التنبيه إلى أن الأساليب في عرض السنن قد تتداخل في الحديث الواحد.

وفيما يلي أهم الأساليب التي وردت في الحديث النبوي للتعبير عن السنن النفسية :

الفرع الأول: أسلوب الشرط.

وهو أسلوب يفيد التعميم لأنه بناء لعلاقة شرطية بين مقدمة ونتيجة متى تحققت فيها المقدمة تحققت النتيجة، ويترتب فيها فعل اللـه سبحانه على فعل العبد، ويُعْلَمُ أن فعل الجزاء هو فعل اللـه سبحانه بتصريح في الحديث أو أن يكون الفعل مما لا ينسب إلا لله وحده، ومثاله ما أخرجه البخاري من حديث أنس بن مالك رضي اللـه عنه عن النَّبِيِّ ﷺ فيما يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ قَالَ:" **إِذَا تَقَرَّبَ الْعَبْدُ إِلَيَّ شِبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا وَإِذَا تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا وَإِذَا أَتَانِي مَشْيًا أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً** "[1]، فرتب الحديث فعل اللـه على فعل العبد، وجعل سعي العبد إلى الهداية سبب لتوفيق اللـه له.

- وأخرج البخاري من حديث أبو سعيد الخدري رضي اللـه عنه قَالَ ﷺ :" **وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللـه وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللـه وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللـه وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنْ الصَّبْرِ**"[2] .
- وأخرج البخاري من حديث سلمة رضي اللـه عنه قَالَ النَّبِيّ ﷺ:" **مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللـه بِهِ وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللـه بِهِ**"[3] .
- وأخرج البخاري من حديث حكيم بن حزام رضي اللـه عنه قَالَ رَسُولُ اللـه ﷺ:" **الْبَيِّعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا أَوْ قَالَ حَتَّى يَتَفَرَّقَا فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا وَإِنْ كَتَمَا وَكَذَبَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا** "[4].

الأحاديث الثلاثة الأولى صرح فيها بنسبة فعل الجزاء إلى اللـه سبحانه بينما في الحديثين الآخرين فيفهم ذلك من معنى الحديث لأن الفعل في كليهما لا ينسب إلا لله.

الفرع الثاني: أسلوب التعميم بألفاظ العموم وصيغه.

استخدم الحديث النبوي الشريف ألفاظ العموم للتعبير عن السنن الإلهية ومنها (كل، جميع) واللذان يفيدان العموم والتأكيد عليه، والنكرة في سياق النفي، اسم الجنس المحلى بالتعريف الجنسي، وكلها من صيغ العموم[1].

---

(1) سبق ص36.

(2) سبق ص30.

(3) أخرجه البخاري، كتاب: الرقاق، باب: الرياء والسمعة، (ص1126، برقم:6499)، قال حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن سفيان حدثني سلمة بن كهيل حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان عن سلمة قال سمعت جندباً فذكر الحديث، ومسلم، كتاب: الزهد والرقائق، باب: من أشرك في عمله غير اللـه، (ص1420، برقم:7586)، وابن ماجة، كتاب: الزهد، باب: الرياء والسمعة (ج5، ص615، برقم: 4207) وأحمد، (ج31، ص107، برقم:18808) كلهم عن سلمة بن كُهَيل نحوه.

(4) سبق ص31.

- أخرج البخاري من حديث أبي هريرة رضي اللـه عنه قَالَ النَّبِيُّ ﷺ :"**مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللـه عَنْهُ فِطْرَةَ اللـه الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللـه ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ**" [2].

- أخرج البخاري من حديث أنس بن مالك رضي اللـه عنه قَالَ رَسُولُ اللـه ﷺ :" **لَنْ يَبْرَحَ النَّاسُ يَتَسَاءَلُونَ حَتَّى يَقُولُوا هَذَا اللـه خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَمَنْ خَلَقَ اللـه** "[3].

- أخرج البخاري من حديث عبد اللـه بن مسعود رضي اللـه عنه عن النبي ﷺ قَالَ:" **إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يَكُونَ صِدِّيقًا وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللـه كَذَّابًا**" [4]

الفرع الثالث: الألفاظ الدالة على الفرد من الجنس البشري.

ويعبِّر الحديث النبوي عن السنن الإلهية المتعلقة بالنفس الإنسانية بإسلوب الإخبار عن حقائق عامة تتعلق بالنفس الإنسانية ويعرضها كقاعدة عامة في الإنسان، وهي جمل خبرية دالة على ثبات وديمومة ما أَخْبِرَ به، كما يتعلق الإخبار فيها بالإنسان الفرد من حيث هو إنسان، وتأتي هذه الحقائق من خلال ألفاظ عبَّر بها الرسولﷺ عن الإنسان وعما يتعلق به من حقائق ومنها(إنسان، بشر، ابن آدم، نفس، قلب)

- أخرج مسلم من حديث حُذَيْفَةُ رضي اللـه عنه قال سَمِعْتُ رَسُولَ اللـه ﷺ يَقُولُ:" **تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ**

---

(1) ينظر: خليل بن كيكلدي العلائي(761هـ)، تلقيح العموم في تنقيح صيغ العموم، تحقيق: عبد اللـه آل الشيخ، ط1: 1983، ص149- 180.

(2) سبق ص19.

(3) أخرجه البخاري، كتاب: الاعتصام بالكتاب والسنة، باب: ما يكره من كثرة السؤال وتكلف ما لا يعنيه، (ص1255، برقم:7296) قال حدثنا الحسن بن صباح حدثنا شبابة حدثنا ورقاء عن عبد اللـه بن عبد الرحمن سمعت أنس بن مالك، وأحمد (ج19، ص54، برقم:11995) عن أنس بن مالك، وللحديث شاهد عن أبي هريرة رض اللـه عنه أخرجه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها، (ص82، برقم:260)، وأبو داوود، كتاب: السنة، باب: الجهمية، (ج5، ص235، برقم:4688).

(4) أخرجه البخاري ،كتاب :الأدب ،باب :قوله تعالى :"يأيها الذين آمنوا اتقوا اللـه وكونوا مع الصادقين .. ، (ص1063، برقم:6094) قال حدثنا عثمان ابن أبي شيبة حدثنا جرير عن منصور عن أبي وائل عن عبد اللـه رضي اللـه عنه، ومسلم، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: قبح الكذب وفضل الصدق، (ص1255، برقم:6730)، وأخرجه الترمذي، كتاب: البر والصلة، باب: ما جاء في الصدق والكذب، (ج3، ص516، برقم: 1971)، أبو داوود، كتاب: الأدب، باب: في النهي عن الكذب، (ج5، ص348، برقم:4950) وأحمد، (ج6، ص147، برقم:3638)، وابن ماجة، كتاب: المقدمة، باب: اجتناب البدع والجدل، (ج1، ص74، برقم:45)، الدارمي، كتاب: الرقاق، باب: في الكذب، (ج3، ص1783، برقم:2757)، كلهم عن عبد اللـه بن مسعود بألفاظ متقاربة.

بَيْضَاءُ حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتْ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَالْآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ "[1].

- أخرج البخاري من حديث صفية رضي اللـه عنا عن النَّبِيُّ ﷺ:" **إِنَّ الشَّيْطَانَ يَبْلُغُ مِنْ الْإِنْسَانِ مَبْلَغَ الدَّمِ وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا شَيْئًا** "[2].
- أخرج البخاري من حديث ابن عباس رضي اللـه عنه عن النَّبِيَّ ﷺ:" **لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ مَالٍ لَابْتَغَى ثَالِثًا وَلَا يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ وَيَتُوبُ اللـه عَلَى مَنْ تَابَ**"[3].
- أخرج البخاري من حديث عبد اللـه بن مسعود رضي اللـه عنه عن النبي ﷺ قَالَ:" **إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَنْسَى كَمَا تَنْسَوْنَ فَإِذَا نَسِيتُ فَذَكِّرُونِي** "[4].

الفرع الرابع: أسلوب قصص الاعتبار.

تُعَد قصص الأفراد الواردة في حديث الرسول ﷺ من مظان السنن الإلهية المتعلقة بالأفراد؛ حيث أن من أهداف القصص النبوي الاعتبار الذي يقتضي التماثل بين السابقين واللاحقين فيسعى الإنسان لنيل ما حازه السابقون من خير ويحذر وينزجر عن فعلهم الذي اقتضى عقابهم، وتبين له قوانين اللـه فيه.

وفي ذلك أمثلة متعددة من القصص النبوي الهادف والمتضمن سنن إلهية إنسانية جماعية وفردية، وأذكر في هذا مثالين:

- قصة ماشطة بنت فرعون، أخرج أحمد من حديث ابن عباس عن الرسول ﷺ أنه قال:" لَمَّا كَانَتْ اللَّيْلَةُ الَّتِي أُسْرِيَ بِي فِيهَا أَتَتْ عَلَيَّ رَائِحَةٌ طَيِّبَةٌ فَقُلْتُ يَا جِبْرِيلُ مَا هَذِهِ الرَّائِحَةُ الطَّيِّبَةُ فَقَالَ هَذِهِ رَائِحَةُ مَاشِطَةِ ابْنَةِ فِرْعَوْنَ وَأَوْلَادِهَا قَالَ قُلْتُ وَمَا شَأْنُهَا قَالَ بَيْنَا هِيَ تُمَشِّطُ ابْنَةَ فِرْعَوْنَ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ سَقَطَتْ الْمِدْرَى مِنْ يَدَيْهَا فَقَالَتْ بِسْمِ اللـه فَقَالَتْ لَهَا ابْنَةُ فِرْعَوْنَ أَبِي قَالَتْ لَا وَلَكِنْ رَبِّي وَرَبُّ أَبِيكِ اللـه قَالَتْ أُخْبِرُهُ بِذَلِكَ قَالَتْ نَعَمْ فَأَخْبَرَتْهُ فَدَعَاهَا فَقَالَ يَا فُلَانَةُ وَإِنَّ لَكِ رَبًّا غَيْرِي قَالَتْ نَعَمْ رَبِّي وَرَبُّكَ اللـه فَأَمَرَ بِبَقَرَةٍ مِنْ نُحَاسٍ فَأُحْمِيَتْ ثُمَّ أَمَرَ بِهَا أَنْ تُلْقَى هِيَ وَأَوْلَادُهَا فِيهَا قَالَتْ لَهُ إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً قَالَ وَمَا حَاجَتُكِ

---

(1) سبق ص45.

(2) البخاري، كتاب: الاعتكاف، باب: هل يخرج المعتكف لحوائجه إلى باب المسجد، (ص326، برقم:2035) قال حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري قال اخبرني علي بن الحسين رضي اللـه عنهما أن صفية زوج النبي ﷺ قالت به، ومسلم، كتاب: السلام، باب: أنه يستحب لمن رئي خاليا بامرأة وكانت زوجته أو محرما له أن يقول: هذه فلانة، ليدفع السوء به، (ص1070، برقم:5730)، أبو داوود، كتاب:الاعتكاف، باب:المعتكف يدخل البيت لحاجة، (ج3، ص196، برقم:2462)، ابن ماجة، كتاب:الصيام، باب: المعتكف يزوره أهله (ج3، ص247، برقم:1779)، أحمد (ج44، ص432، برقم:26863)، كلهم من طريق ابن شهاب الزهري نحوه.

(3) البخاري، كتاب: الرقاق، باب: ما يتقى من فتنة المال، (ص1117، برقم:6434) قال حدثنا عاصم عن ابن جريج عن عطاء قال سمعت ابن عباس رضي اللـه عنه يقول سمعت الرسول ﷺ ، مسلم، كتاب: الزكاة، باب: لو أن لابن آدم واديين لابتغى ثالثا، (ص465، برقم:2382)، وأحمد،(ج5، ص451، برقم:3051)، كلاهما من طريق ابن جريج وأخرجه الترمذي، كتاب:المناقب، باب:فضل أُبَي بن كعب، (ج6، ص190، برقم:3898)، من حديث أُبي بن كعب رضي اللـه عنه بنحوه.

(4) سبق: ص42.

قَالَتْ أُحِبُّ أَنْ تَجْمَعَ عِظَامِي وَعِظَامَ وَلَدِي فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ وَتَدْفِنَنَا قَالَ ذَلِكَ لَكِ عَلَيْنَا مِنْ الْحَقِّ قَالَ فَأَمَرَ بِأَوْلَادِهَا فَأُلْقُوا بَيْنَ يَدَيْهَا وَاحِدًا وَاحِدًا إِلَى أَنْ انْتَهَى ذَلِكَ إِلَى صَبِيٍّ لَهَا مُرْضَعٍ وَكَأَنَّهَا تَقَاعَسَتْ مِنْ أَجْلِهِ قَالَ يَا أُمَّهْ اقْتَحِمِي فَإِنَّ عَذَابَ الدُّنْيَا أَهْوَنُ مِنْ عَذَابِ الْآخِرَةِ فَاقْتَحَمَتْ"(1) ويشير الحديث إلى سنة ابتلاء أهل الإيمان و يهدف إلى "تبصير المسلمين بأن طريق الدعوات الربانية واحد والعقبات في طريقه واحدة"(2) ، فإذا ما تعرض أهل الإيمان للابتلاء قالوا إيمانا: ﴿ **هَذَا مَا وَعَدَنَا اللـه وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللـه وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا**﴾(3)، كما تشير القصة إلى سنة الثبيت حيث أن اللـه عز وجل يثبت أهل الصدق من المؤمنين فلا يبتليهم بما لا يطيقون من ويثبتهم إذا ما اشتد عليهم البلاء يقو جل شأنه ﴿ **يُثَبِّتُ اللـه الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللـه الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللـه مَا يَشَاء**﴾(4)

- قصة أصحاب الغار التي تتضمن سنة الجزاء، وأن فعل تقوى اللـه وافعل البر أسباب منجية من مهالك الدنيا، أخرج البخاري من حديث ابن عمر رضي اللـه عنه عن النبي ﷺ قوله:" بَيْنَمَا ثَلَاثَةُ نَفَرٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ يَمْشُونَ إِذْ أَصَابَهُمْ مَطَرٌ فَأَوَوْا إِلَى غَارٍ فَانْطَبَقَ عَلَيْهِمْ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ إِنَّهُ وَاللـه يَا هَؤُلَاءِ لَا يُنْجِيكُمْ إِلَّا الصِّدْقُ فَلْيَدْعُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِمَا يَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ صَدَقَ فِيهِ فَقَالَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ اللـهمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي أَجِيرٌ عَمِلَ لِي عَلَى فَرَقٍ مِنْ أَرُزٍّ(5) فَذَهَبَ وَتَرَكَهُ وَأَنِّي عَمَدْتُ إِلَى ذَلِكَ الْفَرَقِ فَزَرَعْتُهُ فَصَارَ مِنْ أَمْرِهِ أَنِّي اشْتَرَيْتُ مِنْهُ بَقَرًا وَأَنَّهُ أَتَانِي يَطْلُبُ أَجْرَهُ فَقُلْتُ لَهُ اعْمِدْ إِلَى تِلْكَ الْبَقَرِ فَسُقْهَا فَقَالَ لِي إِنَّمَا لِي عِنْدَكَ فَرَقٌ مِنْ أَرُزٍّ فَقُلْتُ لَهُ اعْمِدْ إِلَى تِلْكَ الْبَقَرِ فَإِنَّهَا مِنْ ذَلِكَ الْفَرَقِ فَسَاقَهَا فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا فَانْسَاحَتْ عَنْهُمْ الصَّخْرَةُ فَقَالَ الْآخَرُ اللـهمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ فَكُنْتُ آتِيهِمَا كُلَّ لَيْلَةٍ بِلَبَنِ غَنَمٍ لِي فَأَبْطَأْتُ عَلَيْهِمَا لَيْلَةً فَجِئْتُ وَقَدْ رَقَدَا وَأَهْلِي وَعِيَالِي يَتَضَاغَوْنَ(6) مِنْ الْجُوعِ فَكُنْتُ لَا أَسْقِيهِمْ حَتَّى يَشْرَبَ أَبَوَايَ فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَهُمَا وَكَرِهْتُ أَنْ أَدَعَهُمَا فَيَسْتَكِنَّا لِشَرْبَتِهِمَا فَلَمْ أَزَلْ أَنْتَظِرُ حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا فَانْسَاحَتْ عَنْهُمْ الصَّخْرَةُ حَتَّى نَظَرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَقَالَ الْآخَرُ اللـهمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي ابْنَةُ عَمٍّ مِنْ

---

(1) أحمد، (ج5، ص30، برقم:2821)، قال حدثنا أبو عمر الضرير أخبرنا حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فذكر الحديث، وابن حبان، (ج7، ص163، برقم:2903)، وللحديث شاهد أخرجه ابن ماجة، كتاب: الفتن، باب: الصبر على البلاء، (ج5، ص، برقم:4030) من حديث أبي بن كعب.

والحديث إسناده **حسن** فيه أبو عمر الضرير وهو حفص بن عمر **صدوق** (التقريب، ص157، برقم:1421) وحماد بن سلمة **ثقةٌ تغير حفظه بأخرة** (التقريب، ص163، برقم:1499)، وعطاء بن السائب **صدوق اختلط** (التقريب، ص429، برقم:4592)، وقال الترمذي:" سمع حماد من عطاء قبل الاختلاط" (ابن رجب الحنبلي، شرح علل الترمذي، ج2، ص735)

(2) محمد عبد القادر أبو فارس، الابتلاء والمحن في الدعوات، دار الفرقان- الأردن، ط1: 1986، ص159.

(3) الأحزاب: من الآية22.

(4) إبراهيم: 27.

(5) الفرق: مكيال مختلف في قدره، ينظر: ابن الأثير، النهاية، ج2، ص362.

(6) الضغاء: الصّياح والبكاء، ينظر: المصدر السابق، ج2، ص84.

أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ وَأَنِّي رَاوَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا فَأَبَتْ إِلَّا أَنْ آتِيَهَا بِمِائَةِ دِينَارٍ فَطَلَبْتُهَا حَتَّى قَدَرْتُ فَأَتَيْتُهَا بِهَا فَدَفَعْتُهَا إِلَيْهَا فَأَمْكَنَتْنِي مِنْ نَفْسِهَا فَلَمَّا قَعَدْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا فَقَالَتْ اتَّقِ اللـه وَلَا تَفُضَّ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ فَقُمْتُ وَتَرَكْتُ الْمِائَةَ دِينَارٍ فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا فَفَرَّجَ اللـه عَنْهُمْ فَخَرَجُوا"[1]

- ومنها قصة الساحر والغلام عَنْ صُهَيْبٍ أَنَّ رَسُولَ اللـه صَلَّى اللـه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ فَلَمَّا كَبِرَ قَالَ لِلْمَلِكِ إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ فَابْعَثْ إِلَيَّ غُلَامًا أُعَلِّمْهُ السِّحْرَ فَبَعَثَ إِلَيْهِ غُلَامًا يُعَلِّمُهُ فَكَانَ فِي طَرِيقِهِ إِذَا سَلَكَ رَاهِبٌ فَقَعَدَ إِلَيْهِ وَسَمِعَ كَلَامَهُ فَأَعْجَبَهُ فَكَانَ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ مَرَّ بِالرَّاهِبِ وَقَعَدَ إِلَيْهِ فَإِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرَبَهُ فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى الرَّاهِبِ فَقَالَ إِذَا خَشِيتَ السَّاحِرَ فَقُلْ حَبَسَنِي أَهْلِي وَإِذَا خَشِيتَ أَهْلَكَ فَقُلْ حَبَسَنِي السَّاحِرُ فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَتَى عَلَى دَابَّةٍ عَظِيمَةٍ قَدْ حَبَسَتْ النَّاسَ فَقَالَ الْيَوْمَ أَعْلَمُ آلسَّاحِرُ أَفْضَلُ أَمْ الرَّاهِبُ أَفْضَلُ فَأَخَذَ حَجَرًا فَقَالَ اللـهمَّ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ فَاقْتُلْ هَذِهِ الدَّابَّةَ حَتَّى يَمْضِيَ النَّاسُ فَرَمَاهَا فَقَتَلَهَا وَمَضَى النَّاسُ فَأَتَى الرَّاهِبَ فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ أَيْ بُنَيَّ أَنْتَ الْيَوْمَ أَفْضَلُ مِنِّي قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرَى وَإِنَّكَ سَتُبْتَلَى فَإِنْ ابْتُلِيتَ فَلَا تَدُلَّ عَلَيَّ وَكَانَ الْغُلَامُ يُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَيُدَاوِي النَّاسَ مِنْ سَائِرِ الْأَدْوَاءِ فَسَمِعَ جَلِيسٌ لِلْمَلِكِ كَانَ قَدْ عَمِيَ فَأَتَاهُ بِهَدَايَا كَثِيرَةٍ فَقَالَ مَا هَاهُنَا لَكَ أَجْمَعُ إِنْ أَنْتَ شَفَيْتَنِي فَقَالَ إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا إِنَّمَا يَشْفِي اللـه فَإِنْ أَنْتَ آمَنْتَ بِاللـه دَعَوْتُ اللـه فَشَفَاكَ فَآمَنَ بِاللـه فَشَفَاهُ اللـه فَأَتَى الْمَلِكَ فَجَلَسَ إِلَيْهِ كَمَا كَانَ يَجْلِسُ فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ قَالَ رَبِّي قَالَ وَلَكَ رَبٌّ غَيْرِي قَالَ رَبِّي وَرَبُّكَ اللـه فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الْغُلَامِ فَجِيءَ بِالْغُلَامِ فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ أَيْ بُنَيَّ قَدْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ مَا تُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ فَقَالَ إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا إِنَّمَا يَشْفِي اللـه فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الرَّاهِبِ فَجِيءَ بِالرَّاهِبِ فَقِيلَ لَهُ ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ فَأَبَى فَدَعَا بِالْمِئْشَارِ فَوَضَعَ الْمِئْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ فَشَقَّهُ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ ثُمَّ جِيءَ بِجَلِيسِ الْمَلِكِ فَقِيلَ لَهُ ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ فَأَبَى فَوَضَعَ الْمِئْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ فَشَقَّهُ بِهِ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ ثُمَّ جِيءَ بِالْغُلَامِ فَقِيلَ لَهُ ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ فَأَبَى فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ اذْهَبُوا بِهِ إِلَى جَبَلِ كَذَا وَكَذَا فَاصْعَدُوا بِهِ الْجَبَلَ فَإِذَا بَلَغْتُمْ ذُرْوَتَهُ فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلَّا فَاطْرَحُوهُ فَذَهَبُوا بِهِ فَصَعِدُوا بِهِ الْجَبَلَ فَقَالَ اللـهمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ فَرَجَفَ بِهِمْ الْجَبَلُ فَسَقَطُوا وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ قَالَ كَفَانِيهِمُ اللـه فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ اذْهَبُوا بِهِ فَاحْمِلُوهُ فِي قُرْقُورٍ فَتَوَسَّطُوا بِهِ الْبَحْرَ فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلَّا فَاقْذِفُوهُ فَذَهَبُوا بِهِ فَقَالَ اللـهمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ فَانْكَفَأَتْ بِهِمْ السَّفِينَةُ فَغَرِقُوا وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ قَالَ كَفَانِيهِمُ اللـه فَقَالَ لِلْمَلِكِ إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا آمُرُكَ بِهِ قَالَ وَمَا هُوَ قَالَ تَجْمَعُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ

(1) سبق، ص5.

وَتَصْلُبُنِي عَلَى جِذْعٍ ثُمَّ خُذْ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي ثُمَّ ضَعْ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ ثُمَّ قُلْ بِاسْمِ اللـه رَبِّ الْغُلَامِ ثُمَّ ارْمِنِي فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَتَلْتَنِي فَجَمَعَ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ وَصَلَبَهُ عَلَى جِذْعٍ ثُمَّ أَخَذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ فِي كَبْدِ الْقَوْسِ ثُمَّ قَالَ بِاسْمِ اللـه رَبِّ الْغُلَامِ ثُمَّ رَمَاهُ فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صُدْغِهِ فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صُدْغِهِ فِي مَوْضِعِ السَّهْمِ فَمَاتَ فَقَالَ النَّاسُ آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ فَأُتِيَ الْمَلِكُ فَقِيلَ لَهُ أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحْذَرُ قَدْ وَاللـه نَزَلَ بِكَ حَذَرُكَ قَدْ آمَنَ النَّاسُ فَأَمَرَ بِالْأُخْدُودِ فِي أَفْوَاهِ السِّكَكِ فَخُدَّتْ وَأَضْرَمَ النِّيرَانَ وَقَالَ مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَنْ دِينِهِ فَأَحْمُوهُ فِيهَا أَوْ قِيلَ لَهُ اقْتَحِمْ فَفَعَلُوا حَتَّى جَاءَتْ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا فَتَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فِيهَا فَقَالَ لَهَا الْغُلَامُ يَا أُمَّهْ اصْبِرِي فَإِنَّكِ عَلَى الْحَقِّ"[1].

ومما تجدر الإشارة إليه أن تلك الأساليب في التعبير عن السنن إنما هي مظان للسنن ومواطن تشير غالبا إلى وجود سنة ما في الحديث النبوي الشريف، وأنَّ تلك الأساليب قد يتواجد أكثر من أسلوب منها في الحديث الواحد.

(1) سبق، ص4.

المبحث الخامس: علاقة السّنن بالقدر

عرّف عدد من العلماء والباحثين القدر بالمراتب ذكرها ابن القيم ويمكن اعتمادها في تعريفه على أسلوب تعريف الشيء بأجزاءه وهذه المراتب هي:

المرتبة الأولى: علم الرب سبحانه بالأشياء قبل كونها.

المرتبة الثانية: كتابته لها قبل كونها.

المرتبة الثالثة: مشيئته لها.

المرتبة الرابعة: خلقه لها. (1)

وعلم الله جل شأنه شامل لكل الأشياء ولكل تفاصيلها، والسنن تدخل في متعلقات الأشياء التي أحاط الله بعلمها، فهي جزء من القدر، يقول شريف الخطيب في تعريف القدر:" علم الله بالأشياء ومقاديرها،وقوانينها، وسننها قبل حدوثها..." (2)

وعرّف سيد سابق القدر بأنه:" النظام المحكم الذي وضعه الله لهذا الوجود، والنواميس العامة والسنن التي ربط بها الأسباب بمسبباته" (3)

فالارتباط وثيق ين سنن الله عز وجل وبين القدر لأن السنن مما قدّره الله، فقد قدَّر الله سبحانه للأشياء- ومن بينها الإنسان- أن تسير منظمة بقوانين وسنن أرادها سبحانه وبينها له، والسنن ونتائجها ومآلاتها كلها من قدر الله، أخرج البخاري من حديث ابن مسعود عن الرسول ﷺ:" **إِنَّ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ وَكَّلَ بِالرَّحِمِ مَلَكًا يَقُولُ يَا رَبِّ نُطْفَةٌ يَا رَبِّ عَلَقَةٌ يَا رَبِّ مُضْغَةٌ فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَقْضِيَ خَلْقَهُ قَالَ أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى شَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ فَمَا الرِّزْقُ وَالْأَجَلُ فَيُكْتَبُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ**" (4) يبين الحديث أنَّ علم الله بحال الإنسان وبما يكون منه سابق، كما يبين أنَّ السنن من قدر الله فإن كل ماقدَّره الله قدّر معه سببه وقدَّره وفق سنته التي سنها، ويظهر هذا جلياً في الرواية التي أخرجها البخاري وفيها قوله ﷺ :" **فَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ لَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ كِتَابُهُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ وَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ**." (5) فلا يصير الإنسان إلى ما قدِّر له إلا بأسباب فلا يصير إلى السعادة إلا بأسباب السعادة، وكذلك لا يصير إلى الشقاء إلا بأسباب الشقاء، ومثل ذلك كل ما قدّره الله، فلا ينال المرء الرزق إلا بأسباب الرزق ولا يطال مَالَهُ محق إلا إذا أتي أسباب المحق، وأيضا السنن غير الشرطية هي من قدر الله، فالله- مثلا- يخلق كل

---

(1) ابن القيم، شفاء العليل، ض29.

(2) شريف الخطيب، السنن الإلهية، ج1، ص59.

(3) السيد سابق، العقائد الإسلامية، دار الفكر- بيروت، ط3: 1983، ص95.

(4)أخرجه البخاري، كتاب: الحيض، باب: قوله تعالى:" مخلقة ومخلقة"، (ص55، برقم:318)، قال حدثنا مسدد قال حدثنا حماد عن عبيد الله بن أبي بكر عن أنس رضي الله عنه، ومسلم، كتاب: القدر، باب: كيفية الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله (ص1269، برقم:6816) من طريق حماد عنه بمثله، والترمذي، كتاب: القدر، باب: الأعمال بالخواتيم، (ج4، ص15، برقم:2137) كلاهما عن زيد بن وهب عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(5) سبق ص56.

إنسان على فطرة الدين أي إنَّ خلق الإنسان قدر، وخلقه على الفطرة قدر، وخلقه مبتلى قدر، وخلقه قادر على الاختيار قدر، كلها أقدار الـلـه وكلها لا تتعارض.

وقد ورد عدد من الحاديث النبوية في مراتب القدر، ففي مرتبة **العلم** وأنَّ الـلـه جل شأنه علم بما سيكون من العبد أخرج البخاري من حديث أبي هريرة رضي الـلـه عنه عن الرسول ﷺ:"**مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ كَمَا تُنْتِجُونَ الْبَهِيمَةَ هَلْ تَجِدُونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ حَتَّى تَكُونُوا أَنْتُمْ تَجْدَعُونَهَا قَالُوا يَا رَسُولَ الـلـه أَفَرَأَيْتَ مَنْ يَمُوتُ وَهُوَ صَغِيرٌ قَالَ الـلـه أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ**"[1] ، في هذا الحديث جمع رسول الـلـه بين سنة التدين وفطريته وبين قدر الـلـه السابق وعلمه سبحانه، فكلاهما صادران عن إرادة واحدة.

وفي مرتبة **الكتابة** أخرج البخاري من حديث علي رضي الـلـه عنه عن النبيﷺ :" **مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ مَا مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ إِلَّا كُتِبَ مَكَانُهَا مِنْ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَإِلَّا قَدْ كُتِبَ شَقِيَّةً أَوْ سَعِيدَةً فَقَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ الـلـه أَفَلَا نَتَّكِلُ عَلَى كِتَابِنَا وَنَدَعُ الْعَمَلَ فَمَنْ كَانَ مِنَّا مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنَّا مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ قَالَ أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ السَّعَادَةِ وَأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ الشَّقَاوَةِ ثُمَّ قَرَأَ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى الْآيَةَ.**"[2]، ويبين الحديث أن أهل الشقاوة الذين سبق في علم الـلـه أنهم من أهل الشقاوة وكتب الـلـه ذلك عنده سيصرون إلى ذلك بأسباب يأتونها بإرادتهم أي سيأتون سنن الشقاوة أو الضلال وكذلك شأن أهل السعادة، وفي جواب الرسول ﷺ يقول الطيبي:" الجواب من اسلوب الحكيم، منعهم عن ترك العمل، وأمرهم بالتزام ما يجب على العبد من العبودية وزجرهم عن التصرف في الأمور الغيبية"[3]

وأخرج البخاري من حديث ابن مسعود عن الرسول ﷺ:" **إِنَّ الـلـه عَزَّ وَجَلَّ وَكَّلَ بِالرَّحِمِ مَلَكًا يَقُولُ يَا رَبِّ نُطْفَةٌ يَا رَبِّ عَلَقَةٌ يَا رَبِّ مُضْغَةٌ فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَقْضِيَ خَلْقَهُ قَالَ أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى شَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ فَمَا الرِّزْقُ وَالْأَجَلُ فَيُكْتَبُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ**"[4]، فالرزق مما يقدر ويكتب قبل ولادة الإنسان.

ومن الأحاديث في مرتبة **المشيئة** ما أخرج مسلم من حديث عبد الـلـه بن عمرو بن العاص رضي الـلـه عنهما عن النبيﷺ قوله:" **إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ كَقَلْبٍ وَاحِدٍ يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ الـلـه صَلَّى الـلـه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الـلـهمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ**"[5] وهذا يعني أنَّ

---

(1) سبق ص19.

(2) البخاري، كتاب: الجنائز، باب: موعظة المحدث عند القبر، (ص218، برقم:3208)، مسلم، كتاب: القدر، باب: كيفية خلق الآدمي، (ص1217، برقم:6824)، الترمذي، كتاب: التفسير، باب: ومن سورة والليل، (ج4، ص14، برقم:2136)، أبوداوود كتاب: السنة، باب: القدر، (ج5، ص222، برقم:4661).

(3) ابن حجر، فتح الباري، ج3، ص2919.

(4) سبق ص56.

(5) مسلم، كتاب: القدر، باب: تصريف الـلـه قلوب العباد كيف شاء، (ص1274، برقم:6844)، قال حدثني زهير بن حرب وابن نمير كلاهما عن المقرئ قال زهير حدثنا عبد الـلـه بن يزيد المقرئ قال حدثنا حيوة أخبرني أبو هانئ أنه سمع أبا عبد الرحمن الحبلي أنه سمع عبد الـلـه بن عمرو بن العاص .

الـلـه سبحانه متصرف في قلوب عباده وغيرها لا يمتنع عليه منها شيء ولا يفوته منها ما أراد [1]، وإن كان لـلــهداية وللضلال أسباب فإن شأنها لا يخرج عن كونها أسباب وأما الهداية الحقيقية والضلال فلا يكونان إلا بإرادة الـلـه أي بالتوفيق

ويمكن التمثيل على ما جاء من أحاديث في مرتبة **الإيجاد والخلق** ما أخرجه البخاري من حديث البراء بن عازب قَالَ رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَوْمَ الْخَنْدَقِ يَنْقُلُ مَعَنَا التُّرَابَ وَهُوَ يَقُولُ:

وَالـلـه لَوْلَا الـلـه مَا اهْتَدَيْنَا   وَلَا صُمْنَا وَلَا صَلَّيْنَا

أَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا   وَثَبِّتْ الْأَقْدَامَ إِنْ لَاقَيْنَا

وَالْمُشْرِكُونَ قَدْ بَغَوْا عَلَيْنا   إِذَا أَرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا [2]

والقدر في حياة الإنسان ليس جبرا يجبر عليه، ولكن هو علم الـلـه المسبق بأفعال الإنسان التي أراد الـلـه له أن يفعلها دون جبر، وقد ذكر ابن حجر رواية في حديث علي رضي الـلـه عنه عن النبيﷺ :" **مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ مَا مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ إِلَّا كُتِبَ مَكَانُهَا مِنْ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ** ..." [3] وجاء فيها أن عمر سأل النبي ﷺ :" ففيم العمل إذاً؟، قال كل ذلك لا ينال إلا بالعمل، قال عمر إذاً نجتهد"، وهنا يختلف الجبرية والقدرية وأهل السنة والجماعة، فقالت المعتزلة القدرية إن للعبد قدرة وإرادة وإستطاعة ..وتلك القدرة والإرادة والاستطاعة مستقلة عن إرادة الـلـه وقدرته الشاملة فأنسان هو الخالق لأفعاله ...وقالت الجهمية الجبرية بأن الإنسان لا حول له ولا قوة ولا إرادة ولا اختيار ..وأنَّ العباد مجبورون على أفعالهم [4]، وأما أهل السنة والجماعة فيقولون:" إن العباد فاعلون حقيقة. والـلـه خلق أفعالهم وخالق المؤمن والكافر البر والفاجر، وللعباد قدرة على أعمالهم وإرادة[5]

والهداية والضلال في عقيدة أهل السنة والجماعة هي من فعل العبد وقدرته وإرادته التي أعطاه الـلـه إياها، وهي في الوقت ذاته بتوفيق الـلـه جل شأنه أو خذلانه، وبمشيئته، وليس كما زعمت الجبرية بأن العبد مجبر على فعله ولا كما زعمت القدرية بأن العبد خالق أفعاله.

وكذلك الرزق ففي عقيدة أهل السنة والجماعة أن الرزق يقدره الـلـه جل شأنه وأن الإنسان يصيب منه بقدر اجتهاده وأخذه بأسباب الرزق، **يقول الرسولﷺ :"لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَى الـلـه حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرُزِقْتُمْ كَمَا يُرْزَقُ الطَّيْرُ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا"**[6] وهو حديث يدلل على أنّ الـلـه يرزق عباده كلهم ولكن بأسباب يأتونها

---

(1) النووي، المنهاج، ص655.

(2) البخاري، كتاب: القدر، باب: ما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الـلـه، (ص1144، برقم:6620)، مسلم، كتاب: الجهاد والسير، باب: غزوة خيبر، (ص4691، برقم:891).

(3) ابن حجر، فتح الباري، ج3، ص2920.

(4) ينظر: أحمد بن الحسن البيهقي (458هـ)، القضاء والقدر، تحقيق محمد آل عامر، العبيكان- الرياض، ط1: 200، ص78، من كلام المحقق.

(5) ينظر: البيهقي، القضاء والقدر، ص83.

(6) أخرجه الترمذي، كتاب: الزهد، باب: في التوكل على الـلـه، (ج4، ص166، برقم :2344) قال حدثنا علي بن سعيد الكندي حدثنا ابن المبارك عن حيوة بن شريح عن بكر بن عمرو عن عبد الـلـه بن هبيرة عن أبي تميم الجيشاني عن عمر بن الخطاب ،وأخرجه

وعلى رأسها التوكل، ومن الخلال المباحث التالية تظهر قوانين اللـه في رزقه وأنه سبحانه جعل قَدْرا منها مـن فعـل الإنسان، فالرزق ومقداره وأسباب تحصيله وأسباب محقه كلها في علم اللـه، وكلها من قدر اللـه جل شأنه.

ابن ماجه ، كتاب: الزهد ، باب: التوكل واليقين (ج5، ص590، برقم :4164) وأخرجه أحمد بن حنبـل (ج1، ص332، بـرقم :205) وأخرجه ابن حبان (ج2، ص509، برقم:730) وأخرجه البزار (ج1، ص476، برقم:340) وأخرجه الحاكم (ج4، ص318)، كلهم مـن طريق عبد اللـه بن هبيرة به.

الحديث **حسن** فيه علي بن سعيد الكندي وابن هبيرة كلاهما **صدوق**(التقريب، ص442، برقم:4738، وص101، بـرقم:746) قـال الترمذي:" حسن صحيح لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وصـححه الحـاكم والألبـاني، السلـسلة الـصحيحة، (ج1، ص557، بـرقم:310) وقال:" شعيب إسناده قوي ورجاله ثقات رجال الشيخين غير ابن هبيرة فمن رجال مسلم".

الفصل الثاني:

سنن الهداية والضلال

وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الهداية والضلال.

المبحث الثاني: السنة في أن لاهدى إلا هدى الـلـه.

المبحث الثالث: سنة التدين في النفس الإنسانية.

المبحث الرابع: ثنائية الهداية والضلال في النفس الإنسانية.

المبحث الخامس: السنة في تأثير الأعمال على الإنسان هداية وضلالا.

المبحث السادس: السنة في تأثير المشاعر على الإنسان هداية وضلالا.

المبحث الأول: تعريف الهداية والضلال.

المطلب الأول: الهداية في اللغة والاصطلاح.

أدرس في هذا المبحث معنى الهداية وأبدأ بها من معناها اللغوي، ثم أدرس المعنى الاصطلاحي لها فيما يلي من فروع.

الفرع الأول: الهداية في اللغة.

الدلالة والإرشاد، واللطف، بالإضافة إلى السيرة والطريقة؛ معان ودلالات لغوية ثلاث تظهر في الجذر (هـ د ي) واشتقاقاته؛ وغالبا ما تجتمع هذه الدلالات في الاشتقاق الواحد وإن برزت إحداها أكثر من غيرها، وفيما يلي تفصيل:

- الإرشاد والدلالة والتقدم لهما: عدَّ ابن فارس التقدم للإرشاد الأصل الأول للهدى حيث قال:" الهاء والدال والمعتل؛ أصلان أحدهما التقدم للإرشاد ...ومنه قولهم هديته الطريق هداية ؛أي تقدمته لأرشده ،والهادية العصا لأنها تتقدم ممسكها كأنها ترشده .."[(1)]، وقال الزبيدي :"ويقال هداه اللـه يهديه :هدى وهدايا وهِداية وهِدية بكسرهما أي أرشده "[(2)]

ومن شواهد هذا المعنى قوله تبارك وتعالى:﴿ **وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ**﴾ [(3)] أي أدلكم عليه وأرشدكم إليه وهو متقدم عليهم بدلالة (اتبعون) فقد سبقهم وتقدمهم بالإيمان.

وفي هذا المعنى ما أخرجه أحمد عن أَنَسٍ رضي اللـه عنه في حديث الهجرة:"... وَكَانَ يَمُرُّ بِالْقَوْمِ فَيَقُولُونَ مَنْ هَذَا بَيْنَ يَدَيْكَ يَا أَبَا بَكْرٍ؟ فَيَقُولُ: هَادٍ يَهْدِينِي"[(4)]

وأخرج مسلم من حديث جابر رضي اللـه عنه عن الرسول ﷺ:" **أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللـه وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ ..**" [(5)] "قال العلماء لفظ الهدى له معنيان أحدهما بمعنى الدلالة والإرشاد وهو الذي يضاف إلى الرسل والقرآن والعبادة .." [(6)]

- السيرة والطريقة :"الهدى والهُدية – ويكسر- الطريقة والسيرة يقال فلان يهدي هدي فلان أي يفعل مثل فعله ويسير سيرته " [(7)]

ومنه ما أخرجه أحمد بن حنبل عَنْ حُذَيْفَةَ رضي اللـه عنه قَال الرسول ﷺ:" **إِنِّي لَسْتُ أَدْرِي مَا قَدْرُ بَقَائِي فِيكُمْ فَاقْتَدُوا بِاللَّذَيْنِ مِنْ بَعْدِي يُشِيرُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللـه عَنْهُمَا وَاهْدُوا هَدْيَ عَمَّارٍ وَعَهْدَ ابْنِ أُمِّ**

---

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج6، ص42.

(2) الزبيدي، تاج العروس، ج10، ص406.

(3) غافر: من الآية 38.

(4) أخرجه أحمد (ج ، ص ، برقم) قال حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن أنس، الحديث صحيح رجاله ثقات.

(5) سبق ص10.

(6) النووي، المنهاج، ص689، والمعنى الآخر الذي يضاف إلى اللـه سبحانه وهو التوفيق.

(7) الزبيدي، تاج العروس، (ج6، ص407).

عَبْدٍ رَضِيَ اللـه عَنْهُمَا "[1] أي سيروا سيرته[2] يقول المباركفوري :"الهدي بفتح الهاء وسكون الدال السيرة والطريقة"[3]

- الهدية :وهي الأصل الآخر للجذر عند ابن فارس يقول :"والأصل الآخر ما أهديت من لطف إلى ذي مودة ،ومنه ما أهدي من النعم إلى مكة "[4]

عودًا على بدء فإن من الواضح وجود المعان الثلاث في الاشتقاق الواحد للجذر (هـ دي) بنسب متفاوتة بعضها أظهر من بعض ؛فمثلا معنى الدلالة والإرشاد يلتقي مع اللطف إذ أن الدلالة والإرشاد يقصد منها خير المهدي واختصت الهداية عن مطلق الدلالة بهذا القيد[5] يقول الزبيدي:" الهدي بضم الهاء وفتح الدال: الرشاد والدلالة بلطف إلى ما يوصل إلى المطلوب"[6]، وكذلك يلتقي مع السيرة والطريقة إذ أن الإرشاد إلى أمر ما لابد معه من سلوك طريق أو طريقة معينة.

وفي معنى الهدية يقول الزمخشري- وقد عدها من المعاني المجازية -:"..ومنه أهدي له وإليه هدية لأنها تقدم أمام الحاجة"[7] أي أنها تشترك مع الإرشاد في التقدم، وقد تكون الحاجة هي التودد والتحبب روي عن رَسُولُ اللـه ﷺ أنه قال:" **تَهَادُوْا تَحَابُّوا**"[8]، فالهدية تقدمة للوصول إلى قلب المهدي.

---

(1) أخرجه أحمد قال حدثنا محمد بن عبيد حدثنا سالم المرادي عن عمرو بن هرم الأزدي عن أبي عبد اللـه وربعي بن حراش عن حذيفة ، (ج38، ص399، برقم:23386)، وابن حبان (ج15، ص327، برقم:6902) من طريق سالم المرادي ، وللحديث متابعة أخرجها الترمذي، كتاب: المناقب، باب: مناقب عمار بن ياسر، (ج6، ص133، برقم:3799)، عن مولى لربعي عن ربعي بن حراش عن حذيفة، وابن ماجة، كتاب: المقدمة، باب: في فضل أبو بكر، (ج1، ص117، برقم: 97) بدون اللفظ، والحميدي، (ج1، ص413، برقم:454)، وابن أبي شيبة، (ج13، ص470، برقم:38046)، والطبراني في المعجم الأوسط، مكتبة المعارف- الرياض، (ج6، ص236، برقم:5499)، والحاكم (ج3، ص75)، والبيهقي، (ج8، ص264، برقم:16590)، كلهم من طريق ربعي نحوه.

والحديث إسناده **حسن لغيره** فيه سالم المرادي **مقبول** (التقريب، ص216، برقم:2180)، لكن تابعه عبد الملك بن عمير **ثقة تغير حفظه** (التقريب، ص396، برقم:4200) وهو **مدلس** من الثالثة (تعريف أهل التقديس، ص96، برقم:84) وفيها هلال مولى ربعي وهو مقبول، قال الترمذي:" هذا حديث حسن"، وحسنه الألباني بهذا الإسناد (السلسلة الصحيحة، ج3، ص235، برقم:1233)، قال شعيب: حديث حسن بطرقه وشواهده وهذا إسناد لين من أجل سالم، والحديث بطرقه يرتقي إلى مرتبة الحسن لغيره.

(2) ابن الأثير، النهاية، ج2، ص899.

(3) محمد بن عبد الرحمن المباركفوري (1353هـ)، تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي، بيت الأفكار- الأردن، (د.ت) (د.ط)، ج2، ص2614.

(4) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج6، ص43.

(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج1، ص187.

(6) الزبيدي، تاج العروس، ج10، ص406.

(7) الزمخشري، أساس البلاغة، ص698.

(8) أحمد بن علي أبو يعلى الموصلي (307هـ)، المسند، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1: 1998، (ج5، ص361، برقم:6121) قال حدثنا سويد بن سعيد حدثنا ضمام عن موسى بن وردان عن أبي هريرة، والبيهقي (ج6، ص280، برقم:11946) عن ضمام، وللحديث شاهد أخرجه الطبراني في الأوسط (ج8، ص118، برقم:7236) عن القاسم بن محمد بن أبي بكر عن عائشة.

الحديث إسناده **حسن** فيه سويد **صدوق في نفسه** عمي في آخر عمره فصار يلقن (التقريب، ص261، برقم: 2690) وثق أحمد أحاديثه عن ضمام (ينظر: تهذيب الكمال، ج12، ص250، برقم:2643)، وموسى بن وردان **صدوق ربما أخطأ**، قال ابن حجر إسناده حسن، في تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي معوض، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1: 1998، ج3، ص163، وقال محمد عبد الرحمن السخاوي (902هـ) حديث جيد، المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، تحقيق: عثمان الخشت، دار الكتاب العربي، ط2: 1994، ص199.

الفرع الثاني: الهداية في الاصطلاح:

أخذ العلماء في تعريف الهداية منحيين؛ حدهما ارتكز على المعنى اللغوي لها، والاخر عرفها على أنها الدين، وفيما يلي دراسة لأهم التعريفات الواردة في الهداية:

1. الدلالة على ما يوصل إلى المطلوب أو هي سلوك طريق يوصل إلى المطلوب[1].

وهو من التعاريف التي حاولت الانضواء تحت المعنى اللغوي وعدم الخروج عنه، وعموم ألفاظه تجعل من الممكن ادخاله في المعاني الاصطلاحية حين يخصص بالسياق الذي يرد فيه لفظ الهداية، وقد جاء في التعريف بعض معالم الهداية وأهمها الدلالة التي وردت في التعريف بدون تفصيل (لمصدرها، وسائلها، ..)، وقيد التعريف الدلالة بكونها دلالة موصلة، مما يعني وجود دلالات غير موصلة إلى المطلوب، كما جاء في التعريف الغاية من الدلالة وهي الوصول إلى المطلوب .

2. " الهدى الشرعي هو الإرشاد لما فيه صلاح العاجل الذي لا ينقض صلاح الآجل "[2].

وهو تعريف مثل سابقه غير أنه وضح "المطلوب" المبهم في التعريف بأنه صلاح العاجل، ويلاحظ الإطلاق في "صلاح العاجل" غير المقيد بصلاح جانب ما أو وقت ما...، مما يعني أن الهداية متعلقة بكل تفصيلات الحياة حتى يكون من شأنها إصلاح كل تفصيلات الحياة التي عبر عنها ابن عاشور في تعريفه السابق بـ (العاجل).

3. "اسم يقع على الإيمان والشرائع كلها إذ الاهتداء يقع بها كلها "[3].

يظهر في هذا التعريف أنه جعل الدين هو الهداية وقد أشار إلى الدين بشقيه؛ العقائد والشرائع، وذلك أن الدين ينظم ويوجه الإنسان إلى الخير في حياته فيرسم له الطريق الأمثل التي يحقق بها صلاح حياته الدنيا، وبذلك يتحقق المعنى اللغوي للهداية من خلال كون الدين يدلل ويرشد إلى الطريق الأمثل للحياة.

وإن كان الدين هو الموجه والمرشد الأهم في حياة الإنسان، إلا أنه ليس الوحيد، وذلك أن الإنسان قد يصل إلى بعض التصورات الدينة من خلال مصادر للهداية أخرى غير الدين (كالفطرة مثلا)، لذلك يبدو أن الهداية أوسع من أن تحصر في الدين فقط.

4. "يطلق على التقديس والتوحيد ويطلق على مالا يعرف إلا بلسان الأنبياء من الفعل والترك ثم إنه يطلق على الكل وعلى الجزء "[4].

ينظر كذلك هذا التعريف إلى الهداية على أنها الدين لكن يوضح هذا المعنى بشيء من التفصيل ويجعل الهداية تطلق على مجموع الدين كما تطلق على أجزاءه.

5. "دعاء الله تعالى للخلق إلى الإيمان والطاعات، والبيان لهم عن الحجج وإقداره تعالى إياهم للإيمان والنظر في آياته وحججه"[1]

---

(1) ينظر: التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون، ج2، ص1738.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج1، ص225 .
(3) الكفوي، الكليات، ص954.
(4) المرجع السابق، ص955.

جمع التعريف بين الدين، والحجج القائمة للتدليل عليه، والتزام الدين، وعرف الهداية بـذلك المجمـوع، وأهـم ما يتميز به هذا التعريف أنه تجاوز التعريفين السابقين بأن أضاف إلى الدين أموراً ودلالات أخرى جعلهـا اللـــه في الإنسان ليحقق الهداية وتتمثل تلك المعاني في القدرة الموهوبة للإنسان ليدرك ويفهم معاني الدين ومن ثـم القـدرة على تطبيقها.

6. تبصير اللـه عباده وتعريفهم طريق معرفته حتى أقروا بربوبيته، وهدى كل مخلوق إلى مـا لابـد منـه في بقائه ودوام وجوده[2]

أهم ما يُلمح في التعريف ظهور عموم مفهوم الهداية فيه إذ أنه تتعدى الإنسان إلى كـل المخلوقـات وإن كـان كلٌ ينال منها بالقدر الذي يناسبه، كما أنه يبين الحد الأدنى لها وهو الإقرار بربوبية اللـــه سـبحانه، كـما بـين مـدى أهمية الهداية التي أعطاها اللـه لكل مخلوق بأنها لا بقاء له بدونها.

ومن خلال ما سبق من أقوال العلماء في تعريف الهداية يمكن تلخيص إلى أهم معالم الهداية:

- الدلالة والإرشاد: بوسائل منها ذاتيه أودعها اللـه في الإنسان، ومنها خارجية هيأها اللـه له.
- هدف يراد للإنسان الوصول إليه يتمثل في صلاح حياته وهو هدف متعلق بكل تفاصيل حياته.
- تمكين اللـه الإنسان من إتباع إرشاده لتحقيق الهداية بما أودعه من قدرات ومواهب وبتوفيقه سبحانه.

ويمكن أن نخلص إلى أن **الهداية: إرشاد اللـه الإنسان إلى ما فيه صلاح بقائـه، وإقـداره تعـالى إيـاه لتحقيقـه إليه بما آتاه من استعدادات مواهب.**

المطلب الثاني: تعريف الضلال:

أدرس في هذا المبحث معنى الضلال وأبدأ من معناه اللغوي، ثم أدرس المعنـى الاصـطلاحي للـضلال فـيما يلي من فروع.

الفرع الأول: الضلال في اللغة:

يقول ابن فارس:" الضاد واللآم أصل صحيح يدل على معنى واحد وهو ضياع الشيء وذهابـه في غـير حقـه، وكـل جائر عن القصد ضال، وضل عن المسجد إذا لم يهتد له كذلك كل شيء مقيم لا يهتدى له"[3]

وقال ابن الكمال:" الضلال فقد ما يوصل إلى المطلـوب، وقيـل سـلوك طريـق لا يوصـل إلى المطلـوب"[4] و" الـضلال النسيان... وأصل الضلال الغيوبة"[5] ومنه قوله جل شأنه ﴿ أَن تَضِلَّ إْحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْـرَى﴾[1]، فـالمرأة تغيب عن المسائل التي يتعاطاها الرجال[2].

---

(1) محمد بن الحسين(458هـ)، المعتمد في أصول الدين، تحقيق وديع زيدان، دار المشرق- بيروت، ط: 1973، ص134.

(2) ينظر: ابن الأثير، النهاية، ج2، ص898.

(3) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج3، ص356.

(4) الزبيدي، تاج العروس، ج7، ص410.

(5) ابن منظور، لسان العرب، ج11، ص393.

أي أنَّ الضلال يعود إلى أصلين الضياع والخفاء فإذا ضاع الشيء خفي وغاب عن من يريده:

- الضياع: سواء الضياع المادي كالضياع عن الأماكن، أو الأشياء، أو الضياع المعنوي كضياع القصد والوجهة، والنسيان الذي هو ضياع معلومة عن الذهن.

ومن شواهده قوله تعالى:﴿ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ﴾(3)، ومنه ما أخرجه البخاري من حديث أَنَسٍ رَضِيَ اللـه عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللـه ﷺ:" **اللـه أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ سَقَطَ عَلَى بَعِيرِهِ وَقَدْ أَضَلَّهُ فِي أَرْضِ فَلَاةٍ**"(4)، وكما يطلق الضلال على ضياع المقصود، فإنه يطلق على ضياع وسائل الوصول إلى المطلوب باعتبار النتيجة.

- الغيبة والخفاء: ومنه قوله تعالى حكاية عن الكافرين:﴿**وَقَالُوا أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُم بِلِقَاء رَبِّهِمْ كَافِرُونَ**﴾(5)

وكما هو بين فإن الضلال ضد الهداية، فإذا كانت الهداية بمعنى الدلالة للوصول إلى المطلوب فإن الضلال فقدها مما يعني ضياع المطلوب، وإذا كان في الهدى تبيين وتوضيح من خلال الدلالة فالضلال فيه الغيبة والخفاء؛ وحين تكون الهداية بمعنى السيرة والطريقة فإن من شأن من ضل الاضطراب لفقده طريقا توصله إلى مطلوبه مما يحول بينه وبين اتخاذ طريقة معينة.

الفرع الثاني: الضلال في الاصطلاح:

كما أن الضلال في اللغة ضد الهداية فكذلك هو في المعنى الاصطلاحي ضد الهدى ،وقد عرفه كل من العلماء بضد ما عرف به الهداية:

- "الضلال فقدان ما يوصل إلى المطلوب، وقيل سلوك طريق لا يوصل إلى المطلوب"(6).

- أن لا يجد السالك إلى مقصده طريقا أصلا... أو أن يخطئ الشيء في مكانه فلم يهتد إليه(7).

وهذان التعريفان جاءا في مقابل المعاني المعتمدة على المعنى اللغوي للهداية ،لذلك يلاحظ أنها تعتمد على المعنى اللغوي وأنها تتصف بالعموم.

---

(1) البقرة: 282.

(2) من توجيهات الدكتور سلطان العكايلة في المناقشة.

(3) الضحى: 3.

(4) البخاري، كتاب: الدعوات، باب: التوبة، (ص1097، برقم:6309) قال: حدثني إسحاق أخبرنا حَبَّان حدثنا هـمّام حدثنا قتادة حدثنا أنس بن مالك عن النبي ﷺ ح وحدثنا هُدْبَة حدثنا همام حدثنا قتادة عن أنس به، وأخرجه مسلم، في كتاب: التوبة، باب في الحض على التوبة والفرح بها، (ص1313، برقم:7061)، وأخرجه أحمد، (ج20، ص443، برقم:13227) من طريق قتادة نحوه، وللحديث شواهد منها عن أبي هريرة رضي اللـه عنه أخرجها الترمذي، كتاب: الدعوات، بابٌ،(ج5، ص507، برقم:3538)، وابن ماجة، كتاب: الزهد، باب: ذكر التوبة، (ج5، ص638، برقم:4247).

(5) السجدة: من الآية10.

(6) الجرجاني، التعريفات، ص157.

(7) ينظر: الكفوي، الكليات، ص576.

- العدول عن الطريق المستقيم... ويقال لكل عدول عن المنهج عمدا أو سهوا، يسيرا كان أو كثيرا. فإن الطريق المستقيم الذي هو مرتضى صعب جدا[1]. وهذا تعريف يقابل التعريف الذي يرى أن الهداية بمعنى الدين، لذلك عدَّ أي خروج عن الدين ضلال.

الضلال: ترك الإنسان أو بعده أوحيرته عما أرشده اللـه إليه لصلاح بقائه ودوام وجوده بما أوتي من قدرة على الاختيار مما يفسد حياته، ويمنع عنه توفيق اللـه.

(1) الراغب، المفردات، ص333.

المبحث الثاني: السنة في أن لا هدى إلا هدى الـلـه.

السنة الأولى في سنن الهداية والضلال هي كون هدى الـلـه سبحانه وتعالى هو الهدى الحقيقي الذي يرشد الإنسان إلى ما فيه صلاح بقائه، وأن ما سواه ليس بهدى بمعنى أنه غير قادر على إرشاد الإنسان إلى ما يـصلح حياتـه وذلـك لأسباب عدة أهما إمكان ورود الخطأ على كل نهج سوى منهج الـلـه لأن ضلال المـنهج يتحقـق بـأي خطـأ يلحقـه، جاء في هذه السنة عدد من الآيات والأحاديث.

يقول تبارك وتعالى:﴿ **قُلْ إِنَّ هُدَى الـلـه هُوَ الْهُدَى**﴾[1] "على سبيل الحصر والقصر، هدى الـلـه هو الهدى ومـا عداه ليس بهدى، فلا براح منه ولا فكاك عنه ..."[2] فالآية تقصر وصف الهداية عـلى هـدى الـلـه، ومـا ينـسب إلى غيره لا يمكن أن يوصف بالهداية أصلا، كل تشريع أو توجيه له مصدر ومنبع غير الـلـه سبحانه وغير شرعه عار عن هذه الصفة، كما تحصر الهدى فيما جاء عن رب العزة فلا يتعداه أو يتجاوزه إلى غيره، وتقرر الآية ذلك كلـه بـأداة التوكيد (إنّ).

وعن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الـلـه قَالَ:" **كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَخَطَّ خَطًّا، وَخَطَّ خَطَّيْنِ عَنْ يَمِينِهِ ،وَخَـطَّ خَطَّـيْنِ عَـنْ يَسَارِهِ ،ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ فِي الْخَطِّ الْأَوْسَطِ، فَقَالَ: هَذَا سَبِيلُ الـلـه ثُمَّ تَـلَا هَـذِهِ الْآيـة:﴿ وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِـي مُـسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِـهِ لَعَلَّكُـمْ تَتَّقُـونَ**﴾[3][4] يبـين الحـديث أن سـبيل الـلـه- هدى الـلـه- السبيل المستقيم الموصلة إلى تحقيق الهداية، وأنها هـي الطريـق والـسبيل الوحيـدة المتـصفة بهذا الوصف، إذ أن التفريق بين سبيل الـلـه وباقي السبل مع ذكر الاستقامة صفة لها يقتـضي امتيازهـا عـن سـائر السبل بهذا الوصف، يقول ابن عاشور :"ووقوع- السبل- في مقابلة الصراط المستقيم يدل عـلى صـفة محذوفـة أي السبل المتفرقة غير المستقيمة"[5].

وكذلك يقرر الحديث أن طريق الحق واحـد فـالخط المـستقيم لـيس لـه إلا صـورة أيـنما ارتـسم وكـيفما ارتسم، على خلاف الخطوط غير المستقيمة فهي متنوعة متعددة ولا يمكن حصرها في عـدد مـا، وتنوعهـا وتعـددها

---

(1) البقرة:120.

(2) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج ، ص .

(3) الأنعام: 153.

(4) أخرجه أحمد، قال حدثنا عبد الرحمن بن مهدي وحدثنا يزيد أخبرنا حماد بن زيد عن عاصم بن أبي النجود عـن أبي وائـل عـن عبد الـلـه بن مسعود (ج7، ص207، برقم:4142)، والدارمي، كتاب: المقدمة، باب: كراهية أخذ الرأي، (ج1، ص285، بـرقم:208)، الحاكم، (ج2 ص318)، والطيالسي، (ص33، برقم:244)، وابن حبان، (ج1، ص181، برقم:7) كلهم من طرقٍ عـن حـماد بـن زيـد، وللحديث شاهد من حديث جابر رضي الـلـه عنه أخرجه ابن ماجة، كتاب:المقدمة، باب: اتباع سنة رسول الـلـه ﷺ (ج1، ص48، برقم:11) وأحمد، (ج23، ص417، برقم:15277).

الحديث **حسن** فيه عاصم ابن ابي النجود **صدوق له أوهام** (التقريب، ص294، برقم:3054) ولـه شـاهد مـن حـديث جـابر رضي الـلـه عنه فيه أبو خالد الأحمر **صدوق يخطئ** (التقريب، ص247، برقم:2547) ومجالد بن سعيد **ليس بالقوي وقد تغير في آخر عمره** (التقريب، ص579، برقم:6478)، قال الحاكم:" هذا حديث صحيح الإسـناد، ولم يخرجـاه"، وصـححه الألبـاني ، صـحيح ابـن ماجة، (ج1، ص2، برقم:11)، وقال شعيب حسن لغيره.

(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج8، ص174.

قد يكون بالانحناء تارة وبالانكسار تارة، وقد يكون بالجمع بينهما تارة أخرى...إلا أنها في المحصلة لا تخرج عن كونها معوجة، وكذلك السبل والطرق والمناهج أشكال الاعوجاج فيها كثير" فيشمل الأديان الباطلة سواء كانت وضعية أو سماوية محرفة أو منسوخة"[1] كلها تفتقر إلى الاستقامة التي لا تستمد إلا من نور اللـه، وأما المستقيم منها فواحد، وهو ما كان من عند اللـه ومنبثقا عن شرعه.

أخرج أحمد من حديث عبد اللـه بن عمرو رضي اللـه عنه عن رسول اللـه ﷺ:" **إِنَّ اللـه عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ خَلْقَهُ فِي ظُلْمَةٍ ثُمَّ أَلْقَى عَلَيْهِمْ مِنْ نُورِهِ يَوْمَئِذٍ فَمَنْ أَصَابَهُ مِنْ نُورِهِ يَوْمَئِذٍ اهْتَدَى وَمَنْ أَخْطَأَهُ ضَلَّ** "[2]

دليل على أن لا هدى إلا هدى اللـه سبحانه، وأن ما عداه ضلال إذ أن الضلال قد عم كل ما لم يستنير بنور اللـه وبنور هدايته فلحق الضلال كل هدي لم ينبثق عن هدى اللـه واتصف به كل منهج مستقى من غيره سبحانه، واقتصرت الهداية على ما أرشد اللـه به عباده.

ولأن طريق الهداية واحد وهي الطريق التي ترشد الإنسان ليحقق من خلالها العلة من خلقه في قوله تعالى:﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ** ﴾[3]، لذلك كانت أديان الرسل كلها على دين الإسلام وإن اختلفت أنبياؤها، وتعددت أوقاتها لكنها دين واحد أرسل اللـه سبحانه به الرسل ليضع للإنسانية منهجا واحدا تسترشد به، أخرج البخاري من حديث جابر بن عبد اللـه عن رَسُولَ اللـه ﷺ أنه قَالَ:" **إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ لَهُ وَيَقُولُونَ هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ قَالَ فَأَنَا اللَّبِنَةُ وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ**"[4] وما كان توالي الأديان إلا خطوات ومراحل تكاملت حسب حاجة البشرية وطاقتها، بدأت من منطلق واحد واستمرت عليه حتى تم البناء واكتمل، يقول ابن حجر :"فكأنه شبه الأنبياء وما بعثوا به من إرشاد الناس ببيت أسست قواعده ورفع بنيانه وبقي منه موضع به يتم صلاح ذلك البيت "[5] وقَالَ رَسُولُ اللـه ﷺ:" **أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَالْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ**[6]

---

(1) المراغي، تفسير المراغي، ج3، ص238.

(2) أخرجه أحمد (ج11، ص219، برقم:6644) قال حدثنا معاوية بن عمرو حدثنا إبراهيم بن محمد أبو إسحاق الفزاري حدثنا الأوزاعي حدثني ربيعة بن يزيد عن عبد اللـه ابن الديلمي قال عبد اللـه بن عمرو رضي اللـه عنه به، والترمذي، كتاب: الإيمان، باب: ما جاء في افتراق هذه الأمة(ج4، ص382، برقم:2642)، وابن حبان (ج14، ص43، برقم:6169)، والطبراني في مسند الشاميين (ج1،ص304، برقم:532)، والحاكم (ج1، ص30)، كلهم من طريق عبد اللـه بن الديلمي.

الحديث من طريق أحمد بن حنبل **صحيح** رجاله ثقات، قال الترمذي:" هذا حديث حسن"، وقال الحاكم:" هذا حديث صحيح قد تداوله الأئمة، وقد احتجا بجميع رواته ثم لم يخرجاه، ولا أعلم له علة" وقال الذهبي:" على شرطهما ولا علة له" وقال فيه الألباني:" إسناده صحيح رجاله كلهم ثقات" قال شعيب حديث صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين غير عبد اللـه بن الديلمي.

(3) الذاريات:56.

(4) أخرجه البخاري، كتاب: المناقب، باب: خاتم النبيين، (ص595، برقم:3535)، قال حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا إسماعيل بن جعفر عن عبد اللـه بن دينار عن أبي صالح عن أبي هريرة ،وأخرجه مسلم، كتاب: الفضائل، باب: ذكر كونه خاتم النبيين، (ص1123، برقم:6025)، أحمد، (ج15، ص87، برقم:9167)، من طريق اسماعيل ابن جعفر نحوه، وللحديث شاهد أخرجه الترمذي، كتاب: الأمثال، باب: ما جاء في مثل النبي والأنبياء من قبله، (ج4، ص543، برقم:2862) عن جابر بن عبد اللـه رضي اللـه عنه نحوه.

(5) ابن حجر، فتح الباري، ج3، ص1619.

(6) أولاد العلات: الذين أمهاتهم مختلفة وأبوهم واحد، ابن الأثير،النهاية، ج2، ص249.

أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ"[1] وبما أن الأديان كلها دين واحد، دين الله؛ فهذا يعني أنها كلها هدى الله، وهذه من سنن الله وهي أن هدى الله واحد.

فإذا تقرر أن طريق الحق واحدة، وأن سبيل الهدى واحد، وثبت أن لله سبيلا واحد خطه لعباده وهدى ارتضاه لهم، فلا بد أن يكون هذا الهدى الإلهي هو الهدى الحقيقي الكامل وأن هذا السبيل هو المستقيم؛ **إذ كون هذا السبيل منسوب إلى الله يكفيه دليلا على أنه موصل إلى النجاح** والفلاح، يقول ابن عاشور:" وكونه صراط الله يكفي في إفادة أنه موصل للنجاح فلذلك صح تفريع الأمر باتباعه على مجرد كونه صراط الله "[2]، لذلك سمى الرسول ﷺ السبيل المستقيم بـ "سَبِيلُ الله "حيث أنه لا يمكن أن ينسب لله باطلا أو ضلالا فتنزه شرعه عن أن يوصف بهما.

وللهدى الرباني ميزة أخرى يحكم من خلالها أن لا هدي إلا هو، **فهو الهدي الوحيد الذي جاء ملائما كمال الملائمة للإنسان** حيث أنه جاء من خالق الإنسان الأعلم به وبحاجاته وبما يناسبه ليسير في حياته لتحقيق الغاية منها والظفر بسعادة الدنيا والآخرة.

إذ أنه كما يقال السعادة هي إدراك الملائم - وهو القول الذي يجمع الأقوال في تعريف السعادة، فإن إدراك الملائم غاية يسعى إليها كل إنسان لا يجد برد الراحة والاستقرار حتى يحصل على ما يلائمه، وليس الحصول على الملائم بالأمر الهين الميسور في كل حين، فما أكثر ما يضل الناس طريقهم إليه ،وما أكثر ما يفتقدونه وهو بين أيديهم[3]

وبما أن الله عز وجل هو خالق النفس الإنسانية فهو أعلم بما يلائمها، لذلك كان ولابد أن يتقرر عقلا أن أفضل هدي للإنسان هو هدي الله عز وجل، وقد أعلم الله الإنسان بهذا من عهد آدم عليه السلام:﴿ **قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ۝ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى**﴾[4].

بل إن سعادة الإنسان وفلاحه ارتبطا بمنهاج الله سبحانه وتعالى مذ كان آدم عليه السلام في الجنة، فكانت مخالفته منهج الله واتباع هدي غيره السبب في خروجه من الجنة ونزوله إلى الأرض، ويتكرر هذا الشأن مع أبنائه عليه السلام؛ فمن راعى هداية الله وسار وفقها حقق الصلاح والفلاح، ومن خالفها سار في طريق الضلال.

---

(1) البخاري، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: قوله تعالى:" واذكر في الكتاب مريم ..."، (ص579، برقم:3443)، قال حدثنا محمد بن سنان حدَّثَنا فُلَيْح بن سلَيمانَ حدَّثنا هلَال بن عليّ عن عبد الرحمنِ بنِ أَبِي عمرةَ عن أَبِي هريرةَ، وأخرجه مسلم، كتاب: الفضائل، باب: فضائل عيسى عليه السلام (ص1151، برقم:6208)، وأبو داوود، كتاب: السنة، باب: في التخيير بين الأنبياء عليهم السلام، (ج4، ص215، برقم:4642)، وأحمد (ج12، ص497، برقم:7529)، كلهم عن أبي هريرة نحوه.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج8، ص173.

(3) ينظر:عبد الكريم الخطيب، من الحقل الإسلامي، المكتب الفني للنشر- مصر، ط1: 1958، ص34- 37.

(4) طه: 123-124.

وكل هدى وضعه البشر مهما بلغوا من العلم والقدرة والإمكانات لن يخرج عن كونه باطلا، إذ أن سنة الله مضت في أن كل هدى غير هدى الله باطل، وفي هذا المعنى يقول محمد رشيد رضا:" وإننا نرى أن طور العقل والفكر قد بلغ في هذا العصر مرتقى لم يعرف في التاريخ ما يقربه، ووضع علماؤه وحكماؤه شرائع وقوانين لإيقاف التنازع والتخاصم.. ثم نرى أعلم هذه الأمم ودولها مبعث الشرور والشقاوة والخبث والرياء والحروب والفتن، فلا هداية إلا هداية الدين الإلهي.."[(1)] وهذا يصدق كذلك في ما وضعه علماء التربية والنفس من إرشادات للإنسانية أرادوا أن يرتقوا بها بحياة الإنسان لكن طالما وجد فيها ثغرات، وكثيرا ما تكشفت عن مواطن خلل كبيرة، نعم قد يوفق علماء ومفكرون إلى قدر من الصواب، لكنهم أعجز عن وضع شرع وإرشادات لمنهج الحياة كاملة، إذ يمكن أن يتسرب الخلل إلى مناهجهم من خلال الخطأ أو النسيان، أو من خلال عدم إدراك حقيقة الهدف من الحياة، أو لقصور في فهم طبيعة الإنسان الذي ما زال العلماء يؤكدون عليه.

فالسنن الإلهية من فعل الله عز وجل فهي معصومة صالحة لكل زمان ومكان لا تتعطل بمرور الزمن، أما القوانين الوضعية فيه من وضع الإنسان المتصف بالضعف في جسده وعقله وأهوائه، وهو أيضا محدود القدرات العقلية غير قادر على استشراف المستقبل ووضع قوانين تصلح لها.

أخرج مسلم من حديث أبي ذر رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ ﷺ:" **فِيمَا رَوَى عَنْ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ**"[(2)] مصدر الهداية من الله لذلك يجب أن لا تطلب إلا منه، سواء في طلب معالم هذه الهداية ومعرفة منهجها أو في التوفيق والسداد لالتزامها،" فالإنسان عار عن الهداية ليس له هداية من ذاته ،بل هي من عناية ربه ولطفه"[(3)]، ولا بد من إدراك أن الإنسان أكرم من أن يكون محل تجربة لنظريات لورود الخطأ عليما أكثر من سبب، لذلك فإن من مصلحة الإنسان أن ينقاد ابتداءً لشرع الله ونهجه وأن يتبع هداه سبحانه.

---

(1) محمد رشيد رضا، المنار، ج1، ص284.

(2) مسلم، كتاب: البر والصلة، باب: تحريم الظلم، (ص1244، برقم:6664)، قال حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن بن بهرام الدارمي حدثنا مروان يعني ابن محمد الدمشقي حدثنا سعيد بن عبد العزيز عن ربيعة بن يزيد عن أبي إدريس الخولاني عن أبي ذرّ رضي الله عنه به، وأخرجه الترمذي، كتاب: صفة القيامة والرقائق والورع، باب: منه، (ج4، ص270، برقم:2495)، ابن ماجه، كتاب: الزهد، باب: ذكر التوبة، (ج5، ص644، برقم:4257)، وأحمد ،(ج35، ص332، برقم:21420)، كلهم عن أبي ذر.

(3) أبو الحسن السندي، شرح سنن ابن ماجه، دار المعرفة- بيروت، ط1: 1996، (ج4، ص495).

المبحث الثالث: سنة التدين في النفس الإنسانية.

من سنن الهداية سنة التدين في النفس البشرية ،فهي المظهر النفسي لسنة الهداية ،بمعنى أن اللـه جعل في الإنسان حاجة للدين يشعر من خلالها بضرورة وجود منهج ينظم حياته ،وعلى وجه الخصوص يريد منهج يدله على الإله الذي يشعر بوجوده ويريد أن يخضع له ويعبده .

المطلب الأول: الدين في اللغة والاصطلاح

الفرع الأول: الدين لغة:

تأتي كلمة الدين في اللغة بمعان عدة فالدِّين: الطاعة وهو أصل المعنى، والعادة والشأن، الجزاء والمكافأة، والذل والقهر والغلبة، والسلطان[1]، والدَّين كل شيء غير حاضر، وما له أجل.

ومن شواهد بعض تلك المعاني في نصوص الشرع :

قوله تعالى :﴿ **مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ** ﴾[2] أي يوم الجزاء والحساب[3]

وقوله عز من قائل:﴿ **كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلاَّ أَن يَشَاء اللـه**﴾[4] أي شريعته وسلطانه[5] الذي يحتكم الناس إليه.

وفي الحديث النبوي الشريف جاء لفظ الدين في حديث النَّبِيّ ﷺ قَالَ :"**الْكَيِّسُ**[6] **مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللـه** "[7] ودان نفسه أذلها واستعبدها وقيل حاسبها[8].

يقول الدكتور دراز في معنى الدين :

" الدين عند العرب تشير إلى علاقة بين طرفين يعظم أحد الطرفين الآخر ويخضع له

فإذا وصف بها الطرف الأول كانت خضوعا وانقيادا ،

وإذا وصف بها الطرف الثاني كانت أمرا وسلطانا وحكما وإلزاما ،

---

(1) ينظر: ابن منظور(711هـ)، لسان العرب، ج4، ص458-462، ج2، ص208.

(2) الفاتحة: 4.

(3) محمد بن علي الشوكاني(1250هـ)، فتح القدير، دار بن حزم- بيروت، ط1: 2000، ص70.

(4) يوسف: من الآية76.

(5) الشوكاني، فتح القدير، ص862.

(6) الكيس: العاقل، ابن الأثير، النهاية، ج2، ص574.

(7) أخرجه الترمذي، كتاب: صفة القيامة، بابٌ، (ج4، ص401، برقم:2459)، ابن ماجة في كتاب: الزهد، باب: ذكر الموت، (ج5، ص459، برقم:4260)، قال حدثنا هشام بن عبد الملك حدثنا ابن أبي مريم عن ضمرة بن حبيب عن شداد بن أوس عن النبي صلى اللـه عليه وسلم به، وأخرجه أحمد (ج28، ص350، برقم:17123)، والطيالسي (ص153، برقم:7141)، والحاكم (ج1، ص57) الطبراني الكبير (ج7، ص284، برقم: 7143) كلهم عن أبي بكر بن مريم به.
الحديث **ضعيف** لأن فيه ابن أبي مريم ضعيف اختلط (التقريب، ص692، برقم:7974)، قال الترمذي: حسن، وصححه الحاكم وتعقبه الذهبي بقوله:" لا واللـه أبو بكر واه" وقال الألباني: ضعيف، ضعيف الترمذي، تعليق زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، ط1: 1991، (ص279، برقم:436) وقال شعيب الأرناؤوط: ضعيف.

(8) ابن الأثير، النهاية، ج2، ص594.

وإذا نظر بها إلى الرابط الجامع بين الطرفين كانت هي الدستور المنظم لتلك العلاقة أو المظهر المعبر عنها .... ونستطيع القول أن المادة كلها تدور على معنى لزوم الانقياد"[1]

الفرع الثاني :الدين في الاصطلاح :

في محاولة تعريف الدين من الناحية الاصطلاحية يواجه الباحث عقبتان الأولى تتمثل في الكمّ الكبير من التعاريف، والاختلاف الواسع فيه ويمكن عزو ذلك إلى أهمية الدين وفاعليته، وتعدد جوانبه المتصلة بحياة الإنسان فردا وجماعة مما جعله موضوعا لدراسة المفكرين والعلماء بشتى تخصصاتهم؛ خاصة علماء الشريعة والأديان، وعلماء النفس، وعلماء الاجتماع، والفلاسفة، وكل من هؤلاء عرفه من زاوية اختصاصه.

أما العقبة الثانيية فهي تعدد الأديان الحق منها والباطل، السماوي والأرضي، بما فيها من تباين، وإمكانية حصول التداخل بينها بين والأنظمة الأخرى التي توضع لتنظيم مجموع ما من مناهج سياسية وقوانين اجتماعية وأعراف وتقاليد.

وذلك كله يؤدي إلى صعوبة وضع إطار واحد ترتسم فيه كل الديانات، وإلى تعدد التعاريف الموضوعة للأديان وكثرتها كما كان سببا للاختلاف الواسع والبيّن فيها.

1. **ومن فلاسفة المسلمين** عرف الفارابي الدين وهو عنده بمعنى الملة، يقول الفارابي" الملة آراء وأفعال مقدرة بشرائط يرسمها للجمع رئيسهم الأول يلتمس أن ينال باستعمالهم لها غرضا له فيهم أو بهم محدودا"[2] وهو تعريف عام تدخل الأديان فيه وهو يصدق على المذاهب السياسية تحته.
2. **وعرّفه الشهرستاني** بأنه:" الطاعة والعبادة"[3] ومثله قول شيخ الإسلام ابن تيمية" الدين يتضمن معنى الخضوع والذل، يدين لله تعالى يعبده ويطيعه ويخضع له"[4] ويظهر من خلال قول شيخ الإسلام "يتضمن" أن الدين مكون من عدة مكونات أحدها الخضوع.
3. **ونقل التهانوي** تعريف الدين بأنه:" وضع إلهي يدعو أصحاب العقول إلى قبول ما هو عند الرسول صلى الله عليه وسلم"[5] وقد قصر الدين على الأديان السماوية، مع أن إطلاق مسمى الدين على الأديان الوضعية إطلاق شرعي ومنه قوله تعالى:﴿ **لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ**﴾[6] فقد نسب الدين لكفار قريش المشركين اسم دين، أخرج البخاري عن عَائِشَةَ رَضِيَ الله قَالَتْ:" **وَاسْتَأْجَرَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**

---

(1) محمد عبد الله دراز، الدين، المطبعة العالمية- مصر، ط: 1952،(د.ط)، ص24.

(2) نقله: عزمي طه السيد، الدين والأيدلوجيا في مشروع الفارابي السياسي، دار المسار- الأردن، ط1: 2002، ص15، عن الفرابي (256هـ)، الملة، ص46.

(3) محمد عبد الكريم الشهرستاني (548)، الملل والنحل، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة– بيروت، ط: 1967، ج1، ص38.

(4) ابن تيمية، العبودية، المكتب الإسلامي- بيروت، ط3: 1393هـ ص43.

(5) نقله: التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون، ج1، ص814.

(6) الكافرون:6.

وَأَبُو بَكْرٍ رَجُلًا مِنْ بَنِي الدِّيلِ ثُمَّ مِنْ بَنِي عَبْدِ بْنِ عَدِيٍّ هَادِيًا خِرِّيتًا الْخِرِّيتُ الْمَاهِرُ بِالْهِدَايَةِ قَدْ غَمَسَ يَمِينَ حِلْفٍ فِي آلِ الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ وَهُوَ عَلَى دِينِ كُفَّارِ"[(1)]

4. **والدكتور محمد دراز من المعاصرين الذين عرفوا الدين** بأنه:" جملة النواميس النظرية التي تحدد صفات تلك القوة الإلهية وجملة القواعد التي ترسم طريق عبادتها"[(2)].

5. **ومن علماء الاجتماع** من عرفه بالجانب الروحي والعقائدي فيه مثل تايلور حيث عرفه بأنه "الإيمان بكائنات روحية"[(3)]، ومنهم من اكتفى بالجانب التشريعي السلوكي دون النظر إلى العقائد على أنها جزئا هاما ورئيسا في الدين ومثال هؤلاء شاتل الذي عرف الدين بأنه "مجموعة واجبات المخلوق نحو الخالق؛ واجبات الإنسان نحو اللـه وواجباته نحو الجماعة وواجباته نحو نفسه"[(4)].

ومن التعريفات السابقة يتبين أن **عنصر فكرة الألوهية** هو العنصر الرئيس في الدين وتحته تندرج باقي عناصر الدين من معتقدات وعبادات وشرائع حيث أن طبيعة الإيمان بإله تقتضي طاعته والخضوع له فيما أمر ونهى وبذلك تنتظم مكونات الدين من عقائد وعبادات وشرائع يقول لانغرانج:" الدين فيما اتفقت عليه الإنسانية جمعاء يبدأ بعبادة الإله الواحد أو الآلهة المتعددة"[(5)]

مع ملاحظة خلو أصول بعض الأديان من فكرة الآلهة مثل البوذية والجينية والكنفوشسية، ولكن بدراسة تلك الأديان يتكشف أن رفض أو ترك تلك الديانات لفكرة الألوهية إنما هو رفض لواقع كانت فيه فكرة الإله مشوهة فمثلا الجينية" كانت نوعا من المقاومة للهندوسية، ومن هنا لم يعترف مهاويرا بالآلهة فالاعتراف بالآلهة قد يخلق من جديد طبيعة براهمة أو كهنة يكونون صلة بين الناس والآلهة... غير أن العقل البشري يميل إلى الاعتراف بإله ويحتاج الإلحاد إلى أدلة أكثر من الأدلة التي يحتاجها لإثبات آلهة... وكان نتيجة ذلك أن اعتبره أتباعه إلها، بل عدوا الجيناوات الأربعة والعشرين آلهة لهم..."[(6)] وكذلك بالنسبة للبوذية والكنفوشسية[(7)]

وللدين عنصر آخر لا يقل أهمية عن فكرة الألوهية، **وهذا العنصر هو الغيب**؛ إذ أن كل الأديان تتضمن جانباً غيبياً يتصف به الإله غالبا، وقد يتعلق بالجزاء، أو بتفسير بعض الظواهر العصية على فهم الإنسان. وهذا العنصر هو من أصول معاني الجذر(د ي ن) حيث جاء في المعاجم (وكل ما هو غير حاضر) وفي هذا يقول مصطفى

---

(1) البخاري، كتاب الإجارة، باب: استئجار المشركين عند الضرورة أو إذا لم يوجد أهل الإسلام، (ص360، برقم:2263)، قال حدثنا إبراهيم بن موسى أخبرنا هشام عن معمر عن الزهري عن عروة بن الزبير عن عائشة رضي اللـه عنها به.

(2) دراز، الدين، ص44.

(3) نقله: دراز، الدين، ص27 عن تايلور، المدنيات البدائية.

(4) نقله: دراز، الدين، ص27 عن الأب شاتل، علم الديانات.

(5) فيلسيان سالي، موجز تاريخ الأديان، ترجمة: حافظ جمالي، دار طلاس- دمشق، ط2 :1992، ص282.

(6) أحمد شلبي، مقارنة الأديان، أديان الهند الكبرى، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط: 1964، ص 114 مختصرا.

(7) المرجع السابق، ص168.

عبد الرزاق باشا:" أفليس من المعقول أن تكون كلمة (دِين) بمعنى ملة مأخوذة من (دَين) بمعنى الشيء غير الحاضر، فإن أساس الأديان الإيمان بأمر وراء هذا الوجود المحسوس الحاضر"[1]

من ذلك يمكن تعريف الدين بأنه: **جملة نواميس نظرية غيبية ومشاهدة وقواعد تحدد صفات الإله ـ أو الآلهة ـ ،وترسم طريق عبادتها، وتوجه سلوك الإنسان مع نفسه ومع غيره.**

ومن أهم اشتقاقات هذه الكلمة لفظ "التّديّن" على صيغة "تفعّل" وبالبحث في كتب الصرف لتحديد ما تفيده هذه الصيغة، يتبن أن الفعل الثلاثي المزيد على الصيغة المذكورة يفيد التّكلّف، والتّجنّب، والاتّخاذ[2]

وكما يتضح فإن التدين يعني اتّخاذ دين، أي "الإيمان بذات جديرة بالطاعة والعبادة"[3] فإذا تديّن فلان بالإسلام فقد اتّخذه دينا يدين به.

ومما يتوارد على ألسنة الناس قولهم "فلان متدين" ويقصدون أنه مستقيم على دينه ملتزم به لا يخرج عنه، ولكن ليس هذا هو المعنى المقصود وإنما أقصد مطلق اتخاذ دين والاعتقاد به سواء استقام عليه أم لا.

المطلب الثاني: سنة التدين:

يقول اللـه تبارك وتعالى:﴿ **فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللـه الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللـه ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ [4]

أخرج البخاري من حديث أبي هريرة عن المصطفى ﷺ:" **مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللـه عَنْهُ فِطْرَةَ اللـه الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللـه ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ** "[5].

وقال رسول اللـه ﷺ ذات يوم في خطبته:" **أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا حَلَالٌ وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا**"[6].

وقد سبق تعريف الفطرة بأنها: جبلة وقابلية في الإنسان أصلا تدعوه للإقرار باللــه لأنه الخالق والإله المستحق للعبادة [7].

---

(1) مصطفى عبد الرزاق، الدين والوحي والإسلام، دار إحياء الكتب العربية، ط :1845 (د. ط)، ص25.
(2) ينظر: عبده الراجحي، التطبيق الصرفي، دار النهضة- بيروت، ط: 1974،(د.ط)، ص37.
(3) دراز، الدين، ص44.
(4) الروم: 19.
(5) سبق تخريجه ص20.
(6) مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، (ص1367، برقم:7309)، قال:حدثني أبو غسان المسمعي ومحمد بن المثنى ومحمد بن بشار بن عثمان واللفظ لأبي غسان وابن المثنى قالا حدثنا معاذ بن هشام حدثني أبي عن قتادة عن مطرف بن عبد اللـه بن الشخير عن عياض بن حمار المجاشعي عن الرسول صلى اللـه عليه وسلم فذكره، وأخرجه أحمد بن حنبل، (ج 29، ص32، برقم:17484) من طريق قتادة عن مطرف عن عياض بن حمار نحوه.
(7) ينظر: ص21.

بذلك يكون معنى الحديث أن المولود يولد مستعدا للإيمان بإله، فهو متمكن من الهدى في أصل الجبلة ومتهيء لقبول الدين[1]؛ وهذا ما يقصد بسنة التدين في الإنسان وهي أن اللـه جعل في كل إنسان ما يدعوه للإيمان باللـه سبحانه، وأن يبني على إيمانه به اتباع أمره ونهيه والسير وفق نهجه والاعتقاد بعقائد تأتيه من اللـه عز وجل بما فيها من أدلة على صحتها، وكون هذا سنة يعني أن كل إنسان فيه هذه الفطرة، وأنها لا يمكن نزعها ،وإن كان يمكن طمسها وتغطيتها إلى حين.

تعالج الأحاديث النبوية عموم الفطرة الدينية في بني البشر، وأصالتها فيهم، وبيان مكانها العميق في النفس الإنسانية ومن خلال ذلك تثبت سنة التدين في النفس الإنسانية، ويتضح ذلك بما يلي:

- أولاً: عموم الفطرة الدينية:

حيث ورد الحديث عن رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم بلفظ العموم "كل " في رواية :"كل مولود يولد على الفطرة " و "من " الاستغراقية في سياق النفي التي تفيد العموم[2] في الرواية الأخرى "ما من مولود إلا يولد ... "؛ وفي الحديث القدسي الثاني:" حنفاء كلهم" مما يدل على أن كل إنسان على وجه البسيطة هو مستعد ومهيأ للدين بل ومقر به، ويورد الإمام النووي فيما يورد من أقوال في شرح الحديث:" كل مولود يولد على معرفة اللـه والإقرار به، فليس أحد يولد إلا وهو يقر بأن له صانعا وإن سماه بغير اسمه ،أو عبد معه غيره " [3] والإقرار بالربوبية ووجود إله هو النواة الأولى للدين في نفس الإنسان.

وفي مراجعة لتاريخ البشرية جمعاء نجد أن الدين لازم الإنسان منذ أن حطت قدماه على الأرض ،إذ أن أبا البشر آدم عليه السلام قال اللـه عنه :﴿ **فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ۝ قُلْنَا اهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾ [4]، ودان بدينه أبناؤه وقصة ابني آدم تحكي شعيرة من شعائر الدين وهي القربان الذي تقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر؛ وهكذا استمرت الديانات تتوالى ،يدين بها أصحابها كما هي صحيحة من غير تحريف تارة، ويدينون بها محرفة تارة أخرى ؛بل قد يضيعونها ويضعون لأنفسهم دينا من عندهم؛ غير أن العبرة بعدم خلو أي قوم أو حضارة من الدين فهو مكون رئيس للمجتمعات إذ أن "الاختلاف في تصور الإنسان لطبيعة الإله أو طريق عبادته إنما هي اختلافات في طريقة التعبير عن ذلك الدافع الفطري للتدين الموجود في أعماق النفس"[5]

وقد لاحظ هذا العموم الواقعي علماء النفس الذين قالوا بسنية التدين في الإنسان، واستدلوا عليها من خلال تاريخ الإنسان، يقول جان ايورث "لو كنا نعتقد أن التاريخ دليل صادق في الكشف عن حقيقة الإنسان

---

(1) ينظر: الحسين بن عبد اللـه الطيبي(743هـ)، الكاشف عن حقائق السنن، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، نزار الباز- مكة المكرمة، ط1: 1997، ج2، ص546.

(2) محمود بن أحمد العيني، عمدة القاري، ج23، ص230.

(3) النووي، المنهاج، ص1881.

(4) البقرة:37-38

(5) محمد عثمان نجاتي، القرآن وعلم النفس، دار الشروق- بيروت، ط2 :1985، ص47.

لاستطعنا أن نقول أن الإنسان كان يشعر دائما من أعماق نفسه بضرورة الخضوع للمبدأ الأعلى الذي يفوقه كمالا وقوة "[1].

وهذه الموازاة الزمنية للدين مع تاريخ الإنسان يرافقها امتداد لكل الحضارات والأمم والأقوام على تباينها حضاريا وثقافيا "ولا يمكن أن نجد في التاريخ أمة ولا حضارة إلا أن تكون مقترنة بلون من ألوان الشعور الديني، والأفراد مثل الأمم في عموم حاجتهم للدين فإن الشعور الديني- ذلك الإحساس الأصيل- يجده الإنسان غير المتمدين كما يجده أعلى الناس تفكيرا وأعظمهم حدسا"[2].

- ثانياً: أصالة الفطرة الدينية وعدم طروئها:

كما يتضح هذا من قول الرسول ﷺ:" كل مولود يولد على الفطرة "؛ أي أنه منذ أن يولد مجبولا بفطرة التدين وذلك يعني أن "الاعتراف بربوبية الله متأصل في نفس الإنسان " [3]، لكن الدين عند الإنسان مثل باقي حاجاته لظهورها وقت ما وربما أحيانا ظروف معينة، وعدم ظهورها في مراحل العمر الأولى للإنسان لا يعني عدمها، بل هي موجودة وإن كانت كامنة، وفي الحديث القدسي:"**وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ** "[4]، دلالة على أصالة الدين في حياة الإنسان بل وأصالة الإيمان بالدين الحق والتوحيد، وأن الكفر هو الطاريء في حياة الإنسان فكيف بالإلحاد؟.

يقول محمد الآصفي: أن أصالة النزوع الديني في الشخصية يكشف عن حقيقة هي أن التدين حقيقة ثابتة في شخصية الإنسان، وأن النزوع الديني نزوع صادق ...وصدق هذا النزوع وأصالته وإن كان لا يثبت الواقعية الموضوعية للدين إلا أنه يكشف بلا شك عن واقعية التدين الذاتية في الإنسان، كما يكشف أن التنكر للدين شيء طارئ ..، وعرض ..، وشذوذ وليس حالة عامة في الإنسان [5].

وأصالة الدين في نفس الإنسان كأصالة قدرته على الإبصار والسمع يقول القرطبي :"إن الله خلق قلوب بني آدم مؤهلة لقبول الحق كما خلق أعينهم، وأسماعهم قابلة للمرئيات والمسموعات" [6]، وهذا الدليل ذاته الذي دلل به سيد قطب على أصالة التدين في النفس؛ فهو يقرر أن الخارج لا ينشئ في النفس شيئا، ما لم يكن الاستعداد له موجودا من الداخل"[7]؛ ويمثل لذلك بأن الأضواء لا تنشئ القدرة على الإبصار، وكذلك الأصوات لا تنشئ القدرة على السمع، ومثل القدرة على الإبصار والسمع الدين في النفس، الكون من حول الإنسان يدعوه للبحث عن وخالق، والخوف مما حوله يضطره إلى اللجوء لإله قوي قادر، وهكذا فلو لم يكن في أصل النفس بذرة للتدين لما

---

(1) نقله محمد مهدي الآصفي، دور الدين في حياة الإنسان، دار التعارف للمطبوعات- بيروت، ط3 :1982، ص105، عن جان ايورث، موقع الدين من التجارب والأحداث الإنسانية.

(2) ينظر: الآصفي، المرجع السابق، ص97-105.

(3) محمد أحمد الجمل، الغرائز من منظور قرآني، إشراف الدكتور: فضل عباس، رسالة جامعية لنيل درجة الماجستير، الجامعة الأردنية– الأردن، لعام:1996، ص194.

(4) سبق ص19.

(5) محمد مهدي الآصفي، ص17-18.

(6) أحمد بن عمر القرطبي (656هـ)، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، دار ابن كثير– دمشق، ط1: 1996، ج6، ص676.

(7) ينظر: سيد قطب، دراسات في النفس الإنسانية، دار الشروق- بيروت، ط6 :1983، ص223.

أنشأه شيء في الإنسان، وهذا دليله في الحديث واضح حيث أن المولود يولد مفطورا؛ أي مستعدا للإيمان بالإله ومتقبلا فكرة الألوهية ولا يكتسبه اكتسابا من البيئة، وإن كانت البيئة تتدخل في توجيهه والتأثير فيه قوة وضعفا لا وجودا وعدما، يقول العلواني:"هذا النزوع المفطور في الإنسان هو الذي يشكل القابلية والتهيؤ لاستقبال الهدي الإلهي"[1]، هذا إن لم يعيق وصول الهدي الإلهي إليه عائق، فحينها يلبي الاستعداد الفطري بأي عقيدة تصله.

وفي إثبات أن سنة التدين سنة أصيلة راسخة في نفس الإنسان وليست من بدعات الحضارة أو المدنية، أو حتى أن تكون تولدت نتيجة لظروف مر بها الأجداد فلقنوها للأبناء فتوارثوها كما يتوارثون العلم والثقافة والفنون يستدل سيرل بيرت بقوله:" في سلوك المتوحشين الفطري وفي أوهام الطفل الصغير ما يشبه أن يكون مقدمة للعبادات عند الكبير المتحضر .." [2] وكأن الكاتب يلمح إلى أن الطفل الذي في أوهامه وتخيلاته ما يمكن أن يكون مقدمات للعبادة الذي ما زال غضا على تلقي العقائد دليل على أصالة التدين وفطريته، "ومما سجله علماء الاجتماع أن أقزام أفريقيا هم أشد الشعوب الهمجية تخلفا ...، ومع هذا يؤمنون بوجود إله أعظم في كل مكان وهو إله خالق مسيطر يتجهون إليه العبادة " [3] وهو في هذا يوافق سيرل بيرت في الاستدلال بوجود ديانة لدى تلك الجماعات البشرية غير المتحضرة التي لم تمدها الثقافات الأخرى بأي مظهر من مظاهر الحضارة استدل بذلك على أن الدين أصيل في النفس البشرية وليس بمستحدث فيها.

أما ما جاءت به مدرسة فرويد من كون الدين أمرا طارئا يلقنه الإنسان تلقين إجبار، أو يضطر له اضطرارا فإن في حديث رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم ما يثبت عكس ذلك ،كما أنه في كتب علم النفس ما يبطله ويرد عليه رأيه القائم على افتراضات ليس لها من دليل تستند إليه، علاوة على أن الواقع الذي أدى إلى ظهور مثل تلك النظريات واقع لا يخفى على أحد من حيث وصول السلطة الكنسية إلى ذروة الاستبداد القائم على الجهل والخرافة والمعترض حركة النهضة العلمية مما أدى إلى حصول ردة فعل عنيفة تجاه الدين.

- ثالثا: مكان الفطرة الدينية في النفس الإنسانية:

حَدَّثَ رَسُولُ ﷺ أَنَّ:" **الْأَمَانَةَ نَزَلَتْ فِي جَذْرِ قلوب الرجال**"[4] علّق الواحدي على قول ابن عباس رضي اللـه عنهما، ومقاتل، وأبو العالية في الأمانة بقوله:" فالأمانة في قول جميعهم الطاعة والفرائض التي يتعلق بأدائها الثواب وبتضييعها العقاب"[5].

---

(1) عبد المجيد النجار، فقه التدين فهما وتنزيلا، ط1 :1410هـ ص10، المقدمة: تقديم: عمر عبيد حسنة.

(2) سيرل بيرت، علم النفس الديني، ترجمة سميرة عبده، دار الآفاق الجديدة- بيروت، ط1 :1985، ص9.

(3) مرسي شعبان السويدي، غرائز النفس البشرية، دار الصحابة للتراث– طنطا، ط1 :1992، ص277.

(4) أخرجه البخاري، في كتاب: الرقاق، باب: رفع الأمانة، قال حدثنا محمد بن كثير أخبرنا سفيان حدثنا الأعمش عن زيد بن وهب حدثنا حذيفة بن اليمان قال حدثنا رسول اللـه ﷺ فذكره (ص1184، برقم:6496)، ومسلم، كتاب: الإيمان، باب: رفع الأمانة والإيمان من بعض القلوب..،(ص87، برقم:284)، والترمذي، كتاب:الفتن، باب:رفع الأمانة، (ج4، ص48، برقم:2179) ابن ماجة، كتاب:الفتن، باب: ذهاب الأمانة، (ج5، ص513، برقم:4053)، أحمد (ج38، ص251، برقم:23255)، كهم عن الأعمش.

(5) نقله: النووي، المنهاج، ص227.

وقال صاحب التحرير: الأمانة في الحديث هي الأمانة المذكورة في قوله تعالى:﴿ **إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ** ﴾ وهي عين الإيمان فإذا استمكنت الأمانة من قلب العبد قام حينئذ بأداء التكاليف[1]

وقال ابن العربي:"هي معان تحصل في القلب فيأمن بها المرء الردى في الدنيا والآخرة وأصلها الإيمان..."[2]، ولعل قول الحسن أنها "الدين"[3] هو الأجمع للأقوال، حيث لا إيمان، ولا طاعة أو فرائض، بدون دين كما أنه لا دين بدونها.

وإن كانت الأمانة أيا مما سبق فإنها تشير إلى الدين، إما على اعتبار أن الأمانة هي الدين، أو باعتبار النيابة للزوم بين الدين والإيمان.

وهذا الحديث يشير إلى مكان الدين من الإنسان وهو مكان عظيم إذ أنه ليس في القلب وحسب بل هو في جذر القلب والجذر هو الأصل من كل شيء[4]، فالدين في أصل القلب الذي يعول عليه أمر البدن؛ أي أنه في مكان عميق وفي أغوار بعيدة من النفس الإنسانية، يقول العقاد:" حق لا يقبل المرآء أن الحاسة الدينية بعيدة الغور في طبيعة الإنسان"[5]

ويفهم من قول الرسول ﷺ "أَنَّ الْأَمَانَةَ نَزَلَتْ فِي جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ ثُمَّ عَلِمُوا مِنْ الْقُرْآنِ ثُمَّ عَلِمُوا مِنْ السُّنَّةِ"[6] أن اساس الإيمان مشترك بين الناس ثم يزداد، حيث أن العلم بالقرآن والسنة من أهم أسباب زيادة الطاعات.

ولعمق مكان الدين في النفس يرى العقاد أن الدين بدأ من صنع الإنسان فبدأ بآلهة عدة ثم التثليث، ثم مرحلة الإلهين، حتى أتت الديانات السماوية بالتوحيد، وهو في هذا قد جانب الصواب لأن العناية الإلهية واللطف الرباني الذي أوجد في الإنسان هذه الفطرة بهذا العمق أنزل للإنسان -منذ حطت قدماه على الأرض- هدايته ومنها الدين الحق، وقد ناقش الكثير من العلماء رأيه الذي جاء متابعا لآراء علماء الأديان الغربيين، وأظهروا خطأه.

وكون الدين بهذا العمق من النفس الإنسانية يعني أنه ما من مقدور أحد نزعه أو رفعه منها و إلا أدى ذلك إلى فسادها أو تحولها عن صفة الإنسانية إن حصل ذلك.

فإذا ثبت عموم الفطرة الدينية، وثبتت أصالتها في النفس وتبين أن مكانها عميقا متجذرا تأكد أن التدين سنة إلهية أودعها اللـه نفوس عباده.

---

(1) نقله: النووي، المنهاج، ص227.

(2) محمد بن عبد اللـه ابن العربي المالكي، عارضة الأحوذي بشرح الترمذي، اعتناء جمال مرعشلي، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1: 1997، ج9، ص19.

(3) النووي، المنهاج، ص227

(4) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج1، ص436 .

(5) عباس محمود العقاد، كتاب: اللـه بحث في نشأة العقيدة الإلهية، دار المعارف- بيروت، ط4: 1964، ص15.

(6) سبق ص84.

المبحث الرابع: ثنائية الهداية والضلال في النفس الإنسانية.

يقول تبارك وتعالى:﴿ وإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِن طِينٍ۝ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾[1] وأخرج البخاري عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللــه عَنْـهُ أنّ رسـول اللــه ﷺ قـال:"**يَجْمَعُ اللــه النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُونَ لَوْ اسْتَشْفَعْنَا إِلَى رَبِّنَا حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ أَنْتَ الَّذِي خَلَقَكَ اللــه بِيَدِهِ وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ فَاشْفَعْ لَنَا عِنْدَ رَبِّنَا فَيَقُولُ لَسْتُ هُنَاكُمْ وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ...**"[2]، وأخرج الترمذي من حديث أبو موسى الأشعري قال: قال رسول اللــه ﷺ:"**إِنَّ اللــه تَعَالَى خَلَقَ آدَمَ مِنْ قَبْضَةٍ قَبَضَهَا مِنْ جَمِيعِ الْأَرْضِ فَجَاءَ بَنُو آدَمَ عَلَى قَدْرِ الْأَرْضِ فَجَاءَ مِنْهُمْ الْأَحْمَرُ وَالْأَبْيَضُ وَالْأَسْوَدُ وَبَيْنَ ذَلِكَ وَالسَّهْلُ وَالْحَزْنُ وَالْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ**"[3].

نظرية الإسلام النفسية تقوم على "ازدواج طبيعة الإنسان "؛ وهي تعني أن الإنسان كائن مزدوج الطبيعة ،مزدوج الاستعدادات، مزدوج الاتجاه، وتعني كلمة "مزدوج" على وجه التحديد أنه بطبيعة تكوينه من طين الأرض ومن نفخة اللــه من روحه مزود باستعدادات متساوية للخير والشر، والهدى والضلال، فهو قادر على التمييز بين ما هو خير وما هو شر كما أنه قادر على توجيه نفسه إلى الخير والشر سواء، وأن هذه القدرة كامنة في كيانه... وهناك إلى جانب هذه الاستعدادات الفطرية الكامنة قدرة واعية ومدركة موجهة في ذات الإنسان...[4] فمن ثنائية أصل الخلقة تفرعت ثنائية الهداية والضلال في الإنسان.

يقول سبحانه :﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا۝ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾(5) ويقول الرسول ﷺ:" **الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ وَالْحَمْدُ لِلــه تَمْلَأُ الْمِيزَانَ وَسُبْحَانَ اللــه وَالْحَمْدُ لِلــه تَمْلَآنِ أَوْ تَمْلَأُ مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالصَّلَاةُ نُورٌ وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا**"[6].

---

(1) سورة: ص71- 72.

(2) البخاري، كتاب: الرقاق، باب: صفة الجنة والنار، (ص ، برقم:)، قال حدثنا مسدد حدثنا أبو عوانة عن قتادة عن أنس رضي اللــه عنه به، ومسلم، كتاب: الإيمان، باب: أدنى أهل الجنة منزلة، (ص116، برقم:394)، والترمذي، كتاب: أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، باب: الشفاعة، (ج4، ص228، برقم:2434)، ابن ماجة، كتاب:الزهد، باب:ذكر الشفاعة، (ج5، ص680، برقم:4312)، وأحمد، (ج19 ،ص196، برقم:12153) كلهم عن أنس رضي اللــه عنه .

(3) الترمذي، كتاب: التفسير، باب: من سورة البقرة، (ج5، ص71، برقم:2955) قال حدثنا محمد بن بشار حدثنا يحيى بن سعيد وابن أبي عدي ومحمد بن جعفر وعبد الوهاب قالوا حدثنا عوف بن أبي جميلة الأعرابي عن قسامة بن زهير عن أبي موسى الأشعري ، أبو داوود، كتاب: السنة، باب: في القدر، (ج5، ص221، برقم:4660)

الحديث **صحيح** رجاله ثقات، قال الترمذي: هذا حديث خسن صحيح.

(4) سيد قطب ،الظلال ،ج6، ص1658 .

(5) الشمس: 7-10 .

(6) مسلم، كتاب: الطهارة، باب: فضل الوضوء، (ص131، برقم:454)، قال: حدثنا إسحق بن منصور حدثنا حَبَّان بن نهلال حدثنا أَبَان حدثنا يحيى أن زيدا حدثه أن أبا سلام حدثه عن أبي مالك الأشعري، الترمذي، كتاب: الدعوات، باب: منه، (ج5، ص492، برقم:3517)، أحمد (ج37، ص535، برقم:22902)، الدارمي، كتاب: الطهارة، باب: ما جاء في الطهور، (ج1، ص518، برقم:679)

تكشف الآية والحديث عن سنة الازدواج في الهدية والضلال في نفس الإنسان التي **تظهر أولا من خلال هداية اللـه للإنسان بتعريفه طريق الهداية وتمييزه عن طريق الضلال** حتى يصبح الإنسان مدركا لهما عالما بعاقبة كل منهما، وهذا يظهر ازدواجية القدرة في الإنسان، القدرة على التمييز بين الهداية والضلال بما آتاه اللـه من دلائل يستدل بها على كل منهما ،سواء كانت دلالة الرسل والكتب السماوية أو دلالة من نفس الإنسان بما أودعه اللـه من عقل وفطرة.. يقول المراغي:" أودع اللـه في فطرة الإنسان التمييز بين الخير والشر، وجعل له من العقل والفكر ما يكون مُذَكِّرا ومنبها ،ونصب له من الدلائل على حسن الخير، وأشار إلى ما في الشر من هفوات وعيوب، ثم أقدره على أن يسلك أي الطريقين شاء [(1)]

ثم تظهر ثانيا في إقدار اللـه الإنسان للاتصاف بأي الطريقين أراد دون جبر وذلك بالقوة التي أعطاها اللـه للإنسان، القوة الحيادية الطيعة للإنسان يوجهها حيث أراد إما لطريق الخير وإما لطريق الشر، يقول ابن عباس:" إلهام الفجور والتقوى إفهامها وإعقالها وأن أحدهما حسن والآخر قبيح ،وتمكينه من اختيار أحدهما "[(2)] ويقول ابن عطية:"أي عرّفها طرق ذلك، وجعل لها قوة يصح معها اكتساب الفجور واكتساب التقوى"[(3)] لذلك فإن النفس بحد ذاتها لا توصف بالخير أو بالشر لأن "الطاقة النفسية طاقة محايدة ،تصلح أن يستخدمها في للخير كما تصلح هي ذاتها أن تستخدمها في الشر لا تتغير طبيعتها في الحالتين وإنما يتغير التوجيه"[(4)]،وإنما يلحقها هذا الوصف بعد أن يصدر من الإنسان فعلا ويتخذ له طريقا في حياته يقول النووي:"كل الناس يسعى بنفسه فمنهم من يبيعها للـه تعالى بطاعته فيعتقها من العذاب ومنهم من يبيعها للشيطان والهوى باتباعهما فيوبقها أي يهلكها"[(5)] فالإنسان هو من أراد أن يتبع طريق الهدى لما علم ما فيه من خير بما آتاه اللـه من قدرة على التمييز والاختيار ،وهو ذاته الذي اختار لنفسه الهلاك حين أصر على ترك هداية اللـه وأعرض عن دواع الهدى التي أوجدها اللـه لنفسه فسار في طرق الضلال.

وقد أوجد اللـه في نفس الإنسان دواع للخير، كما أن فيها دواع للشر، وترك للإنسان الحرية الكاملة في توجيه نفسه إلى أي الطريقين أراد أخرج الطبراني عن ابن مسعود رضي اللـه عنه أنه قال**:"..ألا وإن للملك لمة[(6)] ولشيطان لمة، فلَمَّةُ الْمَلَكِ إِيعَادٌ للْخَيْرِ، وَلَمَّةُ الشَّيْطَانِ إِيعَادٌ بِالشَّرِّ، فَمَنْ وَجَدَ لمة الملك فَلْيَعْلَمْ فَلْيَحْمَدْ اللـه ،وَمَنْ وَجَدَ لمة الشيطان فَلْيَتَعَوَّذْ من ذلك فإن اللـه عز وجل يقول:﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاء**

كلهم من طريق أبان نحوه، وابن ماجه، كتاب: الطهارة وسننها، باب: الوضوء شطر الإيمان، (ج5، ص681، برقم:4312) قال معاوية بن سلام عن أخيه أنه أخبره عن جده أبي سلام عن عبد الرحمن بن غنم عن أبي مالك الأشعري ،وهو من المزيد في متصل الأسانيد .

(1) ينظر: المراغي، تفسير المراغي، ج28، ص160. بتصرف .

(2) محمد بن عمر الرازي(606هـ)، مفاتيح الغيب المعروف بالتفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط2: 1997، ج11، ص177.

(3) محمد عبد الحق ابن عطية(546هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق عبد العال السيد إبراهيم، رئاسة المحاكم الشرعية- قطر، ط1: 1991، ج15، ص471 .

(4) محمد قطب، في النفس والمجتمع ،ص134.

(5) النووي، المنهاج، ص313.

(6) اللمَّة: الهمة والخطرة تقع في القلب، ابن الأثير،النهاية، ج2، ص616.

وَاللــه يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللــه وَاسِعٌ عَلِيمٌ)[1]... "[2].وهاتان اللمتان لمتى هم وإرادة لا لمتى جبر وقهر، أي هما دعوة وحسب وكل ابن آدم معرض لهما ولكن التمايز بينهم إنما هو في الاستجابة، فمن استجاب للمة الملك وسعى للخير واتبع الحق مصدقا به فقد اهتدى، ومن استجاب للمة الشيطان فقد استسلم لشبهات الشيطان أو لشهوات نفسه حتى لم يأبه بأي الطرق سار وبأي الشرائع اهتدى؛ ما يهم في هذا الحديث أن كل إنسان معرض للّمتين، فالإنسان مزود بحاجات قد يلبيها بأسلوب خير وبما يرضي اللـه ووفق نهجه فيكون مهتديا، أو أن يلبي الحاجات ذاتها وفق منهج الشيطان فيضل الطريق السوي، فإذا عرضت للإنسان حاجة كان أمامه طريقان ليلبيها طريق هدي وطريق ضلال، يقول الرسول ﷺ:" **وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ قَالُوا يَا رَسُولَ اللــه أَيَأتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ قَالَ أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وِزْرٌ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهُ أَجْرًا**"[3]

وكذلك الفتن في حياة الإنسان قَالَ حُذَيْفَةُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللــه ﷺ يَقُولُ:"**تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتْ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَالْآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ**"[4].

يدل الحديث على أن القلوب أمام الفتن بين أمرين، بين الهداية والضلال، فمن أنكر ورد الفتن واتخذ منها موقف الكاره الرافض وابتعد عنها لم تؤثر في قلبه بل شكل رفضه وانكاره لها سياجا حول قلبه يحميه من الضلال، وأما القلب الذي تأثر بالفتنة وتلبس بها وقارفها أثرت فيه حتى أورده مهالك الضلال، فكل قلب وارد عليه التلبس بالهداية أو بالضلال بفعل الإنسان وقصده وإرادته، ومنه فإن القلوب لا توصف بالهداية أو بالضلال حتى تحدد موقفها من الفتن التي تعرض لها، ومن هنا تظهر قابلية الإنسان للهداية والضلال في موقفه أمام الفتن بين

---

(1) البقرة: 268

(2) الطبراني، المعجم الكبير، (ج9، ص104، برقم:8532)، قال حدثنا علي بن عبد العزيز ثنا عارِم أبو النعمان ثنا حماد بن زيد عن عطاء بن السائب عن مرّة عن عبد اللـه به، والترمذي ،كتاب: تفسير القرآن ،باب: ومن سورة البقرة ، (ج5، ص94، برقم:2988) مرفوعاً، وابن حبان (ج3، ص278، برقم:997)، وأبو يعلى (ج4، ص325، برقم:4978)، كلهم عن عطاء نحوه، وعارم هو محمد بن الفضل.

وإسناد الحديث من طريق الطبراني **حسن** رجاله ثقات غير علي بن عبد العزيز **صدوق** (تذكرة الحفاظ، ج2، ص623، برقم: 649) ، وعطاء بن السائب **صدوق اختلط** (ينظر التقريب، ص429، برقم:4592) **وسماع حماد بن زيد من عطاء قبل اختلاطه** ينظر: عبد الرحمن ابن رجب الحنبلي(795هـ)، شرح علل الترمذي، تحقيق همام سعيد، المنار- الأردن، ط1: 1987، (ج2، ص735)، وضعف عدد من العلماء الرواية المرفوعة من طريق أبي الأحوص الذي لم يذْكر فيمن سمع من عطاء قبل اختلاطه وقال الترمذي عن الحديث:" حسن غريب وهو حديث أبي الأحوص لا نعلمه مرفوعا إلا من حديث أبي الأحوص"، وقال شعيب الأرناؤوط:" وقد أعل بالوقف وأجيب بأن له حكم الرفع لأنه لا يُعلم بالرأي ولا يدخله القياس"، فالرواية الموقوفة هي الأصح وإن كان لها حكم الرفع لِما ذكره شعيب- ينظر كلام شعيب الأرناؤوط في تعليقه على الحديث في صحيح ابن حبان في موضعه-.

(3) مسلم، كتاب: الزكاة، باب: بيان أن اسم الصدقة يقع على كل معروف (ص449، برقم:2292) قال حدثنا عبد اللـه بن محمد بن أسماء الضُّبَعِي حدثنا مهدي بن ميمون حدثنا واصل مولى أبي عيينة عن يحيى بن عُقَيل عن يحيى بن يَعْمَر عن أبي الأسود الدِّيلِيِّ عن أبي ذرّ رضي اللـه عنه به، وأخرجه أحمد،(ج35، ص376، برقم:21473) من طريق مهدي بن ميمون .

(4) سبق ص46.

الاستجابة أو الاحتراز منها، بما أوتي من قدرة على اختيار أي الطريقين بعد وجود الاستعداد والميل لكليهما، ووجود العلم والمعرفة بهما.

ونظرة الإسلام للإنسان وفق سنة الازدواجية في الهداية والضلال- إزدواجية الاستعداد، وازدواجية التهيؤ، وازدواجية الاتصاف ...-تتيح للمربين التعامل الأمثل مع من يربونهم، وذلك لأن المربي حينها ينظر إلى نفس الإنسان على أنها متهيأة للهداية فيزودها بها على علم أنها ستقع منه موقعا بلائمها، وحين ينظر إليها على أنها مهيأة للضلال يجنبها أسبابه، ويبن لها أضراره وعواقبه، على خلاف من ينظر إلى النفس الإنسانية على أنها شريرة بطبعها، وأن الهداية أمر طاريء عارض عليها ليس لها أن تتصف به إلا جبرا وقسرا، كما أن نظرة الإنسان إلى نفسه بأنه هو الموجه والمتحكم بالطريق التي يختطها لنفسه وأنه لم يجبل على الهداية أو الضلال جبلا من شأنه أن يقهر إرادته، هذه النظرة تدفع بالإنسان إلى أن يسير بنفسه في طريق الهداية، كما أنها تدعوه إلى مراقبة نفسه ومحاسبتها وابعادها عن أسباب الضلال خوفا من أن يبتعد عن الهداية ويسير في طرق الضلال.

المبحث الخامس: سنن الـلـه في تأثير الأعمال على الإنسان هداية وضلالا.

قال الـلـه تعالى:﴿ **قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا۝ وَيَزِيدُ الـلـه الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا** ﴾ [1] يقول النسفي:"من كان في الضلالة مد أو يمد له الرحمن ويزيد ،أي يزيد الضال بخذلانه ويزيد المهتدين أي المؤمنين هدى: ثباتا على الاهتداء أو يقينا وبصيرة بتوفيقه" [2]فمن اتبع إرشاد الـلـه ودلالته وفّقه الـلـه لمزيد من الهداية ولمزيد من الاتباع وكأن كل دلالة متبعة توصل إلى دلالة أخرى وهكذا حتى يظل الإنسان يرتقي في منازل الهداية وتزداد حياته صلاحا،" ومن يعرض عن هداية الـلـه يتركه الـلـه وما أراد" [3] فيزداد ضلالا وبعدا كلما سار في طريق الحياة وبذلك تزداد حياته فسادا وضنكا لابتعاده عن الهدى ،يقول ابن القيم:" الهداية تجر الهداية والضلال يجر الضلال، وتكرر في القرآن جعل الأعمال القائمة بالقلب والجوارح سبب الهداية والإضلال، فيقوم بالقلب والجوارح أعمال تقتضي الهدى اقتضاء السبب لمسببه، والمؤثر لأثره وكذلك الضلال"[4].

ويمكن دراسة هذه السنة من خلال الأحاديث التي رتبت زيادة الهداية للإنسان على فعله واتباع أمر ربه ،ومن خلال التفاصيل الجزئية يمكن تكوين صورة متكاملة للسنة.

يقول رَسُولَ الـلـه ﷺ:"**تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتْ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَالْآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ**"[5]

يبين الحديث التغير الذي يلحق قلب الإنسان جرّاء التزامه أمر الـلـه واتباع هديه أو الإعراض عنه، فأي وصف لحقه منها إنما هو بسبب فعل القلب ذاته ،أخبر الـلـه الإنسان أنه معرّض في حياته للامتحان والفتن وبين له أن الأمر فيها التزام هدي الـلـه ،والحديث صريح في أن كل القلوب معرضة للفتن ،وأن الفتن كثيرة متتالية متتابعة على قلوب بني آدم فقد قال القاضي عياض في ضبط الحديث "عُوْدا عُوْدا " [6] وهي أعواد الحصير التي يجمع

---

(1) مريم: 75- 76.

(2) عبد الـلـه بن محمود النسفي (710هـ)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، اعتنى به عبد المجيد حلبي، دار المعرفة- بيروت؛ ط:2000، ص682.

(3) عبد الكريم زيدان، السنن الإلهية، ص34.

(4) ابن القيم، الفوائد، دار الكتب العلمية- بيروت، ط2: 1973، ص129.

(5) سبق تخريجه:46.

(6) عياض بن موسى اليحصبي(544هـ)، إكمال المعلم بفوائد مسلم، تحقيق: يحيى عيس، دار الوفاء- مصر، ط1: 1998، ج1، ص452.

بعضها إلى بعض وقال ابن السراج "عَوْدا عَوْدا " [1] بمعنى تعاد وتكرر شيئا بعد شيء ،وكلا المعنيين يفيد تتابع الفتن فإذ في الضبط الأول تجمع أعواد الحصير وتتبع الواحدة بالأخرى ،وفعل القلب أمام هذه الفتن سبب في هدايته أو فجوره ،فإذا أنكر الفتن عملا بأمر اللـه وهداه في ضرورة حيث أن فرفضها ولم يقبلها [2] بل وحاربها بالتغيير وفق استطاعه لم تؤثر فيه الفتنة يقول الرسول ﷺ :"وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ " واستمرار معاودة الفتن القلب تزيد من البياض فيه فيزداد هداية وتتكون لديه حماية ووقاية منها فقد شبه الرسول ﷺ الحال الذي آل إليه هذا القلب بالحجر الأملس الذي لا يعلق به شيء من الفتن[3].

وأما القلب الذي تعرف إلى الفتنة واطمأن لها وسكن، فأشربها أي "دخلت فيه دخولا تاما"[4]، أثرت فيه و"نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ "، وكلما عرضت له فتنة نكت فيه كذلك حتى يزداد السواد فيه ويطغى على البياض فيصبح كما وصف في الحديث "مربادا "أي لونه أسودا فيه شبه بياض ،وهو بهذا يكون قد ضل فمنع التوفيق ففسدت حياته بفعل قلبه ،يقول صاحب التحرير:"معنى الحديث أن الرجل إذا اتبع هواه وارتكب المعاصي دخل قلبه بكل معصية يتبعها ظلمة، وإذا صار كذلك افتتن وزال عنه نور الإسلام" [5]

وكما جعل اللـه للجسد أمراضا وجعل لها أسباب وقاية ،وجعل كثرة تعرض الجسد لأسباب الأمراض دون اتخاذ أسباب الوقاية أو العلاج سبب في هلاكه وضعفه ،كما جعل اللـه ذلك للجسد فإن من أمراض القلوب الفتن والمعاصي فمن توقاها، أو تاب مما أصابه منها حفظه اللـه ومن لم يفعل فقد أهلك قلبه.

عن النبي ﷺ قَالَ:"**إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يَكُونَ صِدِّيقًا وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللـه كَذَّابًا**" [6]

بين الرسول ﷺ أن الصدق طريق وسبب لوصول الإنسان إلى البر وهو التوسع في عمل الخيرات[7] فمن أراد أن يوفقه اللـه إلى البر فليتحر الصدق كما بين الحديث أن الضلال طريقه وسببه الكذب، فمن لازم الكذب واستمرأه كان سببا في فجوره، والفجور شق ستر الديانة.

يعرض الحديث أثر الصدق والكذب على الإنسان بصورة السنة الماضية المتقررة، فالصدق يهدي، أي يدلل ويرشد ويوصل متحريه إلى البر، والصدق عام لا يقتصر على صدق الأقوال وإن غلب إطلاقه عليه فهو يتعداه إلى

---

(1) نقله عياض، المرجع السابق، الموضع نفسه.
(2) قال ابن فارس:" أنكر الشيء:لم يقبله قلبه ولم يعترف به لسانه "، ينظر: معجم مقاييس اللغة، ج، ص476.
(3) ينظر: عياض، اكمال المعلم، ج1، ص453.
(4) النووي، المنهاج، ص 229.
(5) نقله، النووي، المنهاج، ص185.
(6) سبق تخريجه، ص51.
(7)الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص50.

الأفعال والنيات، وأما الكذب فإن من أعرض عن أمر اللـه الإنسان بالصدق ولم يعقل أهميته فلم يلزمه ولم يوطن نفسه عليه فإن مآله الوصول إلى الفجور لأنه سلك طريقه وأخذ بأسبابه.

ومن هنا "قال بعض السلف أن من عقوبة السيئة السيئة بعدها وإن من ثواب الحسنة الحسنة بعدها.... حتى تصير الطاعات والمعاصي هيئات راسخة وصفات لازمة وملكات ثابتة..." [1]

لذلك من أراد أن يزيده اللـه هدى وخير فليلزم الصدق ومن أدرك في نفسه كذبا فليبادر وليعالج المرض قبل أن يورده المهالك.

ومن الأحاديث التي بينت أثر الطاعة على الإنسان وأنها سبب في هدايته وإقلاعه عن المعاصي الحديث المروي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ:"**جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ :إِنَّ فُلَانًا يُصَلِّي بِاللَّيْلِ فَإِذَا أَصْبَحَ سَرَقَ، قَالَ: إِنَّهُ سَيَنْهَاهُ مَا يَقُولُ** "[2]، وقد ترجم ابن حبان للباب الذي أورد فيه الحديث بقوله :"ذكر استحباب الإكثار من قيام الليل رجاء ترك المحظورات "[3]وقال أبو حاتم أراد الرسول ﷺ أن الصلاة إذا كانت على الحقيقة في الابتداء والانتهاء، يكون المصلي مجانبا للمحظورات معها كقوله تعالى :﴿ **اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللـه أَكْبَرُ وَاللـه يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ**﴾[4]" [5] فالعبادت من شانها أن تسير بالإنسان في طريق الهداية، وأن تجنبه المعاصي، أخرج البخاري من حديث أنس رضي اللـه عنه عن الرسول ﷺ :"**عَنْ رَبِّهِ قَالَ إِذَا تَقَرَّبَ الْعَبْدُ إِلَيَّ شِبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا وَإِذَا تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا وَإِذَا أَتَانِي مَشْيًا أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً** "[6]

ومن الأحاديث التي تبين أثر المعاصي على الإيمان وأنها سبب في نقاصانه ما أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة رضي اللـه عنه عن النَّبِيُّ ﷺ قوله:" **لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَا يَنْتَهِبُ نُهْبَةً يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا[7] وَهُوَ مُؤْمِنٌ**." [8] يقول ابن حجر في علة نقصان إيمان العاصي وعدم كماله:" لأن العاصي يصير أنقص حالا في الإيمان ممن لا يعصي"[1] فالمعصية سبب في انتفاء كمال الإيمان وكما أنَّ الاستمرار فيها يؤول إلى ذهابه [2]

---

(1) ابن القيم ،الداء والدواء ،دار المدني- جدة ،ط:1983،(د.ط)، ص78، مختصرا .

(2) أحمد ،(ج15، ص483، برقم: 9778)، قال: حدثنا وكيع حدثنا الأعمش قال أُرى أبا صالح عن أبي هريرة، وأخرجه ابن حبان، (ج6، ص300، برقم:2560)، كلاهما عن الأعمش، ووكيع هو بن الجرّاح، وأبو صالح هو ذكوان، ورواه البزار، (ج ، ص ، برقم:) عن الأعمش عن أبي صالح عن جابر.

الحديث **صحيح** رجاله ثقات، قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح (مجمع الزوائد، ج2، ص440، برقم:3555)، وقال شعيب إسناده صحيح والشك الذي وقع من الأعمش هو في صحابي الحديث هل هو أبو هريرة أم جابر.

(3) ابن حبان، الإحسان، ج6، ص300.

(4) العنكبوت: من الآية45.

(5) ابن حبان: الإحسان، ج6، ص301.

(6) سبق ص37.

(7) النهبة: الغارة والسلب، ابن الأثير، النهاية، ج2، ص808.

(8) البخاري، كتاب: المظالم، باب: النهبى بغير إذن صاحبه، (ص400، رقم:2475)، قال: حدثنا سعيد بن عفير قال حدثني الليث حدثنا عقيل عن ابن شهاب عن أبي بكر بن عبد الرحمن عن أبي هريرة رضي اللـه به، ومسلم كتاب: الإيمان، باب: أنه لايدخل الجنة إلا مؤمن، (ص56، رقم:120)، الترمذي، كتاب: الإيمان، باب: لا يزني الزاني وهو مؤمن، (ج4، ص368، رقم:2625)، النسائي

المبحث السادس: السنة في تأثير المشاعر على الإنسان هداية وضلالا.

بما أنّ الإيمان محله القلب، والقلب محل المشاعر، فالإيمان ليس معرفة واقتناعا عقليا فحسب بل لا بد أن يتبع ذلك ميل قلبي وتفاعل[3]، لذا فإنّ بين المشاعر وبين حال الإنسان هدايةً أو ضلالاً ارتباط وثيق وقد أشارت آيات القرآن الكريم وأحاديث السنة النبوية إلى هذا الارتباط فمن ذلك قوله تعالى:﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللـه أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللـه وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبًّا للـه**﴾ [4]، أي أن أهل الباطل يحبون الباطل وأهله، وأهل الهداية يحبون الهداية وأهلها.

أخرج البخاري من حديث أنس رضي اللـه عنه عن النَّبِيِّ ﷺ أنه قَالَ :"**ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ أَنْ يَكُونَ اللـه وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا للـه وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ** " [5] وأخرج عنه أيضاً قَولَ النَّبِيُّ ﷺ:"**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ** " [6] وقوله ﷺ :"**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**" [7]

تشير الأحاديث الثلاث السابقة عن أنس رضي اللـه عنه أن بين المشاعر الإنسانية وبين توجهها نحو الهداية أو الضلال، وبين المشاعر وبين اتصاف النفس بالخير أو بالشر علاقة قوية تكمل ما اتصفت به النفس، وتقربها إلى ما توجهت إليه بالحب، فمن أسباب كمال الهداية حب الخير وأهله، وكره الشر وأهله، وذلك لأن الحب والبغض إذا احتل في القلب مكانا أثَّر على فعل الجسد، فمن أحب الخير حتى قدمه على شهواته وملذاته،

كتاب: الأشربة، باب: ذكر الروايات المغلظات في شرب الخمر، (ص: 893، رقم:5670)، أبو داوود، كتاب: السنة، باب: الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه، (ج5، ص220، رقم:4657)، ابن ماجة، كتاب: الفتن، باب: النهي عن النهبة، (ج5، ص432، رقم:3936)، أحمد، (ج ، ص ، برقم:)، الدارمي، كتاب: الأشربة، باب: في التغليظ لمن شرب الخمر، (ج2، ص1337، رقم:2152)

(1) ابن حجر، فتح الباري، ج3، ص2991.

(2) ينظر: المرجع السابق الموضع نفسه.

(3) ينظر: مجدي الهلالي، بناء الإيمان من خلال القرآن، مؤسسة اقرأ- مصر، ط: 2005، (د.ط)، ص10.

(4) البقرة، من الآية165.

(5) البخاري، كتاب: الإيمان، باب: حلاوة الإيمان، (ص6، برقم:16)، قال حدثنا حدثنا محمد بن المثنى قال حدثنا عبد الوهاب الثقفي قال حدثنا أيوب عن أبي قلابة عن أنس بن مالك، مسلم، كتاب: الإيمان، باب: بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان، (ص50، برقم:57)، الترمذي، كتاب: الإيمان، باب: ما جاء في ترك الصلاة، (ج4، ص367، برقم:2624)، النسائي، كتاب: الإيمان وشرائعه، باب: حلاوة الإيمان، (ص798، برقم:4998)، ابن ماجه، كتاب: الفتن، باب: الصبر على البلاء، (ج5، ص499، برقم:4033)، أحمد (ج20، ص167، برقم:12765)، كلهم من طريق شعبة عن قتادة قال سمعت أنس بن مالك.

(6) البخاري، كتاب: الإيمان، باب: حب الرسول من الإيمان، (ص6، برقم:15)، قال حدثنا حدثنا يعقوب بن إبراهيم قال حدثنا ابن علية عن عبد العزيز بن صهيب عن أنس، وأخرجه مسلم، كتاب: الإيمان، باب: وجوب محبة الرسول أكثر من الأهل والولد والوالد، (ص50، برقم:78)، النسائي، كتاب: الإيمان وشرائعه، باب: علامة الإيمان، (ص803، برقم:5023)، وأحمد، (ج20، ص202، برقم:12814)، ابن ماجه، كتاب: المقدمة، باب: في الإيمان، (ج1، ص91، برقم:67)، كلهم عن أنس بن مالك.

(7) البخاري، كتاب: الإيمان ،باب :من الإيمان أن يحب المرء لأخيه ما يحب لنفسه، (ص5، برقم:13)، قال حدثنا مسدد قال حدثنا يحيى عن شعبة عن قتادة عن أنس، وأخرجه مسلم، كتاب: الإيمان، باب: نفي الإيمان عمن لا يحب لأخيه وجارهما يحب لنفسه، (ص51، برقم:79)، الترمذي، كتاب: صفة القيامة والرقائق والورع، بابٌ (ج4، ص284، برقم:2515)، النسائي، كتاب: الإيمان وشرائعه، باب: علامة الإيمان، (ص803، برقم:5026)، وابن ماجه، كتاب: المقدمة، باب: في الإيمان، (ج1، ص90، برقم:66)، أحمد، (ج20، ص193، برقم:12801)، الدارمي، كتاب: الرقاق، باب: لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه، (ج3، ص1801، برقم:2782)، كلهم من طريق شعبة عن قتادة عن أنس رضي اللـه عنه.

وأحب أهل الخير للخير فيهم حتى تمنى لهم ما يتمناه لنفسه وعزز الحب بالفعل حداه ذلك إلى فعل الخير وترك الشر فيزداد بذلك هداية وقربا من الخير.

وللمشاعر علاقة بقناعات الإنسان واعتقاداته وخاصة ما اتصل منها بما يصلح حاله لذا فإن الإنسان "إذا تأمل النفع الحاصل له من جهة الرسول ﷺ الذي أخرجه من الظلمات إلى النور ...علم أنه سبب بقائه الأبدي في النعيم وعلم أن نفعه من جميع وجوه الانتفاعات فاستحق بذلك أن يكون حظه من محبته أوفر من غيره"(1) فإذا صحت القناعة صح الحب.

أخرج البخاري عن عائِشَةَ رَضِيَ اللـه عَنْهَا قَالَتْ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ :"**الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ** "(2) ويرجع ابن فارس الجذر (ع ر ف) إلى أصلين أحدهما ضد الجهل والآخر يدل على تتابع(3) وهذا يدل على أن معرفة شيء ما تلزم إزالة الجهالة عنه ومتابعته، فمن تعلم الخير وطرق الهداية وتابع السير عليها حتى يتحقق له ملكة يميز بها من يسير على طريقه من غيره، وكذلك حال أهل الضلال يسيرون في طريق الضلال حتى يعرفوا الضالين بسماتهم فيألفونهم وينكرون أهل الهدى لجهلهم بحالهم ولرفضهم هداهم، نقل النووي :"أن المحبة ثلاثة أقسام محبة إجلال وإعظام ومحبة شفقة ورحمة ومحبة تشاكل واستحسان"(4) وقد جمعت الأحاديث السابقة أنواع المحبة كلها فحب اللـه ورسوله حب تعظيم وإجلال، وحب المسلمين منه حب مشاكلة ومجانسة ومنه حب شفقة ورحمة.

ولابد من الإشارة إلى أن الحب المتعلق بأهل الهدى، الذي من شأنه أن يكون سببا في زيادة الهداية هو على الأنواع الثلاثة التي ذكرها النووي، وأما الشعور تجاه أهل الباطل فيكون رفض وبغض لما هم عليه من الباطل لا لأشخاصهم أنفسهم بل إن المسلم يحب لأهل الباطل الهداية وهذا ما يدفعه للتضحية بنفسه إن مُنِع من ايصال أسباب الهداية لهم، وحب الخير لأهل الباطل هو حب شفقة ورحمة، وهو من أسباب الهداية لأن فيه حباً للهدى.

---

(1) ابن حجر، فتح الباري، ج1، ص279.

(2) البخاري، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب :الأرواح جنود مجندة، (ص554، برقم:3336) قال وقال الليث عن يحيى بن سعيد عن عَمْرَة عن عائشة رضي اللـه عنها به، مسلم، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: الأرواح جنود مجندة، (ص1266، برقم:6802)، وأبو داوود، كتاب: الأدب، باب: من يؤمر أن يجالس، (ج5، ص287، برقم:4801)، وأحمد ،(ج13، ص319، برقم:7935) كلهم عن أبي هريرة رضي اللـه عنه نحوه.

(3) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج4، ص281.

(4) النووي، المنهاج، ص150.

الفصل الثالث:

ســـنن الــرزق

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم الرِّزق

المبحث الثاني: سنة تكفل الـلـه بالرزق.

المبحث الثالث: السنة في أسباب الرزق.

المبحث الرابع: سنن محق الرزق.

المبحث الأول: مفهوم الرِّزق

المطلب الأول: مفهوم الرِّزق لغة واصطلاحا.

الفرع الأول: الرِّزق في اللغة.

الرِّزق: الراء والزاء والقاف أُصَيلٌ واحد يدل على عطاء لوقت ثم يحمل على غير الموقوت [1]، وهو ما ينتفع به [2]، وقال ابن منظور الأرزاق نوعان ظاهر للأبدان كالأقوات وباطن للقلوب والنفوس كالمعارف والعلوم[3].

وعليه فالرزق في اللغة يدل على عطاء مُنْتَفع به عام للماديات مثل المال والولد والمعنويات كالعلم وصلاح الحال وهدوء النفس واطمئنانها.

الفرع الثاني: الرِّزق في الاصطلاح:

يقول الراغب الأصفهاني عن لفظ الرزق:" يقال لعطاء الجاري تارة – دنيويا كان أَم أخرويا- و لنصب تارة ولما يصل إلى الجوف " [4]. وقد عرَّف الراغب الرزق بما يطلق عليه وهذا واضح في قوله " يقال.. " فما عدده هو مما يطلق عليه رزقا ولا حصر عليه.

ويطلق الرزق في الشرع على كل ما ينتفع به من ماديات و معنويات، يقول الرسول ﷺ:" ثَلَاثَةٌ أُقْسِمُ عَلَيْهِنَّ وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ قَالَ مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ وَلَا ظُلِمَ عَبْدٌ مَظْلَمَةً فَصَبَرَ عَلَيْهَا إِلَّا زَادَهُ اللـه عِزًّا وَلَا فَتَحَ عَبْدٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ إِلَّا فَتَحَ اللـه عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ قَالَ إِنَّمَا الدُّنْيَا لِأَرْبَعَةِ نَفَرٍ عَبْدٍ رَزَقَهُ اللـه مَالًا وَعِلْمًا فَهُوَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ وَيَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ وَيَعْلَمُ لـله فِيهِ حَقًّا فَهَذَا بِأَفْضَلِ الْمَنَازِلِ وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللـه عِلْمًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالًا فَهُوَ صَادِقُ النِّيَّةِ يَقُولُ لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلَانٍ فَهُوَ بِنِيَّتِهِ فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللـه مَالًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ عِلْمًا فَهُوَ يَخْبِطُ فِي مَالِهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ لَا يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ وَلَا يَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ وَلَا يَعْلَمُ لـله فِيهِ حَقًّا فَهَذَا بِأَخْبَثِ الْمَنَازِلِ وَعَبْدٍ لَمْ يَرْزُقْهُ اللـه مَالًا وَلَا عِلْمًا فَهُوَ يَقُولُ لَوْ أَنَّ لِي مَالًا

---

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج2، ص 388.

(2) الزبيدي، تاج العروس، ج6، 255 .

(3) ابن منظور، لسان العرب، ج10، ص115.

(4) الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم، ص199.

لَعَمِلْتُ فِيهِ بِعَمَلِ فُلَانٍ فَهُوَ بِنِيَّتِهِ فَوِزْرُهُمَا سَوَاءٌ"[1] وفي دعائه ﷺ لأنسٍ رضي الـلـه عنه:" **الـلـهم ارزقه مالا وولـدا** "[2] فقد عدّ الرسول ﷺ المال والعلم من باب الرزق.

وباعتبار أن الرزق من الـلـه سبحانه فيكون الرزق كل ما ينتفع به من عطاء الـلـه، وإضافة هـذا القيـد من باب التأكيد لا من باب التقييد ليتميز نوعه بل الرزق واحد منه سبحانه وتعالى.

---

(1) الترمذي، كتاب: الزهد، باب : الدنيا لأربعة نفر، (ج4، ص153، برقم: 2325)، قال حدثنا محمد بـن إسـماعيل حـدثنا أبـو نعـيم حدثنا عبادة بن مسلم حدثنا يونس بن خباب عن سعيد الطائي أبي البختري أنه حدثني أبـو كبـشة الأنبـاري بـه، و أخرجـه ابـن ماجة، في كتاب: الزهد، باب: النية، (ج5، ص626، برقم:4228)، وأحمد (ج29، ص561، برقم:18031)، كلاهما عن أبي كبشة رضي الـلـه نحوه، والطبراني، (ج22، ص345، برقم:868).

والحديث **حسن** فيه يونس بن خباب **صدوق يخطيء** (التقريب، ص686، برقم:7903)، قال الترمذي عنه حسن صحيح، وصححه الألباني، صحيح ابن ماجة، ج2، ص413. وقال شعيب حسن.

(2) أخرجه البخاري، كتاب: الصوم ، باب : من زار قوما فلم يفطر عندهم (ص319 برقم:1982)، قال حدثنا محمد بن المثنـى قـال حدثني خالد هو ابن الحارث حدثنا حميد عن أنس رضي الـلـه عنه به، ومسلم كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل أنـس، (ص1204، برقم: 6455)، والترمذي، كتاب: المناقب، باب: مناقب أنس (ج6، ص151، برقم:3829)، كلاهما من طريـق شـعبة عـن قتادة عن أنس بلفظ:" الـلـهم أكثر ماله".

المبحث الثاني: سنة تكفل اللـه برزق عباده.

تدل النصوص الشرعية على أن الرزق من اللـه وحده وغيره لا يملك رزقا كما تـدل عـلى أن اللــه يـرزق المخلوق مهما كان ضعيفا، صغيرا، يقول عز وجل:﴿ **وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللــه رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ**﴾ [1]ويقول الرسول ﷺ:" **إِنَّ اللـه عَزَّ وَجَلَّ وَكَّلَ بِالرَّحِمِ مَلَكًا يَقُولُ يَا رَبِّ نُطْفَةٌ يَا رَبِّ عَلَقَةٌ يَا رَبِّ مُضْغَةٌ فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَقْضِيَ خَلْقَهُ قَالَ أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى شَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ فَمَا الرِّزْقُ وَالْأَجَلُ فَيُكْتَبُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ**" [2].

اللـه هو خالق الرزق ومعطيه والمسبب له [3]، ومن السنن أن اللــه تكفل برزق عباده مؤمنهم وكافرهم[4].

فاللـه سبحانه هو رازق العباد والمنعم المتفضل عليهم وهو سبحانه من يقسم بينهم الرزق بعدله وحكمته، ويهدي كلٌ وييسره إلى ما يتحصل به على رزقه فمن تَكفُلِ اللـه برزق عباده أنه سبحانه جعل لكل مخلوق أسبابا يتحصل بها رزقه وهداه جل شأنه إلى تلك الأسباب بما يناسبه، وجعل تلك الأسباب في مقدوره وملائمة لخلقته.

ومن سنة اللـه سبحانه في رزق عباده أنه لم يجعل رزقه لهم مرتبطا بصلاحهم أو دليلا عليه، وهذا من عموم سنة الرزق للعباد كلهم يقول جل شأنه:﴿ وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ، وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِؤُونَ، وَزُخْرُفًا وَإِن كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾[5]

ومن سنته سبحانه أنه قد ضمن لعباده الرزق "فهو قد ضمن لمن يتقيه أن يجعل له خرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب، وأما من ليس من المتقين فضمن له ما يناسبه، بأن يمنحه ما يعيش به في لدنيا ثم يعاقبه في الآخرة"[6]

---

(1) هود: من الاية6.

(2) سبق ص 55.

(3) عبد الكريم زيدان، السنن الإلهية، ص265.

(4) محمود الخطيب، مؤتمر كلية الشريعة الخامس، جامعة الزرقاء، السنن الإلهية في الرزق، ص99.

(5) الزخرف: 33-35..

(6) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج8، ص543.

المبحث الثالث: السنة في أسباب الرزق.

سنة اللـه في رزق عباده:" أنه تعالى جعل هـذا الـرزق يـصلهم بأسـباب يباشرونهـا باختيـارهم، وجعلهـا سبحانه موصلة إلى اكتساب الرزق "[(1)].

يقول ابن تيمية:" ... من ظن أن المطالب لا تتوقف على الأسـباب التـي تحـصل مطلوبـه وأن المطالـب لا تتوقف على الأسباب التي جعلها اللـه أسبابا لها فهو غالط فاللـه وإن كان ضمن للعبد رزقه وهو لابـد أن يرزقـه ما عمر فهذا لا يمنع أن يكون هذا الرزق المضمون له أسباب تحصل من فعل العبد ومن غير فعله"[(2)]

فسنة اللـه في رزق عباده أنه جل شأنه جعل لرزقهم أسباب وأمرهم سبحانه باتخاذها وأعطى كـلا مـن المواهب والقدرة على اتخاذ تلك الأسباب، ثم هو سبحانه أخبر أن للرزق أسباب منـع وحـبس ومحـق فمـن أتى أي منها عملت فيه سنة اللـه عز وجل.

وسنن اللـه في الرزق متنوعة متعددة فهناك أسبابا غير مقدورة للبشر، وأخرى مقدورة لهم[(3)]، والأسباب غير المقدورة مثل الشمس والمطر والرياح التي جعلها اللـه أسبابا ليخـرج بهـا للإنـسان خـير الأرض، وهـي لا تقـع ضمن قدرة البشر واللـه سبحانه لم يطالبهم بها بل جعل لها أسبابا أخرى مقدورة لهم تؤثر في تلك الأسباب، وهي غير مقدورة لهم مباشرة، فليس بإمكانهم التأثير عليها تأثيرا مبـاشرا وهـي لـيست تحـت وسـعهم وطاقتـه، لكـنهم يملكون من الأسباب غير المباشرة ما يستجلبون به هذه الأسباب يقـول تبـارك وتعـالى﴿ **وَلَـوْ أَنَّ أَهْـلَ الْقُـرَى آمَنُـواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ** ﴾[(4)] ويقول عـلى لـسان سيدنا نوح عليه السلام ﴿ **فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا** ﴾[(5)]

وهذه الأسباب ليست ضمن السنن النفسية؛ بل هي أسباب كونية غير بشرية تخضع لناموس اللـه الذي جعله لها.

والنوع الآخر من الأسباب الأسباب المقدورة للبشر وهي كل سبب يمكن للبشر أن يقومـوا بـه سـواء كـان سببا ماديا مثل العمل والكسب والسعي، أو معنويا مثل التوكل العبادة أو صلة الأرحام أو الدعاء أو غيرها.

يقول ابن تيمية:" والسعي سعيان؛ سعي فيما نصب للرزق كالصناعة والزراعة والتجـارة، وسـعي بالـدعاء والتوكل والإحسان إلى الخلق ونحو ذلك"[(6)].

---

(1)عبد الكريم زيدان، السنن الإلهية، مرجع سابق، ص266.

(2) أحمد بن تيمية (728هـ)، مجموع فتاوى شيخ الإسلام، ط2: 1398هـ،ج8، ص530.

(3) عبد الرزاق محمد نصار محمد، "قضية الرزق في القران الكريم"، رسالة ماجستير غيرمنشورة، كلية الشريعة، الجامعـة الأردنيـة، عمان،1987، ص 69، بتصرف.

(4) الأعراف: 96.

(5) نوح:11، 12.

(6) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج8، ص540.

يظهر من الأحاديث الواردة في سنة الرزق أن الأسباب التي جعلها الـلـه عز وجل للرزق متعددة، تتعـدد انواعها وتتعدد صور وأشكال النوع الواحد.

فمنها أسباب تتصل بالعمل والسعي وهي الأسباب المادية، ومنها الأسـباب المرتبطـة بالعبـادة، والمرتبطـة بصلة الأرحام، وأخرى تتعلق بالإنفاق والسخاء، ومنها أسباب نفسية.

يظهر مما سبق تعدد أنواع الأسباب الجالبة للرزق؛ وكذلك في كل نوع منها عدد من الصور للنوع الواحد فمثلا العبادات نجد منها العبادات القلبية وعبادات الجوارح، وهكذا باقي الأنواع.

ويمكن ملاحظة صفة الخيرية والحسن في كل الأسباب الجالبة للـرزق، يقـول الرسـول ﷺ:" **إِنَّ الْكَـافِرَ إِذَا عَمِلَ حَسَنَةً أُطْعِمَ بِهَا طُعْمَةً مِنْ الدُّنْيَا وَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَإِنَّ الـلـه يَدَّخِرُ لَهُ حَسَنَاتِهِ فِي الْآخِرَةِ وَيُعْقِبُهُ رِزْقًـا فِي الـدُّنْيَا عَلَى طَاعَتِهِ** "[1]

المطلب الأول: السعي والعمل:

سنة الـلـه في رزق عباده أنه سبحانه جعله يصلهم بأسباب يقومون بها ويباشرونها بأنفـسهم، وقـد جعـل لكـل رزق أسبابه المادية الخاصة به فمن أراد رزقا ما فعليه أن يأتي الأسباب التي يحصل بها عليه.

يقول الرسولﷺ :"**لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَى الـلـه حَقَّ تَوَكُّلِـهِ لَـرُزِقْتُمْ كَـمَا يُـرْزَقُ الطَّـيْرُ تَغْـدُو خِمَاصًـا وَتَرُوحُ بِطَانًا**"[2].

فالطيور تخرج في سبيل تحصيل رزقها، وقد أراد الـلـه أن للإنسان ينتظم مع الطـير في مبـدأ هـذه الـسنة فسن له الرزق بالعمل والسعي لأنه" لابد من التوصل إلى الـرزق بنـوع مـن الـسبب مـع التوكـل" [3] وقـال الإمـام أحمد:" ليس في الحديث ما يدل على ترك الكسب بل فيه ما يدل على طلب الرزق" [4].

فمن أراد أن يرزقه الـلـه الزرع عليه أن يهيئ الأرض ويبذر البذور ويسقيه ويتعهده بالرعايـة والاهـتمام والـلـه يتكفل له بإنباته وإخراجه، وإلا فـإن الأرض لا تنبـت مـا يريـد بغـير أن يـرزع ويتعهـد زرعـه يقـول تبـارك وتعالى:﴿ **أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ۝ أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ**﴾[5] فمن زرع حصد وجنى - مـا لم تتـدخل سـنة إهلاك كان قد أتاها ذلك الزارع - وهذه سنة الـلـه في إنبات زرعه.

ومن أراد المال فعليه بما يأتيه بها من تجارة أو صناعة أو غير ذلك من الحرف، وكذا كل أبواب الرزق مـن أرادها فعليه بأسبابها من السعي والبحث والطلب فمن أراد أن يرزق القوة والـصحة فـلا يـؤذي نفـسه بمـا يـضره

---

(1) سبق ص39.
(2) سبق ص59.
(3) المباركفوري، تحفة الأحوذي، ج2، ص1863.
(4) المرجع السابق الموضع نفسه.
(5) الواقعة: 63- 64.

وليراعي حاجات جسده يقول ﷺ :" **حَسْبُ الْآدَمِيِّ لُقَيْمَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ**" (1) فهو بدون هذه اللقيمات يهلك نفسه.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:" ولو قال قائل أنا لا أكل ولا أشرب فإن كان الله قدر حياتي فهو يحييني بدون الأكل والشرب كان أحمقا، كمن قال أنا لا أطأ امرأتي فإن كان الله قدر لي ولدا تحمل من غير ذكر" (2) وهذا العمل والسعي على قدره يرزق الإنسان فمن كان كسلا متقاعسا رزقه ليس كمن كان نشطا ومن مظاهر النشاط البكور في السعي والتكسب لذا يقول ﷺ:" **اللهمَّ بَارِكْ لِأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا**"(3) فمن بكر وكشف عن ساعد الجد وشمر ليس كمن تكاسل وتأخر.

---

(1) أخرجه الترمذي: كتاب الزهد، باب: ما جاء في كراهية كثرة الأكل (ج4، ص188، برقم:2380) قال حدثنا سويد بن نصر أخبرنا عبد الله بن المبارك أخبرنا إسماعيل بن عياش حدثني أبو سلمة الحمصي وحبيب بن صالح عن يحيى بن جابر الطائي عن مقدام بن معد يكرب، وأخرجه ابن ماجه، كتاب: الأطعمة، باب: الاقتصاد في الأكل وكراهية الشبع (ج5، ص60، برقم :3349) من طريق محمد بن حرب عن أمه عن أمها عن المقدام نحوه، وأخرجه أحمد (ج28، ص422، برقم :17186)، وأخرجه ابن حبان (ج2، ص449، برقم:674) وأخرجه الحاكم (ج4، ص367)، والطبراني في الكبير (ج، ص272، برقم:644) كلهم من طريق يحيى بن جابر نحوه.

الحديث **حسن** رجاله ثقات غير إسماعيل بن عياش **صدوق** في روايته عن أهل بلده مخلط في غيرهم(التقريب، ص657، برقم:7518) وقد سمع من أبي سلمةوهومن أهل بلده، قال الترمذي: حسن صحيح، وصححه الحاكم والألباني، وقال شعيب: إذا صح سماع يحيى عن المقدام فالحديث صحيح وإلا فمنقطع.

(2) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، مرجع سابق، ج8، ص531

(3) أخرجه الطبراني في الأوسط، قال حدثنا أحمد قال نا هشيم قال نا الليث بن سعد عن أبي الزبير عن جابر به، والترمذي، كتاب: البيوع، باب: ما جاء في التبكير بالتجارة، (ج2، ص500، برقم:1212) قال حدثنا يعقوب بن إبراهيم الدورقي حدثنا هشيم حدثنا يعلى بن عطاء عن عمارة بن حديد عن صخر الغامدي، وأبو داود، كتاب: الجهاد، باب: الابتكار في السفر، (ج3، ص258، برقم:2599)، وابن ماجه، كتاب: التجارات، باب: ما يرجى من البركة في البكور، (ج3، ص572، برقم :2236)، وأحمد (ج24، ص463، برقم:15443)، وأخرجه الدارمي، كتاب: السير، باب: بارك لأمتي في بكورها، (ج3، ص1581، برقم:2479)، وأخرجه أبو يعلى (ج1، ص223، برقم:270)، والبزار (ج2، ص277، برقم:696)، وابن حبان (ج11، ص62، برقم:4754) كلهم من طريق هشيم به.

الحديث من طريق الطبراني **صحيح** رجاله ثقات، وأحمد شيخ الطبراني هو ابن مسعود المقدسي قال عنه الذهبي:" المحدِّث الإمام" ينظر: سير أعلام النبلاء، تحقيق أبو سعيد العمروي، دار الفكر- بيروت، ط1: 1997، قال الترمذي: حسن، والألباني: صحيح، وقال شعيب الأرناؤوط:" قوله اللهم بارك لأمتي .. حسن".

المطلب الثاني: العبادة.

فالعبادة من الأسباب التي يفتح الـلـه بها أبواب رزقه لعباده، وكون العبادة سبب للرزق وزيادته مبدأ تقرره آيات القرآن الكريم وأحاديث النبي صلى الـلـه عليه وسلم؛ يقول تبارك وتعالى:﴿ **وَمَن يَتَّقِ الـلـه يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ**﴾ [1] ويقول الرسول ﷺ:" **إِنَّ الـلـه تَعَالَى يَقُولُ يَا ابْنَ آدَمَ تَفَرَّغْ لِعِبَادَتِي أَمْلَأْ صَدْرَكَ غِنًى وَأَسُدَّ فَقْرَكَ وَإِلَّا تَفْعَلْ مَلَأْتُ يَدَيْكَ شُغْلًا وَلَمْ أَسُدَّ فَقْرَكَ** "[2]، يقول ﷺ:" **مَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا هَمَّهُ فَرَّقَ الـلـه عَلَيْهِ أَمْرَهُ وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَلَمْ يَأْتِهِ مِنْ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ وَمَنْ كَانَتْ الْآخِرَةُ نِيَّتَهُ جَمَعَ الـلـه لَهُ أَمْرَهُ وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ** "[3]

ومن جعل الآخرة همه تفرغ لها، وتفرغ لعبادة الـلـه، وحقق العبادة بمفهومها الذي أراده الـلـه فجعل حياته كلها لـلـه، عندما يعمر الأرض وحين يكون في الصلاة هو في عبادة، فأصلح أمر دنياه وهو عابد لربه، فيجمع بين السعي والعمل المادي وبين العبادة، ويقول ابن أبي جمرة:" لا تحصل الدنيا إلا بالآخرة" [4], غير أن حصر حصول الدنيا بالآخرة فيه شيء من التضييق وذلك لأن الكافر الذي لا شيء له في الآخرة يحصل له ولو شيئا من الدنيا- كالمال أو الصحة أو الأولاد- لكن بإمكاننا أن نقول الآخرة سبب في حصول الدنيا بل من أنجع الأسباب وأكثرها نفعا وأن عمل الآخر يحصل به خيري الدنيا والآخرة "[5].

هذه الأحاديث والآيات تقرر أن الـلـه سبحانه يرزق عبادة بعبادتهم له وإنابتهم له سبحانه، وأن من أراد أن يزيد الـلـه له في رزقه فليتوجه له سبحانه بالعبادة والتوبة .

---

(1) الطلاق: من الآية 2- 3 .

(2) أخرجه الحاكم (ج4، ص326) قال حدثنا يحيى بن محمد بن يحيى حدثنا حفص بن عمر الحوضي ثنا سلام بن أبي مطيع ثنا معاوية بن قرّة عن معقل بن يسار رضي الـلـه عنه به، والطبراني في الكبير (ج20، ص216، برقم:500) عن معاوية بن قرة عن معقل بن يسار نحوه، و للحديث شاهد عن أبي هريرة رضي الـلـه عنه أخرجها الترمذي، كتاب: صفة القيامة، بابٌ (ج4، ص252، برقم:2466)، وابن ماجه، كتاب الزهد، باب: الهم بالدنيا، (ج5، ص556، برقم:4107)، أحمد (ج14، ص321، برقم:8696)، وابن حبان، (ج2، ص119، برقم:393)، كلهم من طريق عمران نحوه.

والحديث إسناده **صحيح** رجاله ثقات، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وقال الألباني: صحيح، صحيح ابن ماجة، (ج2، ض393، برقم:3315).

(3) أخرجه ابن ماجه، كتاب: الزهد، باب: الهم بالدنيا (ج5، ص554، برقم:4105) قال حدثنا محمد بن بشار حدثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن عمرو بن سليمان قال سمعت عبد الرحمن بن أبان بن عثمان بن عفان عن أبيه عن زيد ثابت، أخرجه الترمذي، كتاب: صفة القيامة، بابٌ، (ج4، ص252، برقم:2465) قال حدثنا هناد حدثنا وكيع عن الربيع بن صبيح عن يزيد بن أبان وهو الرقاشي عن أنس، أحمد (ج35، ص467، برقم:21590)، من طريق عن عبد الرحمن بن أبان عن أبيه عن زيد بن ثابت وفيه زيادة.

الحديث **صحيح** رجاله ثقات، صححه البوصيري (مصباح الزجاجة، ج4، ص424) والألباني السلسلة الصحيحة، (ج2، ص671، رقم: 950) وشعيب الأرناؤوط.

(4) عبد الـلـه بن أبي جمرة الأندلسي، بهجة النفوس ،دار العلم للملايين – بيروت، ط1: 1997، ج1، ص649.

(5) ابن حجر، فتح الباري، ج 1، ص1145.

وبعدما قررت أصل السنة ودللت عليها من الكتاب والسنة أنتقل إلى التفصيل فيها كما جـاء في الحـديث وذلك ضمن الفروع التالية :

الفرع الأول: عبادات القلوب:

أولا: التوكل:

يقول الرسول ﷺ:" **لو أنكم تتوكلون على الـلـه حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصـا وتـروح بطانا** "[(1)]

" وهذا الحديث أصل في التوكل وأنه من أعظم الأسباب التي يستجلب بها الرزق" [(2)]، وقـال ابـن القـيم:" التوكل من أقوى الأسباب في حصول المراد ودفع المكروه بل أقوى الأسباب "[(3)]، فمـن أراد أن يرزقـه الـلـه سـبحانه فلا يتكل على شيء سوى الـلـه لأن:" الكسب والعمل ليس برازق لكن الـلـه سبحانه المالك الرازق"[(4)] ولا يتكل عـلى أحد أو يركن إليه في الرزق سوى الـلـه ليحقق حق التوكل فقد شرحه السندي بقوله:" أن لا يخطر بالبـال مداخلـة لغيره في الرزق أصلا والعمل بمقتضاه " [(5)].

ثانيا: الشكر:

ومن العبادات التي جعلها الـلـه سبحانه سببا للرزق ومدعاة لحصول الزيادة والبركة فيـه عبـادة الـشكر قال سبحانه:﴿ **وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ**﴾[(6)] وصـاغ القنـوجي مـن الآيـة القاعدة:" الشكر سبب المزيد"[(7)].

وفي "**قصة أعمى وأقرع وأبرص في بني إسرائيل**"[(8)]، بين رسول الـلـه صلى الـلـه عليه وسـلم هـذا الـسبب القوي للحفاظ على الرزق وزيادته فمن كفر نعمة الـلـه منهم محق الـلـه رزقه، ومن شكره وعرف فضله بورك لـه وزاده الـلـه من فضله وروي عن جعفر بن محمد:" لا نفاد للنعم إذا شكرت ولا بقاء لها إذا كفـرت والكفـر زيـادة

(1) سبق تخريجه: ص57.
(2) نقله: ابن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم، دار عمر بن الخطاب- الإسكندرية، (د.ت) (د.ط)، ص380.
(3) ابن القيم، الفوائد، ص110.
(4) محمد عبد الرؤوف المناوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير، اعتناء: أحمد عبد السلام، دار الكتـب العلمية- بيروت، ط1: 1994، ج5، ص396.
(5) السندي ،شرح ابن ماجه، ج4 ،ص452.
(6) إبراهيم :7.
(7) صديق بن حسن القنوجي(1307هـ)، فتح البيان في مقاصد القران، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1: 1999، ص528.
(8) البخاري، كتاب: حديث النبياء، باب: حديث أبرص وأقرع وأعمى بني إسرائيل، (ص ، برقم:)، قال حدثني أحمد بـن إسـحاق حدثنا عمرو بن عاصم حدثنا همام حدثنا إسحاق بن عبد الـلـه قال حدثني عبد الرحمن بن أبي عمرة أن أبا هريـرة رضي الـلــه عنه، مسلم، كتاب: الزهد والرقائق، بابٌ، (ص ، برقم:).

في النعم وأمان من الغير"[1]، "والـلـه سبحانه يعيد منفعة الشكر ويجعله سببا لتـوالي نعمـه وإيـصالها إلى الإنـسان والزيادة على ذلك منها "[2].

ثالثا: الدعاء واللجوء إلى الـلـه:

قال ﷺ :" **هَلْ تُنْـصَرُونَ وَتُرْزَقُـونَ إِلَّا بِـضُعَفَائِكُمْ** "[3]، وسـبب ذلـك يظهـر في روايـة النـسائي" **بِـدَعْوَتِهِمْ وَصَلَاتِهِمْ وَإِخْلَاصِهِمْ** "[4]، يقول ابن حجر :" فإن الضعيف يترجح بفضل دعائه وإخلاصه "[5]

الفرع الثاني: عبادات الأبدان :

أولا: الحج والعمرة:

لم ترتبط سنة الـلـه في رزق عباده بعبادات القلوب فقط بل شاء الــلــه سـبحانه أن يجعـل مـن عبـادات الأبدان ما هو سبب للرزق فجعل لمن تابع بين الحج والعمرة إبعاد الفقر عنه قال الرسـول ﷺ:" **تَـابِعُوا بَـيْنَ الْحَـجِّ وَالْعُمْرَةِ فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَالذُّنُوبَ كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ وَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ** "[6].

ثانيا: الجهاد:

المقصد الأول من الجهاد تبليغ كلمة الحق لمن قامت الحواجز دون السماح لهـم بـسماع الحـق، ولنـصرة كلمة الحق إذا ما وقف أمامها أهل الباطل وعملوا محاولين النيـل منهـا ودحـضها، والجهـاد في الوقـت ذاتـه يـأجر الـلـه سبحانه به المجاهد الذي ضحى بنفسه وجعلها على خطر فأباح الـلـه عز وجـل الغنـائم جـاعلا مـن الجهـاد سببا للرزق وإن كان هو غير مقصودا لذاته،"لأن ما حصل بسبب الحرص على نصرة دين الـلـه ونيل درجة الشهادة لا شيء أطيب منه "[7]

(1) محمد بن جعفر السامري الخرئطي، فضيلة الشكر لـلـه على نعمه، دار الفكر- دمشق، ط1: 1982.
(2) ابن القيم، مدارج السالكين، ج2، ص285.
(3) البخاري، الجهاد والسير، باب: من استعان بالضعفة والصالحين في الحرب، (ص478، برقم:2896) قال حـدثنا سـليان بـن حـرب حدثنا محمد بن طلحة عن مصعب بـن سـعد، والنـسائي ، كتـاب: الجهـاد، بـاب: الإستنـصار بالـضعيف (ص518، بـرقم :3175)، وللحديث شاهد عند أبي داوود، كتاب: الجهاد، باب: الإنتصار برذل الخيل والضعفة، (ج3، ص254، بـرقم:2587) عـن أبي الـدرداء رضي الـلـه عنه.
(4) الموضع السابق.
(5) ابن حجر، فتح الباري، ج2، ص1420.
(6) الترمذي، كتاب: الحج، باب: ثواب الحج والعمرة (ج2، ص164، برقم:810) قال حدثنا قتيبة وأبو سعيد قالا حدثنا خالد الأحمر عن عمرو بن قيس عن عاصم عن شقيق عن عبد الـلـه بن مسعود، والنسائي، كتاب: مناسك الحج، باب: فضل المتابعة بين الحج والعمرة قال أخبرنا أبو داوود قال: حدثنا أبو عتّاب قال: حدثنا عزْرة بن ثابت عن عمرو بن دينـار قـال : قـال ابـن عبـاس بـه، (ص433، برقم:2627)، وابن حبان، (ج9، ص6، برقم:3693)، والبـزار (ج5، ص134، بـرقم:1722)، وأخرجـه أحمـد (ج24، ص463، برقم:15697)، كلهم من طريق شقيق نحوه، وابن ماجه، كتاب: المناسك، باب: فضل الحج والعمـرة، (ج4، ص395، بـرقم:2887) والطبراني في الكبير (ج5، ص352، برقم:5529)، من طريق عبد الـلـه بن عامر عن أبيه عن عمر نحوه.
الحديث **حسن** رجاله ثقات غير أبو عتاب وهو سهل بن حماد **صدوق** (التقريب، ص259، برقم:2654)، قال الترمذي: حسن غريب صحيح من حديث ابن مسعود، الألباني: حسن صحيح "، صحيح الترمذي، (ج1، ص244، برقم:650)، وقال شعيب: صحيح لغيره.
(7) المناوي، فيض القدير، ج1، ص699.

ويقول الرسول ﷺ:" **الْبَرَكَةُ فِي نَوَاصِي الْخَيْلِ**"[1]، قال الخطابي:" وفيه إشارة إلى أن المال الذي يكتسب باتخاذ الخيل من خير وجوه الأموال وأطيبها والعرب تسمي المال خيرا ".[2].

المطلب الثالث: في علاقة الإنسان بغيره:

الفرع الأول: إسداء الحقوق لأصحابها:

من أسباب حصول البركة حفظ حقوق الناس، والسعي والعمل لأدائها والأخذ بأسباب أدائها من عمل وعبادة وتوكل وغيرها من أسباب الرزق.

يقول الرسول ﷺ:" **الْبَيِّعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا أَوْ قَالَ حَتَّى يَتَفَرَّقَا فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا وَإِنْ كَتَمَا وَكَذَبَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا**"[3] "في الحديث حصول البركة لهما إن حصل منهما الشرط وهو الصدق والتبيين "[4]، لأن الصدق والتبيين من شأنهما حفظ حق الآخرين بإظهار العيوب فلا يغبن المشتري أو البائع. ويقول الرسول اللـه ﷺ :" **كِيلُوا طَعَامَكُمْ يُبَارَكْ لَكُمْ** "[5].

وفي سبب كون الكيل علة للبركة يقول المظهري" لأن في كيل الطعام معرفة مقدار ما يبيع الرجل ويشتري لئلا يكون مجهولا "[6] والجهالة من أسباب الغبن وعدم إيفاء أصحاب الحق حقهم.

ومن أهم حقوق الناس التي يجب حفظها وأداؤها الدين، قال رسول اللـه ﷺ:" **مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا أَدَّى اللـه عَنْهُ وَمَنْ أَخَذَ يُرِيدُ إِتْلَافَهَا أَتْلَفَهُ اللـه** "[7] من العلماء من شرط القدرة على أداء الدين لأنه إذا لم يكن قادرا عليه فهو لم ينو أداءه لمعرفته عدم قدرته لكن ابن حجر يرد عليهم بقوله:" وفيه نظر لأنه إذا نوى الوفاء مما سيفتحه اللـه عليه فقد نطق الحديث بأن اللـه يؤدي عنه إما بأن يفتح عليه في الدنيا وإما بأن

---

(1) البخاري، كتاب: الجهاد والسير، باب: الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، قال حدثنا مصدق وحدثنا يحيى ابن أبي سعيد عن شعبة عن أبي التياح عن أنس بن مالك رضي اللـه عنه (ص427، برقم:2851)، ومسلم، كتاب: الإمارة، باب: الخيل في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، (ص930، برقم:4887)، والنسائي، كتاب: الخيل، باب: بركة الخيل، (ص585، برقم:3570)، أحمد، (ج19، ص203، برقم:12290)، كلهم من طريق شعبة.

(2) محمد بن عبد الباقي الزرقاني(1122هـ)، شرح الزرقاني على موطأ مالك، إحياء التراث العربي- بيروت، ط1: 1997، ج3، ص67.

(3) أخرجه البخاري، كتاب: البيوع، باب: إذا بين البيعان، (ص333، برقم:2079)، قال حدثنا سليمان بن حرب حدثنا شعبة عن قتادة عن صالح عن عبد الرحمن بن الحارث رفعه إلى حكيم بن حزام، ومسلم، كتاب: البيع، باب: الصدق في البيع والبيان (ص732، برقم:3853) والترمذي، كتاب: البيوع، باب: ما جاء في البيعين بالخيار، (ج2، ص527، برقم:1246)، وأخرجه النسائي، كتاب: البيوع، باب: ما يجب على التجار من التوقية في مبايعتهم (ص723، برقم:4464)، وأبو داوود، كتاب: البيوع، باب: في خيار المتبايعين، (ج4، ص167، برقم:3453)، والدارمي، كتاب: البيوع، باب: البيعان بالخيار، (ج3، ص1660، برقم:2589)، وأحمد، (ج24، ص30، برقم:15314) كلهم من طريق شعبة به .

(4) ابن حجر، فتح الباري، ج1، ص1136.

(5) أخرجه البخاري، كتاب: البيوع، باب: ما يستحب من الكيل، (ص342، برقم:2128) قال حدثنا: إبراهيم بن موسى ثنا الوليد عن ثور عن خالد بن معدان عن المقدام بن معد يكرب، وابن ماجة، كتاب: التجارات، باب: ما يرجى في كيل الطعام من البركة (ج3، ص569، برقم:2232)، أحمد (ج28، ص415، برقم:17177)، كلهم من طريق خالد نحوه.

(6) نقله السندي، شرح سنن ابن ماجة، ج3، ص51.

(7) سبق ص31.

يتكفل عنه في الآخرة "[1]، أي أن نية الأداء الصحيحة التي تدفع المدين بالسعي نحو أداء الدين بالأخذ بأسباب الأداء، هذه النية كفيلة بأن يعين الله عز وجل بها المدين فيوفي دينه.

من تلك الأحاديث السابقة أن نخلص إلى أن حفظ حقوق الناس والحرص على أداءها لهم سبب في حصول البركة وزيادة الرزق.

الفرع الثاني: في حسن الصلة بالناس:

الله عز وجل للناس أنه سبحانه يجازي فاعل الخير بالخير وفاعل الشر بالشر، ومن الخير الذي يجازي به الله سبحانه فاعل الخير، توسعة رزقه عليه في الدنيا، وقد سبق حديث رسول الله ﷺ :" **إِنَّ الْكَافِرَ إِذَا عَمِلَ حَسَنَةً أُطْعِمَ بِهَا طُعْمَةً مِنْ الدُّنْيَا وَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَإِنَّ اللـه يَدَّخِرُ لَهُ حَسَنَاتِهِ فِي الْآخِرَةِ وَيُعْقِبُهُ رِزْقًا فِي الدُّنْيَا عَلَى طَاعَتِهِ** "[2] وإسداء الخير للناس من أعظم أفعل الخير، وهذا الحديث عام في كل حسنة، أي أنه عام في كل يخير يفعله الإنسان لغيره حيث أنه يدخل ضمن عموم الحسنة، غير أنه جاء في الحديث ما يخصص بعض أفعال الخير ومنها:

أولا: صلة الرحم:

حث الإسلام على صلة الرحم ودعا لها، بأساليب عدة من ذلك أنه جعل قطع الرحم صفة للكافرين قال تبارك وتعالى:﴿ **فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ**﴾[3] ومن تلك الأساليب التي حث فيها الإسلام على صلة الأرحام أن كشف لنا الرسول صلى الله عليه وسلم عن سنة من سنن الله في رزق عباده وهي أنه سبحانه جعل جزاء صلة الأرحام البركة في الرزق يقول الرسول ﷺ:" **مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ أَوْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ** "[4] الحديث صريح في أن صلة الرحم- بإطلاقها- سبب في الرزق وأن واصل الرحم لابد وأن يجزيه الله في الدنيا بزيادة الرزق، فمن أراد أن يغير الله حاله في رزقه فليتذكر صلة الرحم.

وتكون الصلة" بالمال وبالعون على الحاجة وبدفع الضر وبالدعاء... والمعنى الجامع إيصال ما أمكن من الخير و دفع ما أمكن من الشر"[5]، وكما سبق كلما نوع الواصل في وصله رحمه وكلما زاد في صلته رحمه كلما زاد رزقه.

ثانيا: إنظار المعسر:

قال رسول الله ﷺ:" وَمَنْ **يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللـه عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ** "[6] لأن الله سبحانه يجزي العبد من جنس عمله، بدل تيسيره على عبد مجازاة بجنسه [1].

---

(1) ابن حجر، فتح الباري، ج1، ص1235.
(2) سبق تخريجه، ص39.
(3) محمد :22.
(4) سبق ص45.
(5) مرجع سابق ، فتح الباري، ج3، ص2638.
(6) سبق ص29..

المطلب الرابع: الإنفاق:

ورد في الحديث القدسي عن الرسول ﷺ:" **قَالَ اللـه أَنْفِقْ يَا ابْنَ آدَمَ أُنْفِقْ عَلَيْكَ**"[2] قاعدة سنها اللـه لنا أن الإنفاق مجلبة للرزق وهذه قاعدة عامة في وجوه الإنفاق فمن أنفق وسخا فيما آتاه اللـه زاد اللـه له وبارك يقول اللـه سبحانه وتعالى:﴿ **قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاء وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**﴾[3].

يقول الرسول ﷺ:" **مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا اللـهمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا وَيَقُولُ الْآخَرُ اللـهمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا** "[4] والخلف يكون بالرزق كله المادي والمعنوي وبالأجر والثواب يقول ابن حجر:" واما الخلف فإبهامه أولى ليتناول المال والثواب وغيرهما "[5]

وقد مثل الرسول صلى اللـه عليه وسلم حال المنفق والبخيل، مبينا الزيادة الحاصلة في مال النفق والتقتير الحاصل على البخيل في الحديث:" **ضَرَبَ رَسُولُ اللـه ﷺ مَثَلَ الْبَخِيلِ وَالْمُتَصَدِّقِ كَمَثَلِ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا جُبَّتَانِ مِنْ حَدِيدٍ قَدْ اضْطُرَّتْ أَيْدِيهِمَا إِلَى ثُدِيِّهِمَا وَتَرَاقِيهِمَا**[6] **فَجَعَلَ الْمُتَصَدِّقُ كُلَّمَا تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ انْبَسَطَتْ عَنْهُ حَتَّى تَغْشَى أَنَامِلَهُ وَتَعْفُوَ أَثَرَهُ وَجَعَلَ الْبَخِيلُ كُلَّمَا هَمَّ بِصَدَقَةٍ قَلَصَتْ**[7] **وَأَخَذَتْ كُلُّ حَلْقَةٍ مِكَانِهَا قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ فَأَنَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللـه صَلَّى اللـه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ بِإِصْبَعِهِ هَكَذَا فِي جَيْبِهِ فَلَوْ رَأَيْتَهُ يُوَسِّعُهَا وَلَا تَتَوَسَّعُ** "[8]

الإنفاق الذي يبارك اللـه فيه للإنسان ويكون سببا في جلب الرزق هو الإنفاق في وجوه الخير وفي ما ينفع ويفيد، مثل الإنفاق على الأهل، وفي الصلات الاجتماعية مثل الأرحام والضيوف والإنفاق في الصدقات، يقول النووي:" قال العلماء هذا في الإنفاق في الطاعات ومكارم الأخلاق، وعلى العيال والضيفان ونحو ذلك بحيث لا يذم ولا يسمى سرفا"[9]، إذ أن الإنفاق في معصية اللـه أو في وجوه الشر سبب لتدخل سنة المحق.

---

(1) المباركفوري، تحفة الأحوذي ، ج2.

(2) البخاري، كتاب: النفقات، باب: فضل النفقة على الأهل، (ص955، برقم :5352)، قال حدثنا إسماعيل قال حدثني مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة، ومسلم، كتاب: الزكاة، باب: الحث على النفقة وتبشير المنفق بالخلف، (ص444، برقم :2271)، وابن ماجه، كتاب: الكفارات، باب: النهي عن النذر، (ج3، ص497، برقم: 2123)، كلهم من طريق أبي الزناد عن الأعرج، نحوه.

(3) سبأ: 39.

(4) البخاري، كتاب: الزكاة، باب: فأما من أعطى واتقى..، (ص ، برقم:)، قال حدثنا إسماعيل قال حدثني أخي عن سليمان عن معاوية بن أبي مزرد عن أبي الحباب عن أبي هريرة مسلم، كتاب: الزكاة، باب: في المنفق والممسك، (ص ، برقم:)، من طريق معاوية بن ابي مزرد عن سعيد بن يسار أبي هريرة رضي اللـه عنه به.

(5) ابن حجر، فتح الباري، ج3، ص2638.

(6) تراقيهما: تثنية ترقوة وهي العظم الناتيء بين ثغرة النحر والعاتق، ابن الأثير، النهاية، ج1، ص188.

(7) قلصت: اجتمعت وانقبضت، ابن الأثير، النهاية، ج2، ص484..

(8) البخاري، كتاب: اللباس، باب: جيب القميص من عند الصدر، (ص1023، برقم:5797)، قال حدثنا عبد اللـه بن محمد حدثنا أبو عامر حدثنا إبراهيم بن نافع عن الحسن عن طاووس عن أبي هريرة، ومسلم، كتاب: الزكاة، باب: مثل النفق والبخيل (ص454، برقم:2322)، والنسائي، كتاب: الزكاة، باب: صدقة البخيل (ص418، برقم:2544)، أحمد (ج16، ص449، برقم:10770)، كلهم من طريق أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة نحوه.

(9) النووي، المنهاج، ص780.

المطلب الخامس: الزهد والتعفف:

قال رسول اللـه ﷺ :" **يَا حَكِيمُ**[1] **إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ فَمَنْ أَخَذَهُ بِطِيبِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ وَكَانَ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنْ الْيَدِ السُّفْلَى**"[2].

ورد الحديث بلفظي" سخاوة نفس" و" طيب نفس" وقال العلـماء فيهـا يحتمـل أن المقـصود بهـذا الوصـف اثنان:

الأول: آخذ المال والباحث عنه الساعي لجلبه وهذا يكون في حقه معنى "سخاوة الـنفس " أو"طيبهـا" أي بغير شره ولا إلحاح ولا تطلع أو طمع"[3] وبغير سؤال[4] أي أن الساعي لكسب المال يـسعى بـسكون وتـؤدة، وهـو واثق برزق اللـه غير طامع ولا متطلع لما في أيدي الناس ولما عندهم، راض بما قسمه اللـه له؛ هذه الأخـلاق التـي يكون الإنسان عليها سبب في حصول البركة. من أخذه ولا إشراف

الثاني: المعطي فإذا أعطى الإنسان غيره بما تطب بـه نفـسه، وكـان يـدفع منـشرحا بدفعـه[5] بـارك اللــه للآخذ، بينما إذا أخذه بغير ذلك من استحياء أو استجداء فلا "[6] ويرجح المباركفوري [7] التفسير الأول.

وفي كلا المعنيين البركة تتعلق بالآخذ لا المعطي، إضافة إلى أن التعفف الآخذ سبب في حصول البركـة عـلى كـلا المعنيين، فإنه على المعنى الثاني لولا كثرة إلحاحه وتطلعه لما

أخذ المال دون سخاوة من المعطي فإما أن لا يأخذه ويعوضه اللـه وإما أن يأخذه بطيب نفس فيبارك له.

المحصلة أن تعفف نفس الآخذ وزهده عما في أيدي الناس سبب في حصول البركة له، يقول رسول اللــه ﷺ :" **وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللـه وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللـه وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللـه وَمَا أُعْطِيَ أَحَـدٌ عَطَـاءً خَـيْرًا وَأَوْسَـعَ مِنْ الصَّبْرِ** "[8] لذلك كان الهدي والأمر النبوي بـالإجمال في الطلـب إذ " أن الإجـمال في الطلـب مقـرون بالبركـة "[9] والإجمال: طلب الرزق طلبا جميلا بإحسان السعي بلا كد وتعب وتكالب وإشفاق[10].

اطلبوا بأن ترفقوا أي تحسنوا في نصيبكم منها يقول ابن أبي جمـرة الأخـذ بـسخاوة نفـس يحـصل أجـر الزهـد والبركة في الرزق فتبين أن الزهد يحصل خيري الدنيا والآخرة "[11].

---

(1) هو الصحابي راوي الحديث حكيم بن حزام.

(2) البخاري، كتاب: الرقائق، باب: قول النبي المال حلوة خضرة، (ص1117، برقم:6441) قال حدثنا علي بن عبد اللـه حدثنا سفيان قال سمعت الزهري يقول أخبرني عروة وسعيد بن المسيب عن حكيم بن حزام, ومسلم: كتاب: الزكاة، باب: بيان أن اليـد العليـا خير من السفلى (ص460، برقم:2351)، الترمذي، كتاب: صفة القيامة، بابٌ (ج4، ص250، بـرقم:2463)، والنـسائي، كتـاب: الزكـاة، باب: اليد العليا (ص416، برقم:2528) كلهم من طريق الزهري نحوه.

(3) ابن حجر، فتح الباري، ج1، ص891.

(4) النووي، المنهاج، ص605.

(5) الموضع السابق.

(6) ابن حجر، فتح الباري، ج1، ص891.

(7) المباركفوري، تحفة الأحوذي، ج2، ص1925.

(8) سبق تخريجه: ص30.

(9) ابن حجر، فتح الباري، ج1 ، ص891.

(10) المناوي، فيض القدير، ج1، ص210.

(11) ينظر: ابن أبي جمرة بهجة النفوس ، ج1 ، ص547.

المبحث الثالث: سنن محق الرزق.

كما جعل اللـه سبحانه وتعالى لحصول الرزق سننا يتوصل بها إليه ، فإنه سبحانه جعل لـه كـذلك سـننا من أتاها وسعى فيه أصاب رزقه الهلاك يقول محمد رشيد رضا:" ما أصابهم من الفقر والعوز إنما كان بالجري على سنن اللـه في الفقر وللفقر أسباب كثيرة منا الضعف والعجـز عـن الكـسب ومنهـا إخفـاق الـسعي ومنهـا البطالـة والكسل ومنها الجهل بالطرق الموصلة ومنها ما تسوقه الأقدار"[(1)].

والناظر في أسباب محـق الـرزق يلاحـظ رابطـا بينهـا يجمعهـا ، وهـو الانـضواء تحـت مـسمى المعـاصي- واتصافها بالشر- بأنواعها، المعاصي بالتقصير في حق اللـه، والمعاصي بالتقصير في حقوق الناس، وحتى تلـك المعـاصي التي تتعلق بالقلوب وضمائر النفوس، فهذه المعاصي بأنواعها أسبابا لمحق الرزق يقـول ابـن حجـر في ذلـك:" شـؤم المعاصي يذهب بخيري الدنيا والآخرة"[(2)].

إضافة إلى أن أسباب المحق تلك تعمل في كل أنواع الرزق يقول ابن قيم الجوزية:" المعاصي تمحـق البركـة من العمر والرزق والعلم والعمل والطاعة "[(3)].

المطلب الأول: معنى محق الرزق:

يقول ابن فارس:" الميم والحاء والقاف كلمات كلها تدل على النقص"[(4)] وتأتي كلمة المحق في اللغة:"بمعنـى النقص، وذهاب البركة, وذهاب الشيء كله حتى لا يرى له أثر"[(5)]

وتأتي بمعنى الإبطال والمحي[(6)] وبذلك يكون محق الرزق نقصانه أو ذهابه كله أو ذهاب بركته.

أما عن معنى محق الرزق أو محق بركته عند شراح الحديث فيدور حول:

- النقصان المادي:

بنوعيه النقصان لما كان موجودا بهلاكه، أو النقصان في نمائه عما كان عليه سابقا. يقول ابن حجر:" محـق البركة يفضي إلى اضمحلال العدد في الدنيا وذهاب الأجر في الآخرة"[(7)] وعرفه العيني بأنه:" النقصان وذهـاب البركـة وهي ذهاب المال كله حتى لا يرى منه أثر"[(8)].

وفي قصة صاحب الجنتين دليل على أن المحق قد يكون محقاً مادياً بقـول اللـــه تعـالى:﴿**وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا** ﴾[(1)]، وفي قوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَونَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّن الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ**﴾[(2)].

---

(1) محمد رشيد رضا، المنار، ج2، ص 374.
(2) ابن حجر، فتح الباري، ج1، ص1145.
(3) ابن قيم الجوزية، الداء والدواء، ص 104.
(4) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج5، ص301.
(5) أحمد بن محمد الفيومي(770هـ)، المصباح المنير، المكتبة العلميةت بيروت،(د.ط) (د.ت) ص565.
(6) أحمد الزاوي، ترتيب القاموس المحيط ، دار الكتب العلمية- بيروت، (د.ط) (د.ت)، ج4، ص210.
(7) ابن حجر، فتح الباري، ج1، ص1139.
(8) العظيم أبادي، عون المعبود، ج11 ، ص291.

- النقصان المعنوي:

وهؤلا يرفضون النقصان المادي في المحق مثل ابن حبان فالمحق عنده:" تكدير صفاء الرزق"(3) ويعارض أن يكون نقصانا ماديا، كذلك السندي الذي يرى:" أن ما كتب للعبد يأتيه لا محالة إلا أن طالب الآخرة يأتيه بلا تعب ، ومن طلب الدنيا يأتيه بتعب وشدة... وأي فائدة في المال إذا فاتت الراحة."[(4)] أي أن المحق في نفعه على صاحبه.

ومما حدا بابن حبان وغيره من العلماء القول بأن النقص إنما هو نقص معنوي، أنه لا يمكن أن يكون النقص فيما قدر له، لكن النقص في الرزق حتى المادي منه لا يعني مخالفة ومعارضة ما سبق في القدر، لكن قد يعنني نقصان لما كان عليه حاله، أو أنه نقصان بسبب إتيانه سنن المحق وكله مما قُدِّر.

وكلا المعنيين للمحق مقبول وذلك لأن الرزق- كما سبق وأن تقرر- يشمل الماديات والمعنويات وكلاهما يدخل عليهما النقص.

المطلب الثاني: التقصير في حق اللـه .

التقصير في حق اللـه عز وجل، تقصير في أهم ما على الإنسان من واجبات، وقد جعل اللـه سبحانه ترك عبادته سبب لمحق الرزق، ومن مظاهر التقصير في عبادة اللـه أن تكون الآخرة هم الإنسان أما ذلك الذي كانت الدنيا همه فهو منشغل عن عبادة اللـه بها يقول ﷺ:" **مَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا هَمَّهُ فَرَّقَ اللـه عَلَيْهِ أَمْرَهُ وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَلَمْ يَأْتِهِ مِنْ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ وَمَنْ كَانَتْ الْآخِرَةُ نِيَّتَهُ جَمَعَ اللـه لَهُ أَمْرَهُ وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ**"[(5)]

"وطالب الدنيا قد خسر الدنيا والآخرة لأنه في الدنيا في تعب شديد في طلبها وأي فائدة للمال إذا فاتت الراحة."[(6)]

وقد جاء في الحديث النبوي الشريف نوعين من العبادات من قصر فيها عوقب بمحق الرزق وهما:

الفرع الأول: كفر النعم:

شكر النعم سبب في زيادتها، وكفرها وجحدها سبب في ذهابها ومحقها، فمن جحد نعمة اللـه عليه أو نسبها لنفسه فبشراه بفقر ومحق عاجل وفي قصة صاحب الجنتين خير دليل حيث أنه لما كفر نعمة اللـه عليه وجحدها أحيط بثمره.

---

(1) الكهف: 42.
(2) الأعراف:130.
(3) ابن حبان، ج3، ص159.
(4) السندي، شرح ابن ماجة ،ج4 ، ص425.
(5) سبق تخريجه: ص107 .
(6) السندي، شرح ابن ماجة، ج4، ص 425.

وفي حديث رسول الـلـه ﷺ في قصة **الأعمى والأبـرص والأقـرع**[1] لما كفـر الأبـرص والأقـرع نعمـة الـلــه عليهما وقال كل منهما عن ماله:" **ورثته كابرا عن كابر**" سخط الـلـه عليه وصيره الـلـه إلى ما كان عليـه حالـه مـن مرض وفقر.

الفرع الثاني: اللجوء لغير الـلـه:

فمن لجأ إلى الخلق زاد فقره ولم تفك ضيقته " لأن الخلق فقراء فيزيد فقـرا عـلى فقـره"[2] و"مـن عـرض حاجته على الناس بطريق الشكاية وطلب إزالتها منهم لم تقض حاجته ولم تزل

فاقته بل كلما تسد حاجة أصابته أخرى أشد منها"[3].

ويعرض الرسول ﷺ هذا في قوله:" **ثَلَاثَةٌ أُقْسِمُ عَلَيْهِنَّ وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ قَالَ مَا نَقَصَ مَـالُ عَبْـدٍ مِنْ صَدَقَةٍ وَلَا ظُلِمَ عَبْدٌ مَظْلَمَةً فَصَبَرَ عَلَيْهَا إِلَّا زَادَهُ الـلـه عِزًّا وَلَا فَتَحَ عَبْدٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ إِلَّا فَتَحَ الـلــه عَلَيْـهِ بَـابَ فَقْرٍ** "[4] فمن رضي بأن يذل نفسه لغير خالقه، ويسأله، يفتح عليه من أبواب الفقر ما لم يحتسب يقول المباركفوري " يفتح عليه باب احتياج آخر وهلم جرا أو يكون سلب منه ما عنده من النعمة فيقع في نهاية من النقمة."[5]

المطلب الثالث: أكل حقوق الناس:

الظلم من أعظم الذنوب، والظالم هلاكه وعقوبته في الدنيا قبل الآخرة يقول الرسول ﷺ:" **إِنَّ الـلـه لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ قَالَ ثُمَّ قَرَأَ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ** "[6]، ومن أعظم الظلم أكل حقوق الناس وإهدار أموالهم لذلك، أي أن من ظلم النـاس بأكـل حقـوقهم فقـد عـرض مـا عنده من رزق لـلـهلاك .ويمكن دراسة هذه السنة ضمن الفرعين التاليين:

الفرع الأول: إتلاف أموال الناس:

ويكون إتلاف أموال الناس بأكل حقوقهم المالية أو تضيعها وإفسادها ، والـلــه سـبحانه يعاقـب الإنـسان بجنس ما آذى به غيره يقول الرسول ﷺ :" **مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّـاسِ يُرِيـدُ أَدَاءَهَـا أَدَّى الـلــه عَنْـهُ وَمَـنْ أَخَـذَ يُرِيـدُ إِتْلَافَهَا أَتْلَفَهُ الـلـه**" [7] يقول ابن حجر:" وظاهره أن الإتلاف يقع له في الدنيا وذلك في معاشـه أونفـسه"[8]، ويتلـف ماله في الدنيا بكثرة المحن والمغارم والمصائب ومحق البركة.

---

(1) سبق تخريجه: ص107.
(2) المباركفوري، تحفة الأحوذي، ج2، ص1924.
(3) الأحوذي، ج2، ص 1854.
(4) سبق تخريجه، ص72.
(5) المباركفوري، تحفة الأحوذي، ج2، ص1853.
(6) سبق تخريجه، ص35.
(7) سبق تخريجه: ص32.
(8) ابن حجر، فتح الباري، ج1، ص1235.

الفرع الثاني: غبن الناس في المعاملات المالية.

يقول الرسول ﷺ:" **الْبَيِّعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا أَوْ قَالَ حَتَّى يَتَفَرَّقَا فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا وَإِنْ كَتَمَا وَكَذَبَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا**"(1) إذ أن الكذب وكتم عيوب المبيع سبب في تعرض أحد المتبايعين للغبن مما يغرر به لإتمام البيع أما الصدق والتبيين للعيوب يجعل كلا المتبايعين على بصيرة فإن قبل بما علم أتم البيع وإلا فلا.

ومما يغرر بالناس كثرة حلف البائع في بيعه يقول الرسول ﷺ:" **الْحَلْفُ مُنَفِّقَةٌ لِلسِّلْعَةِ مُمْحِقَةٌ لِلْبَرَكَةِ**"(2) يقول النووي" وفيه النهي عن كثرة الحلف في البيع فإنه من غير حاجة مكروه، وينضم إليه هنا ترويج السلعة وربما اغتر المشتري باليمين"(3)

ومن أشكال ظلم الناس التعامل الربوي وقوله تبارك وتعالى ﴿ **يَمْحَقُ اللـه الرِّبَا**﴾(4)، صريح في كون الربا من أسباب المحق وأن:" طلب المال بالمعصية مذهب للبركة مآلا وإن كان محصلا له عاجل."(5)، فلا بد لمن أراد الزيادة في الرزق أن يأتيها من أبوابها التي جعلها اللـه مفضية إليه لا من أبواب التعاملات غير الشرعية التي فيها أكل حقوق الآخرين أخرج أحمد من حديث ابن مسعود رضي اللـه عنه من حديث الرسول ﷺ :" **مَا أَحَدٌ أَكْثَرَ مِنْ الرِّبَا إِلَّا كَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهِ إِلَى قِلَّةٍ**"(6)

---

(1) سبق تخريجه: ص32.

(2) أخرجه البخاري، كتاب:البيوع، باب:" يمحق اللـه الربا ويربي الصدقات" (ص335، برقم:2087)، قال حدثنا يحيى ابن بكير قال حدثنا الليث عن يونس عن ابن شهاب عن ابن المسيب قال إن أبا هريرة قال سمعت رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم يقول به، ومسلم، كتاب: المساقاة، باب:النهي عن الحلف في البيع، (ص774، برقم:4132)، والنسائي، كتاب:البيوع، باب:المنفق سلعته بالحلف الكاذب (ص723، برقم:4468) وأبو داوود، كتاب:البيوع، باب: كراهية اليمين في البيع (ج4، ص116، برقم: 3328)، كلهم من طريق يونس بن يزيد الأيلي به.

(3) النووي، المنهاج، ص1224.

(4) البقرة: 276.

(5) ابن حجر، فتح الباري، ج11، ص292.

(6) أخرجه ابن ماجة، كتاب: التجارات، باب: التغليظ في الربا، (ج، ص، برقم:2279)، قال حدثنا العباس بن جعفر حدثنا عمرو بن عون حدثنا يحيى بن أبي زائدة عن إسرائيل عن الركين بن الربيع بن عميلة عن أبيه عن ابن مسعود، أحمد (ج6، ص297، برقم:3754)، قال حدثنا حجاج حدثنا شريك عن الركين بن الربيع عن أبيه عن ابن مسعود، الحاكم، (ج2، ص37)، الطبراني، الكبير، (ج3، ص74، برقم:2279).

الحديث **حسن** رجاله ثقات غير شريك **صدوق** يخطيء(التقريب،ص، برقم:)، صححه الحاكم ووافقه الذهبي، وكذلك البوصيري، مصباح الزجاجة، (ج، ص، برقم:)، والألباني، صحيح ابن ماجة، (ج2، ص28، برقم:1848)، وحجاج هو ابن محمد وشريك هو ابن عبداللـه بن أبي شريك.

المطلب الرابع: الطمع والبخل:

قال رسول اللـه ﷺ:" **يَا حَكِيمُ إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ فَمَنْ أَخَذَهُ بِطِيبِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ وَكَانَ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنْ الْيَدِ السُّفْلَى** "[1] في هذا الحديث يصور الرسول ﷺ حال المتصف بصفة الطمع، فهو مهما أخذ ومهما كان عند لم يكتف ولم يشبع وكان كالمصاب بداء فمهما أكل وشرب ظل يشعر بالجوع فيستمر في الأكل دون أن يقضي نهمه، ودون أن ينفع جسده بل يجر عليه من الأضرار الكثير، وكذا الطمع مهما جمع من المال وأكثر منه لم ينتفع به بل ربما كان عبئا عليه، وبطمعه هذا يفوت على نفسه الكثير من خير الدنيا وملاذها التي أباحها اللـه لعباده، ويحرم نفسه خير الآخرة، ويترك أسباب نماء المال وزيادته بالبركة.

يقول رسول اللـه ﷺ:" **ضَرَبَ رَسُولُ اللـه صَلَّى اللـه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَثَلَ الْبَخِيلِ وَالْمُتَصَدِّقِ كَمَثَلِ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا جُبَّتَانِ مِنْ حَدِيدٍ قَدْ اضْطُرَّتْ أَيْدِيهِمَا إِلَى ثُدِيِّهِمَا وَتَرَاقِيهِمَا فَجَعَلَ الْمُتَصَدِّقُ كُلَّمَا تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ انْبَسَطَتْ عَنْهُ حَتَّى تَغْشَى أَنَامِلَهُ وَتَعْفُوَ أَثَرَهُ وَجَعَلَ الْبَخِيلُ كُلَّمَا هَمَّ بِصَدَقَةٍ قَلَصَتْ وَأَخَذَتْ كُلُّ حَلْقَةٍ بِمَكَانِهَا قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ فَأَنَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللـه ﷺ يَقُولُ بِإِصْبَعِهِ هَكَذَا فِي جَيْبِهِ فَلَوْ رَأَيْتَهُ يُوَسِّعُهَا وَلَا تَتَوَسَّعُ**"[2] يصور هذا الحديث الشدة والتضييق الذي يصيب البخيل فبعد أن كان المال نعمة له ومصدرا لتيسير أمور الإنسان يتحول إلى سبب تضيق وتكدير عليه.

وقال الرسول ﷺ:" **مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا اللـهمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا وَيَقُولُ الْآخَرُ اللـهمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا** "[3]، ومن مظاهر البخل منع الصدقات قال رسول اللـه لأسماء رضي اللـه عنها لما سألته عن الصدقة:" **لَا تُوعِي فَيُوعِيَ اللـه عَلَيْكِ ارْضَخِي مَا اسْتَطَعْتِ** "[4] يدل الحديث على" أن السخاء يفتح أبواب الرزق، والبخل بخلافه"[5].

يقول ابن حجر:" المعنى النهي عن منع الصدقة خشية النفاد فإن ذلك من أعظم الأسباب لقطع مادة الرزق "[6] وتعمل سنة الرزق مع سنة الجزاء وأنه من جنس العمل يقول المناوي:" فيمسك اللـه فضله عنك كما أمسكت فضل ما أعطاك فإن الجزاء من جنس العمل "[7].

---

(1) سبق تخريجه: ص116.

(2) سبق تخريجه: ص115.

(3) سبق تخريجه: ص114.

(4) البخاري، كتاب: الزكاة، باب: الصدقة فيما استطاع، (ص231، برقم:1434)، قال حدثنا أبو عاصم عن ابن جرير وحدثني محمد عن ابن عبد الرحيم عن حجاج بن محمد عن ابن جريج قال أخبرني ابن أبي ملكية عن عباد ابن عبد اللـه ابن الزبير أخبره عن أسماء، ومسلم، كتاب: الزكاة، باب: الحث على الإنفاق وكراهية الإحصاء (ص458، برقم:2342)، الترمذي، كتاب: البر والصلة، باب: ما جاء في السخاء (ج3، ص509، برقم:1960)، النسائي، كتاب: الزكاة، باب الإحصاء في الصدقة، (ص419، برقم:2548)، أبـو داوود، كتاب: الزكاة، باب: في الشح، (ج2، ص389، برقم:1696)، كلهم عن ابن أبي مليكة نحوه، وأبو عاصم هو الضحاك بن مخلد.

(5) السندي، سنن النسائي الصغرى بشرح الإمام السندي، تحقيق: يوسف الحاج، مكتبة ابن حجر- دمشق، ط1: 2004، ص681.

(6) ابن حجر، فتح الباري، ج1، ص 876.

(7) الشوكاني، فيض القدير، ج1، ص719.

بسم اللـه الرحمن الرحيم

الـخاتـمـة

الحمد لـلـه، والصلاة والسلام على رسول اللـه وعلى أصحابه وأزواجه الطيبين الطاهرين وعـلى مـن سـار على نهجهم واهتدى بهديهم إلى يوم الدين.

وبعد البحث في السنن الإلهية في النفس الإنسانية في الحديث النبوي الشريف، أخلص إلى النتائج التالية:

1. تبين أنّ الحـديث النبـوي الـشريف تعـرض لموضـوع الـسنن الإلهيـة كـما تبـين أنّ مـن خـلال هـذه الأحاديث يمكن استنباط خصائص وأنواع السنن الإلهية.
2. عبرت الأحاديث النبوية الشريفة عن السنن الإلهية المتعلقة بالنفس الإنـسانية بعـدد مـن الأسـاليب أهمها الشرط، وأسلوب التعميم بألفاظ العلـوم، واسـتخدام الألفـاظ الدلـة عـلى الفـرد مـن الجـنس البشري، وأسلوب القصة.
3. كشفت الأحاديث النبوية الشريفة عن عدد مـن سـنن الهدايـة والـضلال، ومـن أهمهـا الـسنة في أن لاهدى إلا هدى اللـــه سـبحانه، والـسنة في التـدين، والـسنة في ثنائيـة الهدايـة والـضلال في الـنفس الإنسانية، والسنة في تأثير الأعمال والمشاعر على الإنسان هدية وضلالا.
4. تناولت الأحاديث النبوية الشريفة سنن الرزق وبينت أن لـلـه جل شأنه في رزق الإنـسان سـننا فهـو سبحانه الرزاق وحده، وقدتكفل اللـه برزق عباده، وقد سن اللـه للرزق سننا في زيادته وأخـرى في محقه.

وفي نهاية دراستي هذه أود التقدم بالتوصيات الآتية:

1. الدعوة لدراسة السنن الإلهية بعامة، حيث أنها أحد أهم أسباب النهوض بحال المسلمين اليـوم، والتأكيد على ضرورة الإهتمام بسنن الأفراد ومحاولة الكشف عنها.
2. الاهتمام بسنن الهداية والضلال والأخذ بها بعين الاعتبار في تربية وتعلم الـنشء، وأثنـاء القيـام بواجب الدعوة، وفي محاولات تغيير واقع المسلمين الحالي.
3. الاهتمام بسنن الرزق وأسباب زيادته وأسباب محقه، ونشر الوعي بذلك بين المـسلمين والعمـل على تنفيرهم من التواكل ومن إتيان أسباب المحق.
4. العمل على نشر السنن الإلهية وربطها بالعقيدة الإسلامية؛ لأن إيمـان المـسلمين بهـا والعمـل في ضوئها من أهم أسباب نهضة المسلمين وتغير حالهم.

وآخر دعوانا أن الحمد لـلـه رب العالمين

قائمة المراجع والمصادر

1. أحمد بن علي بن حجر العسقلاني(852هـ)، تهذيب التهذيب، تحقيق مأمون شيحا، دار المعرفة- بيروت، ط1: 1996
2. أحمد بن علي بن حجر العسقلاني(852هـ)، موافقة الخُبر الخَبر في تخريج أحاديث المختصر، تحقيق حمدي السلفي وصبحي السامرائي، دار الرشد- الرياض، ط1: 1992.
3. أحمد مصطفى المراغي ، تفسير المراغي، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1: 1998.
4. أحمد بن عمر القرطبي (656هـ)، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، دار ابن كثير- دمشق، ط1: 1996.
5. أحمد بن محمد القسطلاني (923هـ)، إرشاد الساري، ضبط وتصحيح :محمد عبد العزيز الخالدي دار الكتب العلمية- بيروت، ط1 :1996.
6. أحمد زكريا بن فارس(395هـ)، معجم مقاييس اللغة، دار الفكر- بيروت، (د.ط) ط :1979.
7. أحمد شلبي، مقارنة الأديان، أديان الهند الكبرى، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط: 1964.
8. أحمد عبد الحليم ابن تيمية، العبودية، المكتب الإسلامي- بيروت، ط3: 1393هـ
9. أحمد بن علي بن حجر ، في تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي معوض، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1: 1998.
10. أحمد بن حنبل(241هـ)، مسند أحمد، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرون، الرسالة- بيروت، ط1: 1999.
11. أحمد بن علي أبو يعلى الموصلي (307هـ)، المسند، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1: 1998
12. أحمد بن علي بن حجر العسقلاني(852هـ)، تقريب التهذيب، بيت الأفكار- عمان، (د.ط) (د.ت)
13. أحمد بن تيمية (728هـ)، مجموع فتاوى شيخ الإسلام، ط2: 1398هـ
14. أحمد بن محمد الفيومي(770هـ)، المصباح المنير، المكتبة العلمية- بيروت،(د.ط) (د.ت)
15. أحمد بن عمرو البزار(292هـ)، البحر الزخار، مكتبة العلوم والحكم- المدينة المنورة، (د.ط) ط:2003.
16. أحمد الزاوي، ترتيب القاموس المحيط ، دار الكتب العلمية- بيروت، (د.ط) (د.ت).

17. أحمد القرطبي(671هـ)، الجامع لأحكام القرآن، دار ابن حزم- بيروت، ط1: 2004

18. أيوب بن موسى الكفوي (1683هـ)، الكليات، مقابلة عدنان درويش ومحمد المصري، الرسالة- بيروت، ط1 :1992.

19. حجازي إبراهيم، الابتلاء وسنة اللـه في الدعوات، دار البشير- مصر، ط1 :200

20. السيد سابق، العقائد الإسلامية، دار الفكر- بيروت، ط3: 1983.

21. بـو عبـد اللــه الحـاكم(405هــ)، المستدرك على الصحيحين، بإشراف يوسف مرعشلي، دار المعرفة- بيروت(د.ط) (د.ت).

22. عبد اللـه بن الزبير الحميدي (219هـ)، مسند الحميدي، تحقيق حسين سليم أسد، دار السقًا- سوريا، ط1: 1996.

23. ابن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم، دار عمر بن الخطاب- الإسكندرية، (د.ت) (د.ط).

24. سيد قطب، في ظلال القرآن الكريم، دار الشروق، ط:1981.

25. سيد قطب، دراسات في النفس الإنسانية، دار الشروق- بيروت، ط6 :1983.

26. سيرل بيرت، علم النفس الديني، ترجمة سميرة عبده، دار الآفاق الجديدة- بيروت، ط1 :1985.

27. شريف الخطيب، السنن الإلهية في الحياة الإنسانية وأثر الإيمان بها في العقيدة والسلوك، مكتبة الرشد– الرياض، ط1 :2004.

28. شمس الدين الذهبي، الكاشف، دار الفكر- بيروت، ط1: 1997،

29. شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق أبو سعيد العمروي، دار الفكر- بيروت، ط1: 1997.

30. صديق بن حسن القنوجي(1307هـ)، فتح البيان في مقاصد القران، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1: 1999

31. عباس محمود العقاد، كتاب: اللـه بحث في نشأة العقيدة الإلهية، دار المعارف- بيروت، ط4: 1964

32. عبد الرحمن ابن رجب الحنبلي(795هـ)، شرح علل الترمذي، تحقيق همام سعيد، المنار- الأردن، ط1: .1987

33. عبد الرحمن بن أحمد بن شعيب النسائي(303هــ)، سنن النسائي، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1: .2002

34. عبد الرزاق محمد نصار محمد، "قضية الرزق في القران الكريم"، رسالة ماجستير غيرمنشورة، كلية الشريعة، الجامعة الأردنية، عمان،1987.

35. عبد الكريم الخطيب، من الحقل الإسلامي، المكتب الفني للنشر- مصر، ط1: 1958.
36. عبد الكريم زيدان، السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط1 :1993.
37. عبد الكريم عثمان، الدراسات النفسية عند علماء المسلمين والغزالي بوجه خاص، مكتبة وهبة- مصر، ط2 :1981.
38. عبد اللـه بن أبي جمرة الأندلسي، بهجة النفوس ،دار العلم للملايين – بيروت، ط1: 1997.
39. عبد اللـه بن عبد الرحمن الدارمي(255هـ)، مسند الدارمي، تحقيق حسين سليم أسد، دار المغني- الرياض، ط1: 2000.
40. عبد اللـه بن محمود النسفي (710هـ)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، اعتنى به عبد المجيد حلبي، دار المعرفة- بيروت؛ ط:2000.
41. عبد المجيد النجار، فقه التدين فهما وتنزيلا، ط1 :1410هـ.
42. عبده الراجحي، التطبيق الصرفي، دار النهضة- بيروت، ط: 1974،(د.ط).
43. عزمي طه السيد، الدين ولأيدلوجيا في مشروع الفارابي السياسي، دار المسار- الأردن، ط1: 2002.
44. علي ابن بلبان الفارسي(739هـ)، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، تحقيق شعيب الأرناؤوط، الرسالة- بيروت، ط1: 1988.
45. علي بن محمد الجرجاني(816هـ)، التعريفات، تحقيق عبد المنعم الحنفي، دار الرشاد- القاهرة، (د.ط) ط:1991.
46. عماد الدين خليل، حول تشكيل العقل المسلم، دار العالمية للكتاب الإسلامي- الرياض، ط5: 1992.
47. عياض بن موسى (544هـ)، مشارق الأنوار على صحاح الآثار، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1 :2002.
48. عياض بن موسى اليحصبي(544هـ)، إكمال المعلم بفوائد مسلم، تحقيق: يحيى عيس، دار الوفاء- مصر، ط1: 1998.
49. فيلسيان سالي، موجز تاريخ الأديان، ترجمة: حافظ جمالي، دار طلاس- دمشق، ط2 :1992.
50. مالك بن أنس الأصبحي(179هـ)، الموطأ، من رواية أبي مصعب الزهراني، تحقيق بشار عواد معروف ومحمود خليل، الرسالة- بيروت، ط2: 1992.
51. محمد ابن حبان البستي(354هـ)، الثقات، اعتناء إبراهيم شمس الدين وتركي فرحان، دار الكتب

العلمية- بيروت، ط1: 1998،

52. مجدي الهلالي، بناء الإيمان من خلال القرآن، مؤسسة اقرأ- مصر، ط: 2005

53. محمد أحمد الجمل، الغرائز من منظور قرآني، إشراف الدكتور: فضل عباس، رسالة جامعية لنيل درجة الماجستير، الجامعة الأردنية– الأردن، لعام:1996.

54. محمد باقر الصدر، السنن التاريخية في القرآن، صياغة محمد جعفر شمس الدين، دار التعارف للمطبوعات– سوريا، (د.ط) ط :1989.

55. محمد بن الحسين البيهقي(458هـ)، السنن الكبرى، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1: 1994.

56. محمد بن الحسين(458هـ)، المعتمد في أصول الدين، تحقيق وديع زيدان، دار المشرق– بيروت، ط: 1973.

57. محمد بن إسماعيل البخاري(256هـ)، الجامع الصحيح المسند المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، دار السلام- الرياض، ط2:

58. محمد بن جرير الطبري(310هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، دار الكتب العلمية– بيروت، ط3 :1999.

59. محمد بن جعفر السامري الخرائطي، فضيلة الشكر لله على نعمه، دار الفكر- دمشق، ط1: 1982.

60. محمد بن عبد الباقي الزرقاني(1122هـ)، شرح الزرقاني على موطأ مالك، إحياء التراث العربي- بيروت، ط1: 1997.

61. محمد بن عبد الرحمن المباركفوري (1353هـ)، تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي، بيت الأفكار- الأردن، (د.ت) (د.ط).

62. محمد بن عبد الله ابن العربي المالكي، عارضة الأحوذي بشرح الترمذي، اعتناء جمال مرعشلي، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1: 1997.

63. محمد بن علي الشوكاني(1250هـ)، فتح القدير، دار بن حزم– بيروت، ط1: 2000.

64. محمد بن عمر الرازي(606هـ)، مفاتيح الغيب المعروف بالتفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط2: 1997.

65. محمد بن عيسى الترمذي(270هـ)، الجامع الكبير، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي- بيروت، ط2: 1998.

66. محمد بن منظور الإفريقي (711هـ)، لسان العرب، دار صادر– بيروت، (د.ط)، ط:1968.

67. محمد بن يزيد القزويني المعروف بابن ماجة(275هـ)، سنن ابن ماجة، تحقيق بشار عـواد معـروف، دار الجيل- بيروت، ط1: 1998

68. محمد بن يعقوب الفيروز أبادي (718هـ)، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتـاب العزيـز، تحقيـق: عبـد العليم الطحاوي، المكتبة العلمية- بيروت(د.ت) (د.ط).

69. محمد رشيد رضا(1935)، المنار، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1: 1999.

70. محمد عبد الحق ابن عطية(546هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيـق عبـد العـال الـسيد إبراهيم، رئاسة المحاكم الشرعية- قطر، ط1: 1991.

71. محمد عبد الرؤوف المناوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النـذير، اعتنـاء: أحمـد عبد السلام، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1: 1994، ج5.

72. محمد عبد الرحمن السخاوي (902هـ)، المقاصـد الحـسنة في بيـان كثـير مـن الأحاديـث المـشتهرة عـلى الألسنة، تحقيق: عثمان الخشت، دار الكتاب العربي، ط2: 1994.

73. محمد عبد الكريم الشهرستاني (548)، الملل والنحل، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة– بـيروت، ط: 1967.

74. محمد عبد الـلـه دراز، الدين، المطبعة العالمية- مصر، ط: 1952،(د.ط.

75. محمد عثمان نجاتي، القرآن وعلم النفس، دار الشروق- بيروت، ط2 :1985.

76. محمد مرتضى الزبيدي (1205هــ)، تـاج العـروس مـن جـواهر القـاموس، دار ليبيـا– بنـي غـازي، (د.ط) ط:1966.

77. محمد مهدي الآصفي، دور الدين في حياة الإنسان، دار التعارف للمطبوعات- بيروت، ط3 :1982.

78. محمد ناصر الدين الألباني، السلسلة الصحيحة، المكتب الإسلامي- بيروت، ط4: 1985.

79. محمد ناصر الدين الألباني، ضعيف الترمذي، تعليق زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، ط1: 1991.

80. الألباني، صحيح الترمذي، مكتب التربية العربي- الرياض، ط1 :1988

81. محمد هيشور، سنن القرآن في قيام الحضارات، المعهد العالمي للفكر الإنساني- القاهرة، ط1:1996.

82. محمد ربابعة، سنة الـلـه في عقاب الأفـراد في القـرآن الكـريم، رسـالة جامعيـة، كليـة الدراسـات الفقهيـة والقانونية، جامعة آل البيت- المفرق،2002

83. محمد ابن الشيخ المعروف بابن قيم الجوزية(751هـ)، الداء والدواء ،دار المدني- جدة ،ط:1983،(د.ط).

84. محمد ابن الشيخ المعروف بابن قيم الجوزية(751هـ)، الفوائد، دار الكتب العلمية- بيروت، ط2: 1973.
85. محمد ابن الشيخ المعروف بابن قيم الجوزية(751هـ)، شفاء العليل في مسائل القدر والحكمة والتعليل، تحقيق: محمد بدر الدين الحلبي، دار الفكر- بيروت، ط: 1978.
86. محمد بن سعد(230هـ)، الطبقات الكبير، تحقيق على محمد، الخانجى- القاهرة، ط:2001،(د.ط)
87. محمود بن عمر الزمخشري (538هـ)، أساس البلاغة، مكتبة لبنان– بيروت، ط2 :1996.
88. مرسي شعبان السويدي، غرائز النفس البشرية، دار الصحابة للتراث– طنطا، ط1 :1992.
89. مسعود بن عمر التفتازاني (791هـ)، حاشية التلويح إلى كشف حقائق التنقيح، ضبط محمود درويش، دار الأرقم- بيروت، ط1: 1998.
90. مسلم بن الحجاج(261هـ)، الصحيح المختصر من السنن: المعروف بصحيح مسلم، ترقيم محمد تميم وهيثم تميم، دار الأرقم- بيروت، ط1: 1999
91. مصطفى عبد الرزاق، الدين والوحي والإسلام، دار إحياء الكتب العربية، ط :1845 (د. ط).
92. محمد قطب، حول التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية، دار الشروق- بيروت، ط1: 1998.
93. نور الدين عتر، منهج النقد في علوم الحديث، دار الفكر المعاصر- بيروت، ط3: 1972
94. يحيى بن شرف النووي(676هـ)، المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار ابن حزم- بيروت، ط1: 2002.
95. يحيى بن شرف النووي(676هـ)، رياض الصالحين، دار السلام- الرياض، ط6: 2004.
96. يوسف بن عبد البر (463هـ)، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والمسانيد، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية– بيروت، ط1 :1999.
97. يحيى بن شرف النووي(676هـ)، رياض الصالحين، دار السلام- الرياض، ط6: 2004
98. يحيى بن شرف النووي(676هـ)، المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار ابن حزم- بيروت، ط1: 2002
99. أحمد بن علي بن حجر العسقلاني(852هـ)، تهذيب التهذيب، تحقيق مأمون شيحا، دار المعرفة- بيروت، ط1: 1996
100. أحمد بن علي بن حجر العسقلاني(852هـ)، موافقة الخُبر الخَبر في تخريج أحاديث المختصر، تحقيق

حمدي السلفي وصبحي السامرائي، دار الرشد- الرياض، ط1: 1992.

101. أحمد مصطفى المراغي ، تفسير المراغي، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1: 1998.

102. أحمد بن عمر القرطبي (656هـ)، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، دار ابن كثير- دمشق، ط1: 1996.

فهرس الآيات القرآنية

الرقم	الآيــة	رقمها	السورة
1	إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا من طِينٍ ۝ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ	71-72	ص
2	اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللـه أَكْبَرُ وَاللـه يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ	45	العنكبوت
3	اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ .... فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللـه تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللـه تَحْوِيلًا	43	فاطر
4	الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاء وَاللـه يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللـه وَاسِعٌ عَلِيمٌ	268	البقرة
5	أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ۝ أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ	63	الواقعة
6	إِنَّ رَبَّكُمُ اللـه الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ	54	الأعراف
7	إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا	72	الأحزاب
8	إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ	49	القمر
9	سُنَّةَ اللـه فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللـه تَبْدِيلًا	62	الأحزاب
10	سُنَّةَ اللـه الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللـه تَبْدِيلًا	23	الفتح
11	ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ	41	الروم
12	فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللـه الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللـه ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ	30	الروم
13	فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ .....وَمَن يَتَّقِ اللـه يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ	3-2	الطلاق

14	فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاء أَخِيهِ ....كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلاَّ أَن يَشَاء اللـه	76	يوسف
15	فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ۝ قُلْنَا اهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعاً ...	38-37	البقرة
16	فَعَسَى رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاء فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا..	40	الكهف
17	فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۝يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ ...	12-10	نوح
18	فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ	22	محمد
19	قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى .....۝وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى	-123 124	طه
20	قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانْظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ	137	آل عمران
21	قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاء وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ	39	سبأ
22	قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا....۝وَيَزِيدُ اللـه الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ...	76-75	مريم
23	كُلاًّ نُّمِدُّ هَؤُلاء وَهَؤُلاء مِنْ عَطَاء رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاء رَبِّكَ مَحْظُورًا	20	الإسراء
24	لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ	40	يس
25	لاَّ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء ....وَيُحَذِّرُكُمُ اللـه نَفْسَهُ وَإِلَى اللـه الْمَصِيرُ يَمْحَقُ اللـه الْرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللـه لاَ يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ	28	آل عمرآن
26	لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ	6	الكافرون

27	لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ .....إِنَّ اللــه لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ	11	الرعد
28	لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ ......فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللـه مُبَارَكَةً طَيِّبَةً ...	61	النور
29	مَّا كَانَ اللـه لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىَ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ	179	آل عمران
30	مَّا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللـه لَهُ سُنَّةَ اللــه فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللـه قَدَرًا مَّقْدُورًا	38	الأحزاب
31	مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ	4	الفاتحة
32	وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ	19	الحجر
33	وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ	135	الأنعام
34	وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ	7	إبراهيم
35	وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ	38	غافر
36	وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ	30	غافر
37	وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاء اللــه وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ	18	المائدة
38	وَقَالُوا أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُم بِلِقَاء رَبِّهِمْ كَافِرُونَ	10	السجدة
39	وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللـه	119	النساء
40	وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ .....هَذَا مَا وَعَدَنَا اللـه وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللــه وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا	22	الأحزاب

41	وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلآئِكَةُ بَاسِطُواْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُواْ أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللـه غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ	93	الأنعام
42	وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ	96	الأعرف
43	وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ	56	الذاريات
44	وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللـه رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ	6	هود
45	وَيَا قَوْمِ لاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ	89	هود
46	وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا۝ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا		الشمس
47	يُرِيدُ اللـه لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللـه عَلِيمٌ حَكِيمٌ	26	النساء
48	يَمْحَقُ اللـه الْرِّبَا	276	البقرة

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

الرقم	الحديث	حكمه
1	الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ	صحيح
2	البركة في نواصي الخيل	صحيح
3	الْبَيِّعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا أَوْ قَالَ حَتَّى يَتَفَرَّقَا فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا وَإِنْ كَتَمَا وَكَذَبَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا	صحيح
4	الْحَلِفُ مُنَفِّقَةٌ لِلسِّلْعَةِ مُمْحِقَةٌ لِلْبَرَكَةِ	صحيح
5	الْخَيْرُ عَادَةٌ وَالشَّرُّ لَجَاجَةٌ وَمَنْ يُرِدْ اللـه بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ	
6	الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ وَالْحَمْدُ للـه تَمْلَأُ الْمِيزَانَ وَسُبْحَانَ اللـه وَالْحَمْدُ للـه تَمْلَآَنِ أَوْ تَمْلَأُ مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ...	صحيح
7	الْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللـه	ضعيف
8	اللـه أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ سَقَطَ عَلَى بَعِيرِهِ وَقَدْ أَضَلَّهُ فِي أَرْضِ فَلَاةٍ	صحيح
9	اللـهم ارزقه مالا وولدا	صحيح
10	اللـهم بارك لأمتي في بكورها	صحيح
11	الْمُؤْمِنُ يُطْبَعُ عَلَى كُلِ ْخُلَةٍ غَيْرَ الْخِيَانَةَ وَالْكَذِبَ	صحيح
12	أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللـه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَجَدْتُهُ يَسْتَنُّ بِسِوَاكٍ بِيَدِهِ يَقُولُ أُعْ أُعْ وَالسِّوَاكُ فِي فِيهِ كَأَنَّه يَتَهَوَّعُ"	صحيح
13	أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا حَلَالٌ وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ...	صحيح

14	ألا وإن للملك لمة ولشيطان لمة، فلَمَّةُ الْمَلَكِ إِيعَادٌ لِلْخَيْرِ، وَلَمَّةُ الشَّيْطَانِ إِيعَادٌ بِالشَّرِّ،...	حسن
15	أَلَمْ تَرَوْا الْإِنْسَانَ إِذَا مَاتَ شَخَصَ بَصَرُهُ قَالُوا بَلَى قَالَ فَذَلِكَ حِينَ يَتْبَعُ بَصَرُهُ نَفْسَهُ	صحيح
16	أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللـه وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ	حسن
17	أَنَّ رَسُولَ اللـه صَلَّى اللـه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَى الْمَقْبُرَةَ فَقَالَ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللـه بِكُمْ لَاحِقُون	صحيح
18	أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَالْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ	صحيح
19	أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللـه وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ يَرَى بَعْدِي اخْتِلَافًا كَثِيرًا ...	حسن
20	إِذَا شَرِبَ أَحَدُكُمْ فَلَا يَتَنَفَّسْ فِي الْإِنَاءِ "	صحيح
21	إِنَّ الشَّيْطَانَ يَبْلُغُ مِنْ الْإِنْسَانِ مَبْلَغَ الدَّمِ وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا شَيْئًا	صحيح
22	إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يَكُونَ صِدِّيقًا	صحيح
23	إِنَّ الْكَافِرَ إِذَا عَمِلَ حَسَنَةً أُطْعِمَ بِهَا طُعْمَةً مِنْ الدُّنْيَا وَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَإِنَّ اللـه يَدَّخِرُ لَهُ حَسَنَاتِهِ فِي الْآخِرَةِ وَيُعْقِبُهُ رِزْقًا فِي الدُّنْيَا عَلَى طَاعَتِهِ	صحيح
24	إِنَّ اللـه تَعَالَى يَقُولُ يَا ابْنَ آدَمَ تَفَرَّغْ لِعِبَادَتِي أَمْلَأْ صَدْرَكَ غِنًى وَأَسُدَّ فَقْرَكَ وَإِلَّا تَفْعَلْ مَلَأْتُ يَدَيْكَ شُغْلًا وَلَمْ أَسُدَّ فَقْرَكَ	صحيح
25	إِنَّ اللـه عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ خَلْقَهُ فِي ظُلْمَةٍ ثُمَّ أَلْقَى عَلَيْهِمْ مِنْ نُورِهِ يَوْمَئِذٍ فَمَنْ أَصَابَهُ مِنْ نُورِهِ يَوْمَئِذٍ اهْتَدَى وَمَنْ أَخْطَأَهُ ضَلَّ فَلِذَلِكَ أَقُولُ جَفَّ الْقَلَمُ عَلَى عِلْمِ اللـه عَزَّ وَجَلَّ	صحيح
26	إِنَّ اللـه عَزَّ وَجَلَّ وَكَّلَ بِالرَّحِمِ مَلَكًا يَقُولُ يَا رَبِّ نُطْفَةٌ يَا رَبِّ عَلَقَةٌ يَا رَبِّ مُضْغَةٌ ..	صحيح

صحيح	إِنَّ اللــه لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ قَالَ ثُمَّ قَرَأَ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ	27
صحيح	إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ ...	28
صحيح	إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمْ اللــه بِعِقَابٍ مِنْهُ	29
صحيح	إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَنْسَى كَمَا تَنْسَوْنَ فَإِذَا نَسِيتُ فَذَكِّرُونِي	30
ضعيف	إِنِّي لَأَنْسَى أَوْ أُنَسَّى لِأَسُنَّ"	31
حسن لغيره	إِنِّي لَسْتُ أَدْرِي مَا قَدْرُ بَقَائِي فِيكُمْ فَاقْتَدُوا بِاللَّذَيْنِ مِنْ بَعْدِي يُشِيرُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللــه عَنْهُمَا وَاهْدُوا هَدْيَ عَمَّارٍ ...	32
حسن	تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَالذُّنُوبَ كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ وَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ	33
صحيح	تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ...	34
حسن	تعودوا الخير فإنما الخير بالعادة ..."	35
حسن	تَهَادُوْا تَحَابُّوا	36
صحيح	ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ أَنْ يَكُونَ اللــه وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لــله ...	37
صحيح لغيره	ثَلَاثَةٌ أُقْسِمُ عَلَيْهِنَّ وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ قَالَ مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ وَلَا ظُلِمَ عَبْدٌ مَظْلَمَةً فَصَبَرَ عَلَيْهَا إِلَّا زَادَهُ اللــه عِزًّا...	38
صحيح	جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللــه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقَالَ :إِنَّ فُلَانًا يُصَلِّي بِاللَّيْلِ فَإِذَا أَصْبَحَ سَرَقَ، قَالَ: إِنَّهُ سَيَنْهَاهُ مَا يَقُولُ	39
صحيح	حديث الوحي	40
حسن	حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه"	41

42	ضَرَبَ رَسُولُ اللـه صَلَّى اللـه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَثَلَ الْبَخِيلِ وَالْمُتَصَدِّقِ كَمَثَلِ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا جُبَّتَانِ مِنْ حَدِيدٍ ...	صحيح
43	عَنْ رَبِّهِ قَالَ إِذَا تَقَرَّبَ الْعَبْدُ إِلَيَّ شِبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا وَإِذَا تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا ...	صحيح
44	فَانْكَسَفَتْ الشَّمْسُ فَقَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللـه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَجُرُّ رِدَاءَهُ حَتَّى دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَدَخَلْنَا فَصَلَّى بِنَا رَكْعَتَيْنِ	صحيح
45	فَجَحَدَ آدَمُ فَجَحَدَتْ ذُرِّيَّتُهُ وَنُسِّيَ آدَمُ فَنُسِّيَتْ ذُرِّيَّتُهُ وَخَطِئَ آدَمُ....	حسن
46	فِيمَا رَوَى عَنْ اللـه تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا...	صحيح
47	قَالَ اللـه أَنْفِقْ يَا ابْنَ آدَمَ أُنْفِقْ عَلَيْكَ	صحيح
48	قصة أصحاب الغار	صحيح
49	قصة الراهب والغلام والساحر	صحيح
50	قصة ماشطة بنت فرعون، أخرج أحمد من حديث ابن عباس عن الرسول أنه قال:" لَمَّا كَانَتْ اللَّيْلَةُ الَّتِي أُسْرِيَ بِي فِيهَا أَتَتْ عَلَيَّ رَائِحَةٌ طَيِّبَةٌ...	صحيح
51	كَرَمُ الْمُؤْمِنِ تَقْوَاهُ وَدِينُهُ حَسَبُهُ وَمُرُوءَتُهُ خُلُقُهُ وَالْجُرْأَةُ وَالْجُبْنُ غَرَائِزُ ...	صحيح
52	كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللـه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَخَطَّ خَطًّا، وَخَطَّ خَطَّيْنِ عَنْ يَمِينِهِ ،وَخَطَّ خَطَّيْنِ عَنْ يَسَارِهِ ،ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ فِي الْخَطِّ الْأَوْسَطِ، فَقَالَ: هَذَا سَبِيلُ اللـه	حسن
53	كِيلُوا طَعَامَكُمْ يُبَارَكْ لَكُمْ	صحيح
54	لَا تُوعِي فَيُوعِيَ اللـه عَلَيْكِ ارْضَخِي مَا اسْتَطَعْتِ.	صحيح
55	لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ	صحيح
56	لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ"	صحيح

صحيح	لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ حَتَّى لَوْ سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ ...	57
صحيح	لَعَنَ اللــه الْوَاشِمَاتِ وَالْمُوتَشِمَاتِ وَالْمُتَنَمِّصَاتِ وَالْمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ الْمُغَيِّرَاتِ خَلْقَ اللــه..."	56
	لَمْ يَبْقَ مِنْ الدُّنْيَا إِلَّا بَلَاءٌ وَفِتْنَةٌ	57
صحيح	لَنْ يَبْرَحَ النَّاسُ يَتَسَاءَلُونَ حَتَّى يَقُولُوا هَذَا اللــه خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَمَنْ خَلَقَ اللــه	58
حسن	لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَى اللــه حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرُزِقْتُمْ كَمَا يُرْزَقُ الطَّيْرُ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا	59
صحيح	لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ مَالٍ لَابْتَغَى ثَالِثًا وَلَا يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ وَيَتُوبُ اللــه عَلَى مَنْ تَابَ	60
صحيح	لَوْلَا أَنَّكُمْ تُذْنِبُونَ لَخَلَقَ اللــه خَلْقًا يُذْنِبُونَ يَغْفِرُ لَهُمْ"	61
صحيح	مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ ...	62
صحيح	مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنْ الْجِنِّ قَالُوا وَإِيَّاكَ يَا رَسُولَ اللــه قَالَ وَإِيَّايَ إِلَّا أَنَّ اللــه أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ	63
صحيح	مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوْءِ كَمَثَلِ صَاحِبِ الْمِسْكِ وَكِيرِ الْحَدَّادِ...	64
صحيح	مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا أَدَّى اللــه عَنْهُ وَمَنْ أَخَذَ يُرِيدُ إِتْلَافَهَا أَتْلَفَهُ اللــه	65
صحيح	مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ أَوْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ	66
صحيح	مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللــه بِهِ وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللــه بِهِ	67
صحيح	مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ ...	68
صحيح	مَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا هَمَّهُ فَرَّقَ اللــه عَلَيْهِ أَمْرَهُ وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَلَمْ يَأْتِهِ مِنْ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ ...	69

70	مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللـه عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُـرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللـه عَلَيْهِ فِي الـدُّنْيَا وَالْآخِـرَةِ وَمَـنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللـه فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ...	صحيح
71	هَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إِلَّا بِضُعَفَائِكُمْ	صحيح
72	وَاسْتَأْجَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللـه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو بَكْرٍ رَجُلًا مِـنْ بَنِـي الـدِّيلِ ثُـمَّ مِنْ بَنِي عَبْدِ بْنِ عَدِيٍّ هَادِيًا خِرِّيتًا الْخِرِّيتُ...	صحيح
73	وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ قَالُوا يَا رَسُولَ اللـه أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُونُ لَـهُ فِيهَا أَجْرٌ ...	صحيح
74	وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللـه وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِـهِ اللــه وَمَـنْ يَتَـصَبَّرْ يُـصَبِّرْهُ اللـه وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنْ الصَّبْرِ	صحيح
75	يَا حَكِيمُ إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ فَمَنْ أَخَذَهُ بِطِيبِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيـهِ وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ...	صحيح
76	يُجْمَعُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُونَ لَوْ اسْتَشْفَعْنَا إِلَى رَبِّنَا فَيُرِيحُنَا مِـنْ مَكَانِنَا هَذَا فَيَـأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُـونَ لَـهُ أَنْـتَ آدَمُ أَبُـو الْبَـشَرِ خَلَقَـكَ اللــه بِيَدِهِ...	صحيح

Abstract

Divine sunan in the Human Psyche as Manifested in the Prophetic Sayings:

of Guidance, Aberration and Subsistence as Examples

By: Ala' Saeed AL Fawar'ah

Supervisor: Dr. Ali Sa'oud Ajeen

This thesis examined the divine laws (sunan) in the human psyche as manifested in the Prophetic sayings which were used as a source of knolig. The study aimed at highlighting some facts pertaining to the divine laws which were identified, investigated and analyzed as illustrative examples. The study consists of an introduction, a forward, four chapters, and a conclusion.

The introduction includes the rationale, problem, objectives of the study and the methodology adopted in the analysis. It also contains the research plan approved by the College Council, the literature review as well as the problems encountered in the study. The forward includes some illustrative divine laws from the Holy Qur'an and some other laws that prevailed among the pre-Islamic nations. Chapter one presents the concepts of divine laws pertaining to man and consists of five topics.

- The concept of Sunna
- The idiomatic and linguistic meaning of the human soul
- Terms and expressions pertaining to laws of individuals
- The use of the term sunan 'laws'
- Types of sunan 'laws', their characteristics and manners of expression

The second chapter was devoted to some illustrative examples of the divine laws pertaining to the human psyche; whereas chapter three explained the laws of guidance and aberration as follows:

- Definition of guidance and aberration

- The law that Divine guidance is the true guidance
- The law of religiousness in man
- Binary nature of guidance and aberration in man
- Influence of deeds on man in terms of guidance and aberration
- Influence of feelings on man in terms of guidance and aberration

The fourth chapter examined the divine laws pertaining means of subsistence. It consisted of four topics.

- Concept of subsistence and its relationship with divine laws
- The fact that Allah guarantees subsistence
- Causes of subsistence
- Loss of subsistence

Finally, the conclusion and the major findings were presented.